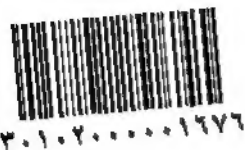


لقد قام الطالب بعمل التعديلات
المطلوبة من قبل لجنة المناقشة
د. عبد الكريم علي باز

د. محمد بن فهد العفەر
٩٧٤

د. محمد بن فهد العفەر
٩٧٤

الطالب
محمد بن فهد العفەر
٩٧٤



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية
والحضارية

الحجاز

١٥٩ - ١٤٥٤ / ١٤٢٣ هـ - ١٥١٧ م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
في التاريخ

١٠٠٢٨٢٥

إعداد الطالب

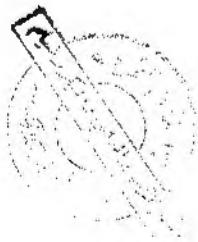
محمد بن فهد العفەر بكري



إشراف الدكتور

ناصر عبد الله البركي

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م



عنوان البحث : الحجاز ٨٥٩ - ٩٢٢ هـ / ١٤٥٤ - ١٥١٧ م .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي اشرف الانبياء والمرسلين وبعد /
يحتوي هذا البحث علي مقدمة واربعة فصول وخاتمة وملاحق- الفصل الاول عنوانه الاوضاع
السياسية في الحجاز في ذلك الوقت حيث يعطى وصفا عن الحالة السياسية في الحجاز بصفة عامة
ومكة المكرمة بصفة خاصة في ذلك الوقت والتمثلة في فترة سلطة الشريف محمد بن بركات ثم
ابنه الشريف بركات بن محمد الذي خلف أباه علي حكم الحجاز والقاء الضوء علي مراحل
الصراع الذي حدث بينه وبين أخوته علي السلطة . ثم اتناول علاقات الحجاز الخارجية والتي
كانت تربطها باليمن وشرق الجزيرة العربية والعراق والعثمانيين في ذلك الوقت ، وفي الفصل
الثاني وعنوانه التهديد الصليبي البرتغالي للحجاز استعرض فيه اهداف البرتغاليين الصليبيين
في الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح وعلاقتهم بالحشة في ذلك الوقت بالاضافة الي
اطماع البرتغاليين في التجارة الشرقية وموقف كل من المماليك والعثمانيين واشراف الحجاز
من ذلكالخطر الصليبي البرتغالي . ثم الفصل الثالث وعنوانه الاوضاع الاقتصادية في تلك الفترة
فاتحدث عن الحج ومردوده الاقتصادي علي الحجاز اضافة الي دور الموانئ الحجازية في التجارة
الدولية ثم اتطرق الي المنتجات الحجازية في ذلك الوقت . وفي الفصل الرابع وعنوانه الاوضاع
الاجتماعية والعلمية في تلك الفترة فاتحدث عن الحالة الاجتماعية لكان الحجاز واشره فـ
العادات والتقاليد ، واثر المدارس في الناحية العلمية في ذلك الوقت اضافة لما كان يقوم
بالحرمين الشريفين من حركة علمية والحديث عن الاربطة وشئون الحرمين الشريفين ودورهما .
وكان من اهم النتائج التي توصلت اليها :-

- هدوء الحالة السياسية والامنية في فترة تولي الشريف محمد بن بركات تلاها فـ
- واضطرابات نتيجة صراع ابنائه علي السلطة
- قيام علاقات اساسها الدين واللغة والمصالح المتبادلة بين الحجاز وبين كثير من بلاد العالم
الاسلامي في ذلك الوقت .
- ان البرتغاليين حينما قاموا بمهاجمة جنوب العالم الاسلامي بعد وصولهم الي المحيط الهندي
كان هدفهم النيل من الاماكن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة للحقد ضد الاسلام
والمسلمين .
- عندما عجز البرتغاليون عن تحقيق اهدافهم العسكرية حولوا حربيهم مع المسلمين الي حـ
اقتصادية لتدمير اقتصاديات المسلمين .
- كانت هناك محاولات من المماليك لصد البرتغاليين ولكنهم لم ينجحوا لما وصلت اليه الدولة
الملوكية من تدهور وضعف في ذلك تلاها محاولات من الدولة العثمانية .
- لقد كان للحج اثر كبير علي الاقتصاد الحجازي اضافة الي اثر الموانئ الحجازية وطـ
التجارة البرية السارة بها .
- كان لكثرة الاجناس المتنوعة في المجاورين بالحجاز كبير الاثر في العادات والتقاليد
السائدة في ذلك الوقت .
- ازدهار الناحية العلمية في الحرمين الشريفين بالاضافة الي المدارس والبيوت العلمية فـ
ذلك الوقت .

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

المشرف

الطالب

د . سليمان بن وائل التويجري

د . ناصر عبدالله البركاتي

الاسم / محمد طه صلاح بكري

التوقيع ()

التوقيع ()

التوقيع ()

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى ولكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ولقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ولقسم التاريخ الإسلامي على ما حظيت به وحظي به غيري من طلاب العلم من التعاون الصادق والإرشاد السليم لكي تظهر هذه الرسالة بالمستوى المطلوب من التنسيق الذي يعتني بالشكل والمضمون فجزاهم الله خير الجزاء*.

والشكر الجزيل لسعادة الدكتور المشرف ناصر عبد الله البركاتي على ما بذله من الوقت والجهد والتوجيه والنصح في إرشادي وتوجيهي فجزاه الله خير الجزاء*.

مع خالص شكري للمكتبة المركزية ومكتبة البحث العلمي بجامعة أم القرى ومكتبة الحرم المكي الشريف ومكتبة مكة المكرمة والمكتبة العامة بمكة المكرمة والمراكز العلمية التي قدمت خدماتها في سبيل نشر العلم والمعرفة والتي كل من أسهم برأي أو مشورة في إخراج هذا البحث ، وللاستاذ / حسن فؤاد طابع هذا البحث لما بذله من جهد فجزاه الله خيرا .

المفتحة

المقدمة

الحمد لله المستعان في كل الأمور ، والصلاة والسلام على الرسول الكريم
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تعتبر منطقة الحجاز من أهم المناطق في العالم الاسلامي لدى المسلمين
خاصة ، ولدى العالم عامة لما تضمه من مقدسات اسلامية في أطهر وأقدس بلدين
على سطح المعمورة مكة المكرمة بلد الله ومهبط وحيه ومنزل رحماته وقبلة عبادہ فـى
صلاتهم ومنسكهم في حجهم واعتماهم قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :
(وان جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) (١)

والمدينة المنورة حيث كانت الانطلاقة الاسلامية من عاصمة الدولة الاسلامية
الأولى والتي يباثني المساجد في الاسلام ، ولقد اختلف العلماء في تسمية
الحجاز حجازا ، فقال بعضهم يجوز أن يكون مأخوذا من قول العرب حجز الرجل
بعميره ، يحجزه اذا شده شدا يقيد به ، ويقال للجبل حجازا . ويجوز أن يكون
سمى حجازا لأنه يحتجز بالجبال ، يقال احتجزت المرأة اذا شدت ثيابها على
وسطها واتزرت ، وفيه قيل حجزه السراويل (٢) والذي أجمع عليه العلماء في قولهم
حجزه يحجز حجزا أى منه ، والحجاز جبال متدة حاليا بين غور تهامة ونجد (٣)
وقيل الحجاز حاجر بين اليمن والشام (٤) وقيل انما سى الحجاز حجازا لأنـه
يحجز بين نجد وتهامة (٥)

(١) سورة البقرة ، آية (١٢٥) .

(٢) الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٢١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ٢ / ٢١٨ .

(٤) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار

النشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ٨٤ .

(٥) أبي الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، =

ويقع اقليم الحجاز حاليا ضمن المملكة العربية السعودية ، ويؤلف القسم الغربى منها ^(١) ، وحيث أن مكة المكرمة والمدينة المنورة تقعان فى منطقة الحجاز ، كان لابد على الباحث التاريخي أن يهتم بتاريخ هذا الجزء المهم من العالم الاسلامى .

ولقد كان الحجاز كغيره من مناطق العالم الاسلامى يتأثر بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى كانت تتعرض لها الخلافة الاسلامية فى عهودها المختلفة وتتأثر بصفة خاصة بتأثر الأحداث فى الأراضى المصرية لما تأتىها من مساعدات غذائية من الأراضى المصرية الخصبة لأن أراضى الحجاز ليست أراضى زراعية لقلة المياه بها واعتمادها على ما تجود به السماء من امطار ، ولقد توالى على مصر عدة دول لها علاقات مميزة مع الحجاز ومنها الدولة المملوكية التى قامت سنة ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م وأحيت الخلافة العباسية الاسلامية فى مصر ، بعد سقوطها على أيدي الغزاة التتار سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م لكي تطفي على نفوذها الصفوية الشرعية ، وسارعت الى مد سيطرتها على الحجاز .

ورأيت أنه من واجبي كسلم البحث فى تاريخ هذه البقعة المباركة ، حيث أننى وجدت أن الفترة من سنة ٨٥٩ هـ - ١٤٥٤ م الى ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م — تاريخ الحجاز لم تدرس دراسة تاريخية منفردة ، وأن كان هناك معلومات متناثرة فى كتب مطبوعة ومخطوطات متفرقة فى أماكن مختلفة ، وغيرها ، لم يكشف عما حوت للراغب فى معرفة تاريخ هذا البلد ، ولا شك أن هذه الفترة كانت مليئة بأحداث مهمة فى تاريخ الحجاز بصفة خاصة ، والعالم الاسلامى بصفة عامة ، لما كان هناك من فترات تخللها صراع على السلطة داخل الحجاز بين أمراءه من الأشراف ، جعل الحجاز يمر بفترات من الاضطراب السياسى . كما أن هناك غزو صليبي على الاسلام وأماكنه المقدسة ، وفقد سيطرته على مراكز التجارة التى كانت تعتبر الشريان الأساسى للاقتصاد الحجازى بصفة خاصة ، والاقتصاد الاسلامى بصفة عامة . قال تعالى :

= صححه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان دار النشر بباريس المحروسة

سنة ١٤٨٠ ، ص ٧٩ .

(١) السيد رجب ، د . عمر الفاروق ، المدينة المنورة اقتصاديات المكان ، السكان المورفولوجية ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، دار الشروق ، جدة .

(ويكفرون ويكرهون الله والله خير الماكرين)^(١) حيث قامت الدولة المملوكية بواجب الدفاع عن الحرمين الشريفين ، بوصفها حامية الحرمين الشريفين في ذلك الوقت ولكنها في حالة لا تحسد عليها من التفكك والضعف والمشاكل الداخلية ، الأمر الذي جعل الحجاز مستهدفاً من قبل الفزاة البرتغاليون للاستيلاء عليه ومن ثمه تخريبه — الى أن قامت الدولة العثمانية بهذا الواجب بعد سقوط الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧ .

هذا بالإضافة لما يشمله البحث من محاولة لالقاء الضوء على علاقات الحجاز الخارجية في ذلك الوقت مع القوى الاسلامية ، والوضع الاقتصادي السائد في ذلك الوقت والقاء نظرة على الناحية السياسية ودور الموانئ الحجازية في التجارة الدولية . كذلك حاولنا القاء الضوء على الناحية الاجتماعية والعلمية في تلك الفترة من ناحية التركيب الاجتماعي لسكان الحجاز وما كان سائداً من عادات وتقاليد بالإضافة الى الناحية العلمية في الحرمين الشريفين والمدارس في ذلك الوقت ودور الأربطة والسبل في تقديم الخدمات للمجاورين بالمدينتين المقدستين وطلاب العلم . وكان علينا قبل أن نبدأ بذكر أحداث الفترة المشار اليها في هذا البحث أن نلقي بعض الضوء على أوضاع الحجاز العامة قبل الفترة المراد بحثها . حيث كان يتولى الامارة في مكة المكرمة الشريف بركات بن حسن بن عجلان ، الذي تولى بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٩هـ - ١٤٢٥م^(٢) ولكن الخصومات التي كانت بين الأشراف على السلطة في الحجاز جعلت ولاية الشريف بركات بن حسن بن عجلان على الحجاز

(١) سورة الأنفال ، آية (٢٩) .

(٢) ابن فهد الهاشمي ، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهد محمد شلتوت ، الطبعة الاولى ، السنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م دار النشر جامعة أم القرى مركز احياء التراث الاسلامي ، ج ٢ ص ٤٠٠ .

تنقسم الى فترتين زمنييتين ، حيث نجد أنه سنة ٨٤٥هـ - ١٤٤١م ، أبعد الشريف بركات بن حسن عن الامارة بأخيه الشريف علي بن حسن ، الذي استمر على امارة مكة المكرمة الى سنة ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م حيث أبعد هو الآخر وعاد الشريف بركات بن حسن الى امارة مكة المكرمة مرة أخرى .^(١)

ومن الواضح في تاريخ الدولة المملوكية أن سياستها الخارجية تجاه الحجاز كانت تقوم على منافعها المادية التي ظهرت بابتزازها للأموال من الحجاز لخزانة الدولة المملوكية منذ حوالي سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م ، وكثيراً ما كانت الدولة المملوكية تساعد على قيام الخصومات بين أشعراى الحجاز ، لتجعل لها السيطرة على الموقف السياسى والحربى فى الحجاز ، ولخشيتها من أن يستقل الحجاز عن التبعية الاسمية لها ، وكانت الدولة المملوكية فى ذلك الوقت قد بدأت تواجه صعوبات خارجية وداخلية تمنعها من ذلك ، ومن تلك الصعوبات الخارجية ظهور الدولة العثمانية وما كان بينها وبين المماليك من مناقشات على الحدود بينهما ومن الصعوبات الداخلية الثورات والمؤامرات التى كانت بين المماليك أنفسهم والتي كانت لها أغراض متعددة مثل السيطرة على السلطة أو ثورات المماليك الجلبان لعدم اقتناعهم بما يقدمه لهم السلطان المملوك من أموال وأقطاعات .

وفى الحقيقة أن النظرة المملوكية التى كانت تقوم على جمع الأموال وعدم التفات قادتها الى أحوال البلاد التى كانت موالية لها قد أدت الى إهمال شئون البلاد الداخلية فى مصر والشام وجشعهم المتزايد فى دخول تجارة البحر الأحمر ما أثر على النواحي الاقتصادية والتجارية والعلمية والاجتماعية فى تلك البلاد ما أثر أيضا على الحجاز نفسه .

أما بالنسبة لأهم مصادر دراسة تلك الفترة الزمنية فى تاريخ الحجاز فتنحصر فى بعض الكتب المعاصرة أو شبه المعاصرة ومنها ، كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، للمؤرخ الامام محبت بن أحمد بن على الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ - ١٤٢٨م ، والذي يعتبر من أهم مصادر تاريخ مكة المكرمة ، وكتاب الضوء

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٤٢٢ .

اللامع لأهل القرن التاسع للمؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفى سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م ، ويعتبر كتابه من أهم المؤلفات التي اعتنت بالترجمة لمشاهير القرن التاسع الهجري ، وكتاب أتحاف الوري بأخبار أم القرى للمؤرخ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي المكي نسبة إلى مكة المكرمة ، كان ميلاده سنة ٨١٢ هـ - ١٤٠٩ م ولقد كتب ابن فهد الأحداث السياسية التي مرت بالحجاز في عهده بالإضافة إلى الناحية العلمية في مكة المكرمة ، والناحية الاقتصادية والاجتماعية والدينية في فترة عهده . ولقد اتبع في كتابه طريقة الحوليات ، حيث رتب حوادث التاريخ على السنين ، وقد توفي نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م .

وكتاب غاية الغرام بأخبار سلطنة البلد الحرام للمؤرخ عز الدين عبد العزيز ابن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المولود سنة ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م ، والذي اتبع طريقة التراجم لأمرأ مكة المكرمة . ولقد توفي سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م .

ويعتبر المصدران السابقان من أهم مصادر البحث التي تعد البحوث بالمعلومات المتنوعة عن الحجاز ، إضافة إلى مصادر أخرى منها :-

كتاب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وثناء البيت الشريف للمؤرخ جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين أبي بكر علي بن ظهيرة القرشي المخزومي ، المتوفى سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م ، وكتاب الأعلام بأعلام بلد الله الحرام للمؤرخ محمد قطب الدين النهروالي المكي الحنفي ، المتوفى سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٨٢ م ، وكتاب أعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام للمؤرخ عبد الكريم بن محب الدين القطبي ، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ - ١٦٠٥ م . والأرجح المسكي في التاريخ المكي للمؤرخ علي بن عبد القادر بن يحيى الحسني الطبري المتوفى سنة ١٠٧٠ - ١٦٥٩ م الذي حققه د . محمد الطاسان ، ومناجح الكرم في أخبار البيت وولاية الحرم للمؤرخ علي بن تاج الدين المكي المعروف بالسنجاري ، المتوفى سنة

١١٢٥هـ - ١٢١٣م ، واتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن للمؤرخ محمد ابن على بن فضل بن يحيى الحسيني المتوفى سنة ١١٧٣هـ - ١٢٥٩م الذى حققه د . ناصر عبدالله البركاتى ، ودائع الزهور في وقائع الدهور للمؤرخ محمد بن أحمد ابن اياس المتوفى سنة ٩٣٠هـ - ١٥٢٣م ، وكتاب درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج ، وطريق مكة المعطرة لعبد القادر بن محمد الانصارى الجزيرى المتوفى سنة ٩٧٦هـ - ١٥٣٧م ، الذى تحدث عن قافلة المحمل التى كانت تتجه الى الاراضى المقدسة وعن رياستها وتنظيمها ، بالاضافة الى تطرقه لبعض الاحداث السياسية التى كانت تتعرض لها مكة المكرمة فى تلك السنين ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة للمؤرخ ابن تفرى بردى الاتابكى المتوفى سنة ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م ، بالاضافة لغيرها من المصادر التى تحدثت عن الحجاز والدولة المملوكية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى فترة بحثنا هذا .

ولقد واجهت بعض الصعوبات أثناء اعدادى فى هذا البحث فيما يختص بجمع معلومات بعض نقاط هذا البحث ، ولكنني حاولت جاهدا عدم الغاء تلك النقاط من خطة البحث ، وتمكنت من جمع معلومات تفي بالقدر الكافى لظهار تلك النقاط بصورة توضح أهدافها التاريخية قدر المستطاع . وخطة البحث المعسدة لهذا الموضوع مقسمة الى أربعة فصول ، وكل فصل يحتوى على عدد من النقاط .

فالفصل الأول يتحدث عن الأوضاع السياسية فى الحجاز فى فترة بحثى هذا ويضم عددا من النقاط منها : سلطة الشريف محمد بن بركات على الحجاز والامتدة من سنة ٨٥٩هـ - ١٤٥٤م ، الى سنة ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م وأهم الأحداث التاريخية التى مرت بامارة الحجاز فى عهده .

ثم يلى ذلك نقطة الصراع على السلطة بين أبناء الشريف محمد بن بركات وموقف الدولة المملوكية من ذلك الصراع ، حيث استعرض الفترة الزمنية التى دار

ففيها ذلك الصراع وما سببه من اضطراب سياسى فى الحجاز بصفة عامة .

يلى ذلك موضوع سيطرة الشريف بركات بن محمد على الأوضاع فى الحجاز حيث تمكن من السيطرة على السلطة وأهم الأحداث التاريخية التى شهدتها الحجاز فى فترة توليه ، ثم أتطرق فى النقطة التى تلى ذلك الى العلاقة بين أشرف الحجاز وسلاطين المماليك بمصر والشام والتى كانت تمر فى بعض الأحيان بفترات من التوتر والهدوء السياسى .

اتطرق فى النقطة التى يعدها الى علاقات الحجاز الخارجية مع كل من اليمن وشرق الجزيرة العربية والعراق والدولة العثمانية قبل سقوط دولة المماليك .

أما الفصل الثانى الذى عنوانه : التهديد الصليبي البرتغالى للحجاز فيضم عددا من النقاط منها : هدف البرتغاليين من الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح ، والحبشة والبرتغال والتفكير الصليبي العدواني على الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والتجارة والأطباع البرتغالية ، وموقف أشرف الحجاز من الخطر البرتغالى فى البحر الأحمر ، والمماليك ودورهم فى صد العدوان الصليبي على الحجاز من ناحية وعن السواحل الاسلامية من ناحية أخرى وموقف العثمانيين من الخطر البرتغالى فى البحر الأحمر بعد سيطرتهم على الاراضى المملوكية بعد سقوطها سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٢م .

والفصل الثالث وعنوانه : الأوضاع الاقتصادية فى تلك الفترة فيشمل على نقاط منها الحج والمردود الاقتصادى على إمارة الحجاز ، ودور الموانى الحجازية فى التجارة الدولية فى ذلك الوقت ومن تلك الموانى ميناء جدة ورايح وينبع وغيرها من الموانى ، ثم أتطرق فى هذا الفصل الى الحديث عن المنتجات الحجازية والطرق التجارية البرية المارة بالحجاز والتى كانت فى نفس الوقت طرق للحجيج ، ثم أتحدث عن الأثر الذى تركه تحول التجارة العالمية عن البحار الاسلامية الى طريق رأس الرجاء

الصالح على الاقتصاد الحجازى واقتصاد العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، اضافة الى التأثير الواضح للصراع الذى قام بين كل من الصفيين والماليك والعثمانيين على الاقتصاد الحجازى .

أما فى الفصل الرابع الذى عنوانه : الاوضاع الاجتماعية والعلمية فى تلك الفترة فأتحدث عن التركيب الاجتماعى لسكان الحجاز وأثره فى العادات والتقاليد التى كانت سائدة فى ذلك الزمن ، ثم أتطرق الى الحديث عن الناحية العلمية فى الحرمين الشريفين وأثر المجاورين الذين جاؤوا بمكة المكرمة والمدينة المنورة فى الناحية العلمية وغيرها ، وفتحدث عن المدارس والبيوت العلمية فى تلك الفترة اضافة الى الحج وأثره الدينى والاجتماعى وشئون الحرمين الشريفين والأربطة وأثرها الاجتماعى واقامة السبل لخدمة الحجاج وطلاب العلم . وسوف أخذ منطقة مكة المكرمة كمثال لهذه الدراسة نظرا لأن بها الثقل السياسى والاقتصادى فى ذلك الوقت . ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من اسهم معى بمجهوده وتوجيهه فى اخراج هذا البحث ، وبخاصة : سعادة الدكتور ناصر عبد الله البركاتى المشرف على الرسالة والذى بذل الكثير من الجهد والوقت والتوجيه المتواصل فجزاه الله خير الجزاء وكذلك المكتبة المركزية بجامعة أم القرى ، وقسم المخطوطات بمركز البحث العلمى ومكتبة الحرم المكي الشريف ، وشكرا خاصا الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة بصفة عامة وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بصفة خاصة التى وفرت كل المساعدة للطلاب فى سبيل تحصيل العلم والمعرفة ، كما اشكر قسم التاريخ الاسلامى وكل من ساهم فى اخراج هذا البحث .

أسأل الله العلى القدير ان يوفقنى الى تقديم هذا البحث بصورة جيدة ، يتحقق من وراءها الفرض المنشود ، الا وهو توضيح بعض تاريخ هذه المنطقة العزيزة على كل المسلمين وابرار أهم الأحداث التاريخية التى شهدتها تلك الفترة والتى كانت على قدر كبير من الأهمية فى تاريخ الحجاز ، وتاريخ العالم الاسلامى .

أسأل الله التوفيق انه على كل شئ قدير وهو حسبي ونعم الوكيل .

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في الجزائر

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في الحجاز

١ - الشريف محمد بن بركات وسلطة الحجاز ٨٥٩-٩٠٣هـ / ١٤٥٤ - ١٤٩٧م .

تعتبر فترة تولي الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان آل قتادة^(١)

انظر ملحق رقم (١) فيه النسب الكامل للشريف محمد بن بركات وغيره من طبقات
الأشراف التي حكمت مكة المكرمة والحجاز بصفة عامة ، من أقوى وأطول الفترات بالنسبة
لغيره من الأشراف الذين تولوا الحكم في الحجاز ، وخاصة من أبناء أسرته ، التي
استطاعت الوصول لحكم الحجاز على يد الشريف قتادة بن إدريس بن مطاع بن
عبد الكريم الحسني الذي استطاع السيطرة على مكة المكرمة ومعظم مدن الحجاز من
أيدي الأشراف الهواشم^(٢) من بني الحسن سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ، ومن ثمة تعاقب
بنوه على السلطة في الحجاز .^(٣)

وكانت تولية الشريف محمد بن بركات الحسني حكم مكة المكرمة قد تمت عن

(١) أمير الحرمين والحجاز قاطبة جمال الدين أبو الفرج أمه الشريفه شقراء ابنة
زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جواز ولد سنة ٨٤٠هـ بمكة وأستجار
له جماعة من المشايخ .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية لرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ،
ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) الهواشم : هم الطبقة الثالثة من الأشراف التي حكمت الحجاز ، وتنسب إلى
الشريف محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، تولي أمرة مكة سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م
ودام حكمهم إلى سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .

الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم
الانصاري : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،
المطبعة السلفية ومكبتها بالقاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ص ٥٨٣ .

(٣) ابن فهد الهاشمي ، نجم الدين عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد :

اتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق د . عبد الكريم علي عبد الكريم الباز ،

رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢ ص ٢٤ =

طريق والده الشريف بركات بن حسن بن عجلان ، الذى شعر بكبر سنه ، وعندم استطاعته القيام بمهام الحكم كما ينبغي . فقال جاني بك نائب السلطنة المملوكية فى جدة ، أن يكاتب السلطان المملوكى الأشرف اينال^(١) فى القاهرة ، ويسأله فى أمر تولية ابنه الشريف محمد بن بركات أمر مكة المكرمة بدلا عنه لعجزه .^(٢)

هذا المعجز الذى تجلى سنة ٨٥٧هـ - ١٥٤٣م ، حينما تحالف ضده القواد العمرة^(٣) التابعون لذوى حميضة^(٤) والأشراف من ذوى أبي نبي الدين الذين ينادون بتولية الشريف أحمد بن ابراهيم بن حسن بن عجلان آل قتادة الحسنى ، حيث لم يستطيع الشريف بركات بن حسن بن عجلان القضاء على هذه الحركة . واضطر لتهدئة الأمور بدفع مبلغ أربعة آلاف دينار للقواد ، وثلاثمائة

= الجاسر ، حمد : نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب . رب بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية ، وانطباعات خاصة ، دار الياسمين الرياض ، ص ٣٧ .

(١) الأشرف اينال : هو اينال الأجرود العلالي الناصرى فرج .
تولى السلطة فى مصر سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ودام ملكه الى أن توفى سنة ٨٦٥هـ - ١٤٦٠هـ .

ابن تفرى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى : تحقيق فهيم محمد شلتوت ، جامعة أم القرى ، ج ١ ص ١٧٥ ترجمة رقم ٦٢٣ .

(٢) ابن فهد ، عمير : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٣٠ .
ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٠٧ .
الحسينى ، محمد بن على بن فضل بن عبد الله بن يحيى الطبرى الشافعى المكي : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بغى الحسن وولاية قتادة ، مخطوط ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) القواد العمرة : ينسبون الى عمر بن أبى سعود مولى الشريف أبى سعيد بن على بن قتادة أمير مكة .

ابن فهد ، عمير : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٥٢ .
(٤) ذوى حميضة : موالى الشريف حميضة بن أبى نبي الأول ، والحميضيات =



الاف دينار للشريف أحمد بن إبراهيم^(١) وقد تمت موافقة السلطان المملوكي اينال على تولية الشريف محمد بن بركات حكم مكة المكرمة ، مقابل خمسين ألف دينار يدفعها للخزانة السلطانية ، اضافة لجبال أخرى يدفعها لكبار رجالات الدولة المملوكية في مصر ، ولولد السلطان وزوجته^(٢).

وهذا يبين لنا ما وصلت اليه الأوضاع السياسية في مصر ، ومدى تأثير ذلك على الحجاز ، وتدخل السلطان المملوكي في الأمور السياسية بالحجاز ، عن طريق فرض الأموال وتأييد الاضطرابات لهدف الطمع الحادى ، لمحاولة مقاومة الضعف والتدهور في الدولة المملوكية نفسها ، في الوقت الذى لا تستطيع تلك الدولة التدخل العسكري لتغيير وضع ما في الحجاز أو غيرها ، لما كانت تواجهه الدولة المملوكية من مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية ، محاولسة اثارة المشاكل الداخلية في الحجاز ، لتحفظ لنفسها بسلطة التأثير ، ولقد كانت المشاكل الداخلية والخارجية التى واجهت السلطنة

والعمرة ظل أسهم مرتبطا بمكة منذ حوالى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى الى القرن العاشر الهجرى الخامس عشر ، السادس عشر الميلادى .

ابن فهد ، عمــــر : اتحاف الورى ، ج٤ ص ٥٢ .

(١) المشيخ ، ابراهيم بن حمود : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال " الدر الكمين " لابن فهد ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ص ٢٧ .

(٢) ابن تفرى بردى ، جمال الدين أبو الحسن يوسف : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق جمال الدين الشيال ، أ . فهم محمد شلتوت

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، ج ١٦ ص ٩٢ .

المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٨ .
موريل ، د . ريتشارد : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى ، الطبعة الاولى ، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٥١ .

الملوكية في أواخر عهد ها ، قد انعكست على علاقاتها بسلطة الحجاز ، في الوقت
التي أدت بها الى السقوط على يد الأتراك العثمانيين في سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م^(١)

وعلى كل حال فقد التزم الشريف محمد بن بركات بدفع المبلغ الذي التزم
به والده للسلطان الملوكي ، وذلك لأن والده الشريف بركات توفي في يوم الاثنين
تاسع عشر شعبان سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م^(٢) قبل ورود الخبر من القاهرة بموافقة
السلطان على طلبه . وكانت وفاته بأرض خالد بواي مر^(٣) حيث وصل في اليوم التالي
مبعوث من القاهرة بمرسوم يتضمن ولاية الشريف محمد بن بركات على مكة المكرمة ، مؤرخ
بسادس عشر رجب من نفس العام المذكور .

وكان الشريف محمد بن بركات غائبا في بعض الجهات من نواحي اليمـ
لامور تتعلق بشئون الحجاز ، فرجع الى مكة المكرمة ، وقرى مرسوم تجليته بالخطيم

(١) ابن ظهيرة القرشي ، جمال الدين محمد جار الله محمد نور الدين بن أبي

بكر على : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وناء البيت الشريف ، الطبعة

الثانية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بحصر ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٨م ، ص ٢٢٢

(٢) ابن تغري بردي ، جمال الدين — : الدليل الشافسي

ج ١ ص ١٨٨ .

ابن فهد ، — : اتحاف الوري . ج ٤ ص ٢٦٠ .

ابن فهد ، — : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٣١٧ .

الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٣ .

ابن ظهيرة ، محمد — : الجامع اللطيف ، ص ٣٢١ .

(٣) أرض خالد بواي مر : يقول أبي الفداء ، هي : بقعة فيها عدة قـرى

وماء تجري وهي عن مكة مسيرة يوم وتجلب منها ومن الطائف الخضار والثمار

الى مكة .

أبي الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، ص ٩٥

ويزيد ياقوت الحموي : بأنه يسمى مر الظهران ويقول أنه بينه وبين مكة

خمس أميال .

الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٠

بالمسجد الحرام ، يوم الجمعة سابع رمضان من نفس عام ١٨٥٩ هـ - ١٤٥٤ م ، كعادة الأشراف ، وفي يوم الأربعاء الرابع من شهر شوال من نفس العام ، ورد للشریف محمد بن بركات مرسوم من السلطان المملوكي ، يتضمن التعزية في وفاة والده وتأیید ولايته . (١)

ويذكر أن الشریف محمد بن بركات كان شاركا لأبيه الشریف بركات في حكم الحجاز قبل وفاته . (٢) ما أظهره بالخبرة والحنكة في إدارة البلاد ، حيث كان الشریف محمد على جانب كبير من العدل والتصرف السليم الحسن في تدبير شئون البلاد فنراه منذ بداية حكمه يقوم بالمحافظة على هيئة تلك السلطة من الناحية السياسية لدى المناطق التي يصل نفوذ حكمه اليها ، بل ويقوم بتوسيع حدود بلاده مستفيدا من تلك الهيئة ، لكي يتسنى له الوفاء بالتزاماته كحاكم لمنطقة

-
- (١) ابن فهد ، عمدة : اتحاف البوری ، ج ٤ ص ٢٦١ .
ابن فهد ، عمدة العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٠٨ .
الطاهر ، عبد الهادي محمد صالح : الدرر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر مخطوط ، ص ١٠ .
الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلا الزمن ، ج ١ ص ١٠٨ .
السنجاري ، علي بن تاج الدين المكي : منائح الكرم في أخبار البيت وولاية الحرم ، مخطوط ، ص ١٠٥ .
النصاغ ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المكي المالكي : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام - مخطوط ، ص ١٩١ .
الحضراوي ، أحمد بن محمد : تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السيسر - مخطوط ، ج ٢ ص ٢٥٦ .
دحلان ، أحمد زيني : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية بمصر ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٤٤ .
(٢) الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الطبعة الأولى ، دار النشر الشيخ معروف عبد الله ياسنند والتاجر بالجمالية بمصر ، ١٣٤٨ هـ ، ص ١٤٠ .

الحجاز ، بالإضافة الى التزاماته المالية تجاه الدولة المملوكية ، وقد كان نفوذ سلطة حكام الحجاز متدا على مساحة يمكن تحديدها شرقاً بترية ^(١) وحرّة البقوم ^(٢) وما حولها ، وأحياناً تشمل نجد وغرباً البحر الأحمر ، وجنوباً حلى بني يعقوب ^(٣) وجيزان التي يسكنها في تلك الفترة بنو الحراشي دريب ثم أخوه محمد ، وهي تتبع سلطة إمارة الحجاز في ذلك الوقت . أما الجهة الشمالية فيحدها ينبع وما حولها ، التي كان يتولى إمارتها أحد الأسر الحسنية ، ومنهم عقيل بن بربير بن مخبار الحسني ، وهي إمارة تتبع سلطة إمارة مكة في معظم الأحيان ، وبخاصة عندما تكون الأوضاع هادئة في الحجاز . وأما إمارة المدينة المنورة ، الواقعة أيضاً شمال سلطة إمارة مكة المكرمة فهي وإن كانت إمارة مستقلة ، إلا أنها في معظم الأحيان تتبع حاكم مكة المكرمة في الأوقات التي يكون فيها حاكم مكة قوى ومؤيداً من الدولة المملوكية بمصر تخضع لـه جميع أقاليم الحجاز وما حولها ، ومن ذلك كانت سلطة الحجاز تضم إلى حكم مكة المكرمة كلا من إمارة ينبع والمدينة المنورة وحلى بني يعقوب وجيزان في عهد

(١) تربة من مخاليف مكة بنجد .

- ابن خرداذبه ، أبي القاسم عبد الله : المسالك والممالك ، ص ١٣٣ .

- ويقول الحموي : تربة ، واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

- الحموي ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٠ .

والأصح أن تربة على مسافة يومين من الطائف وليس مكة .

(٢) حرّة البقوم : هي القسم الجنوبي من حرّة بنى هلال القديّة وهي امتداد

لحرّة النواصب في الجنوب .

- البلاذري ، عاتق : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) حلى بني يعقوب : من أطراف اليمن من جهة الحجاز .

- ابن الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد : تقويم البلدان ، ص ٩٣

أمرائها الأقوياء . وفيما عدا ذلك كانت تقتصر على الحدود التي ذكرناها .^(١)

ويذكر بعض المؤرخين أن سلطة حكام الحجاز كانت تصل أحيانا إلى البحرين^(٢) ولقد كان الشريف محمد بن بركات من حكام الحجاز الذين فوضت لهم السلطة المملوكية في مصر أمر الحجاز عامة ، حيث امتدت ولايته شمال المدينة المنورة وجنوبا إلى منطقة جيزان ، وشرق الحجاز إلى منطقة تربة وما حولها ، وصـرح باسمه على منبر المدينة المنورة بعد السلطان ، وقبل أميرها .^(٣) وتذكر بعض المراجع أن إمارة المدينة المنورة وينبع ، كانت تتبع فرع آخر من سيطرة الأشراف وهم الأشراف الحسينيون^(٤) ، في حين تذكر لنا المصادر أن الشريف محمد بن بركات كانت تخضع لسلطته عامة الحجاز إلى جيزان جنوبا^(٥) ومنذ أن تولى الشريف محمد ابن بركات مقاليد السلطة في الحجاز ، نراه يوجه اهتمامه لعدة اتجاهات . ومن

- (١) ابن فهد ، ——— : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٥٥ .
- الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .
- (٢) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب نجد ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ص ١٥٥ .
- (٣) ابن فهد ، ——— : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٣٠ .
- العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك : سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي . المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ج٤ ص ٣٧٨
- (٤) البحراوي ، د . محمد عبد اللطيف : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، الطبعة الاولى ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٣٧ .
- (٥) ابن فهد ، عبد العزيز ——— : غاية المرام ، ج٢ ص ٥٣٨ (يقول المؤرخ انه في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الثاني سنة ٨٨٧هـ - ١٤٨٢م قرئ مرسوم في الحطيم من ضمنه أن جميع ولايات الحجاز للشريف محمد بن بركات) .

هذه الاتجاهات الغزوات التأديبية والتوسع على حساب البلاد المجاورة ، للمحافظة على سلطته . ومن غزواته ، غزوة التي قام بها ضد عرب البقوم القاطنين شرق الطائف ، وذلك في شهر شوال سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م والتي عاد منها غانما ^(١) وفي سنة ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م ، أوفى السنة التي قبلها ٨٦٤ هـ - ١٤٥٩ م ، توجه الشريف محمد بن بركات الى ناحية شرق الحجاز غازيا بعض الجماعات من الأعراب لتأديبهم ^(٢) وفي الثامن عشر من شهر رجب سنة ٨٧١ هـ - ١٤٦٦ م ، قاد الشريف محمد حملة توجه بها من جدة الى ينبع ، وذلك لقتال الأشراف ذوي هجان وذوي ابراهيم فسي عسكر كثير ، وحاصر المذكورين بهلاد هم السوق ^(٣) فاستشفعت عنده خاتون ابنة هجان بن محمد بن مسعود أخت سبع وزوجة خنافر بن عقيل بن ومير أمير البلاد ، التي نزلت اليه فشفعها وعاد لمكة ^(٤) وفي نفس العام ٨٧١ هـ - ١٤٦٦ م أيضا ، بعث الشريف محمد بن بركات بقوة الى حلي لقتال أهلها ، لاخراجهم الأمير محمد ابن دريب عن امارتهم ، بعد أن عينه الشريف محمد بن بركات أميرا عليهم ، وأيضا

(١) ابن فهد ، عمــــر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٢٩٨ .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الرام ، ج٢ ص ٥٠٩ .

- المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٨ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ .

(٢) ابن فهد ، عمــــر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٣١٧ .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الرام ، ج٢ ص ٥١٠ .

- المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية منها ، ص ٢٨ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ .

(٣) السوق : سوق وعين في ينبع النخل .

- البلادى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، ج٤ ص ٢٥٥ .

(٤) ابن فهد ، عمــــر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٣٥٩ .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الرام ، ج٢ ص ٥١١ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ .

(١) لكي يعيدها الى تبعية .

وفي شهر شعبان سنة ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ - ١٤٦٩ م ، سار الشريف محمد بن بركات على رأس همكره لمقاتلة قبيلة زبيد ذوى مالك ، بالقرب من رابع ، واستطاع الشريف محمد قتل شيخهم رومي ، وعدد ١٠ من رجاله (٢) وفي محرم سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ، قاد الشريف محمد بن بركات أيضا حملة ضد جماعة من عرب البقوم وبثولام ، واستطاع احراز بعض الغنائم (٣) وكان ذلك ناحية شرق الحجاز .

وفي شهر صفر سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ، توجه الشريف محمد بن بركات لغزو بعض عرب عتيبة ، وذلك لا متناعهم عن دفع ما أقره عليهم الشريف ، ولقد استطاع الظفر ببعضهم (٤) وفي شعبان سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ، تمكن الشريف محمد ابن بركات من الايقاع بجماعة من عرب زبيد عند جبل صبح قرب المدينة المنورة وقتل جماعة منهم ، وفي شوال أو ذى القعدة من سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ايضا ، حصل بين الشريف محمد وبين قبيلة زبيد الذين كان شيخهم رومي خلاف ، مما أدى الى حصول عصيان منهم ، فبعث الشريف محمد بن بركات خاله شامان بن زهير

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥١٢ .

— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٣٧٩ .

— ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥١٣ .

— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٦٦ .

— المعصاي ، عبد الطك : سبط النجوم العوالي ، ج ٤ ص ٢٧٦ .

— دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٤ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٣٨٨ .

— ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥١٤ .

— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥١٤ .

وأخوين له أحدهما الشريف علي وآخر أصغر منه لحاظتهم ، وذلك بعد أن وضع لهم مكيمة قتالية ، وهي أن يشاع أن هذه القوة العسكرية التي أعدها الشريف محمد إنما هدفها ناحية الشرق ، في حين أن هدفها الحقيقي هو زبيد ، وتكثرت القوة من تحقيق الانتصار على زبيد .^(١)

وفي رمضان سنة ٨٧٦ هـ - ١٤٧١ م ، توجه الشريف محمد بن بركات وقوته العسكرية ناحية شرق إمارته غازيا ، وأغار على عرب البقوم ، واستطاع احراز نصرا عليهم .^(٢) وفي شهر ربيع الأول سنة ٨٧٨ هـ - ١٤٧٣ م ، توجه الشريف محمد ناحية الشرق للغزو أيضا . ومن أكبر الغزوات التي قادها الشريف محمد بن بركات الغزوة التي قام بها ضد جيزان جنوب سلطنة الحجاز ، ويرجع سبب تلك المعركة لأُمُور عديدة منها ، غضب الشريف محمد على أمير جيزان أبو الفواير أحمد بن دريب بن خالد لأكرامه لأخيه علي لما ذهب إليه مغاضبا لأخيه محمد كما سيأتي ذكره وساعدته في تعديته بحرا إلى سواكن ،^(٣) بحيث استطاع الوصول إلى السلطان المطوكي في مصر ، ومن الأمور التي أغضبت الشريف محمد أيضا ، إيواء أمير جيزان لمن ينفقهم الشريف محمد من جنده ، وفي الحقيقة لم يكن الشريف محمد ليترك إمارة جيزان تنافسه أو تكون وكرا لثورة الخارجين عليه ، أو تهديدا لبلاده ، بمساعدة الدولة الطاهرية^(٤) الصديقة لأمير جيزان الشريف أبو الفواير .

(١) ابن فهد ، ——— : اتحاف البورى ، ج٤ ص ٤١٠ .

ابن فهد ، محمد العزيمز : غاية المرام ، ج٢ ص ٥١٦ .

(٢) ابن فهد ، ——— : اتحاف البورى ، ج٢ ص ٤٢٠ .

(٣) سواكن : بلد على ساحل بحر الجار - البحر الأحمر - قرب عيذاب .

- الحميرى ، محمد عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ٣٣٢ .

(٤) الدولة الطاهرة : قامت في اليمن بعد دولة بنى رسول وحكمت ———

٨٥٠ هـ إلى ٩٢٣ هـ ، ١٤٤٦ - ١٥١٧ م .

ولقد وصل الشريف محمد بن بركات الى جيزان فى شهر ربيع الأول سنة ٨٨٢ هـ - ١٤٧٧ م ومن ثمة أخذ فى محاصرتها ، فجاء اليه المشايخ من جيزان طالبين منه الصلح ، فقال لهم : (بعد أن جئت الى هنا فلا بد أن أدخل من باب وأخرج من الثاني ولا أحدث شيئاً)^(١) فلم يوافق أمير جيزان ، عندئذ تقاتل الطرفان ، وكان النصر حليف الأمير محمد بن بركات ، واشتعلت النيران فى مدينة جيزان من قبل جند الشريف محمد ، وقيل أنها اشتعلت بفعل ريح قوية وسيطرت قوة الشريف محمد على جيزان^(٢) .

-
- (١) ابن فهد ، عبد العزيز — : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٢٤ .
 (٢) - ابن فهد ، عمر — : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٤٧٧ .
 - الجزيرى ، عبد القادر ، درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .
 - القاسم بن على ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني ، تحقيق د . سعيد عبدالفتاح عاشور ، مراجعة د . محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .
 ١٩٦٨ م . ج ٢ ص ٦٠٩ .
 - الحضراوى ، أحمد بن محمد : تاج تواريخ البشر ، ج ٢ ص ٢٦١ .
 - الكبسى ، بدر الدين محمد بن اسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد ابن على بن محمد بن أحمد ، اللطائف السنوية فى أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط ، ص ٥٥ . (يقول ان المعركة وقعت سنة ٨٨٣ هـ - ١٤٧٨ م)
 - الوزير ، عبدالله بن على بن محمد بن ابراهيم : جامع المتون فى أخبار اليمن اليمون ، مخطوط ، ص ١١٤ . (يقول ان المعركة وقعت سنة ٨٨١ هـ - ١٤٧٦ م)
 - العقيلي ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليمانى ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ج ١ ص ٢٦٢ .
 - المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٨ .
 - مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٧ .

كان من أهم نتائج هذه المعركة ، اعتراف الشريف أبي العوائر بالتمعية
لأمير مكة المكرمة والتعهد بدفع مبلغ سنوى له . هذا وقد قام الشريف محمد بن
بركات بالتوجه الى جيزان أيضا فى سنة ٨٨٤هـ - ١٤٧٩م ، حيث هدم حصونها ،
وأخذ من أميرها الأموال ^(١) ولم تكن غزوات الشريف محمد بن بركات على جيزان
لتجعل علاقاته تقطع نهائيا مع الدولة الطاهرية فى اليمن . بل نجد أن علاقاته
بتلك الدولة تنمو . وكان أمير جيزان يهدى للدولة الطاهرية فى كل عام ما يساوى
ألف دينار على سبيل الهدية ^(٢) ، وربما تكون هذه المجاملة على سبيل جعل الدولة
الطاهرية تصرف أنظارها عن غزو جيزان هي الأخرى حتى لا يثير صدام على أراضيها
بين الحجاز واليمن .

وتذكر بعض المصادر أن الشريف محمد بن بركات فى سنة ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م
حاول غزو عدن لمساعدة ملك اليمن محمد بن عبد الوهاب عندما وقعت له بعض
المشكلات مع أهل البلاد ^(٣) ، ومن الغزوات التي قام بها الشريف محمد بن بركات
خلال سلطته على الحجاز أيضا ، سيره الى ناحية شرق بلاد في شهر شوال سنة
٨٨٢هـ - ١٤٧٧م وذلك لغزو عرب الحنيشي ^(٤) ولقد استطاع احراز بعض الفنائم
ثم عاد لمكة المكرمة ^(٥) وفى جماد الآخرة سنة ٨٨٥هـ - ١٤٨٠م ، قام الشريف

-
- (١) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٩
(٢) المدخل ، محمد ربيع هادى عمير : الأحوال السياسية والمظاهر
الحضارية فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري ٨٩٤ - ٩٢٣هـ /
١٤٨٨ - ١٥١٧م ، رسالة جامعية ، ص ١٩٧ .
(٣) الحضراوى ، أحمد : تاج تواريخ البشر ، ج ٢ ص ٢٦١ .
(٤) هم فخذ من ناصرة عرب بجيلة .
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٦٣ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٣٠ .

محمد بحملة ضد عرب بيشة^(١) وفي سنة ٨٨٨ هـ - ١٤٨٣ م ، بعث الشريف محمد ولديه بركات - وهزاع لفزوعرب الحنيش ، ولقد أسفرت هذه الغزوة عن أخضاع عرب الحنيش وتأديبهم لحكم الشريف محمد بن بركات^(٢) .

هذا وفي نفس العام ، بعث الشريف محمد بعسكر الى شرق الحجاز لقتال بعض الأعراب هناك ، وفي سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م ، توجه الشريف محمد وابنه بركات الى ينبع لمحاربة بني ابراهيم ، ولقد استطاع الحاق الهزيمة بهم^(٣) .

وفي عام ٨٩٢ هـ - ١٤٨٦ م ، خرج الشريف بركات بن محمد بن بركات من الحجاز للفزوة ناحية شرق الحجاز ، ومعه أمير ينبع دراج بن سبع بن هجان ، وحقق النصر في غزوة^(٤) . وفي سنة ٨٩٣ هـ - ١٤٨٧ م ، سار الشريف محمد وعسكره غازيا ناحية شرق بلاد ، وكانت غزوته تستهدف عرب بني لام ، الذين كانوا يسكنون قرب المدينة المنورة ، وسبب ذلك أن بعضهم قد خرب حصون خاله شامان^(٥) .

ولم تهدأ الحرب بينه وبينهم بذلك ، فلقد سير عسكرا لمحاربتهم مرة أخرى في شهر رجب سنة ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م ، واستطاعت هذه الحملة الحاق الهزيمة

(١) بيشة : وادي من أودية تهامة .

الحميري ، محمد : الروض المعطار ، ص ١٢٠ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٤١ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٩ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٥١ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٩ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٥٤ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٩ .

(٥) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٥٥ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٠ .

بهم ، ثم سيرا عسكريا آخر لمحاربتهم أيضا في سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م^(١) وما ذكر من غزوات قام بها الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز في ذلك الوقت ، استطاع أن يؤمن حدود سلطته ، ويضمن ولاء الأمراء المحيطين بالحجاز ، وينال بذلك رضى الدولة المملوكية ، حيث كان يهتمها في المقام الأول المحافظة على سلطتها في منطقة الحرمين الشريفين ، بل نرى أن الشريف محمد ترك لمن تولى بعده سلطة قوية متسعة مهابة .

ولم تكن فترة تولى الشريف محمد بن بركات حكم الحجاز تخلوا من بعض فتن داخلية ، التي أحدثت بعض الاضطراب ضد حكمه للحجاز . ومن أهم تلك الفتن ، خروج وزيره القائد بديد ، وأسمه أحمد بن شكر وعرف ببديد . يقول المؤرخ عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن فهد في حوادث سنة ٨٦٤ هـ - ١٤٥٩ م " وفي شوال تنافر هو ووزيره بديد فخرج بديد الى جهة الشام في عسكر كثير فاحتياط الشريف على بعض حواصله وجميع ابله وجمع عسكرا لفرزه^(٢) وتفصيل ذلك ، ان علاقة الشريف محمد مع وزيره بديد بلغت الأوج في تدهورها في شوال سنة ٨٦٤ هـ - ١٤٥٩ م عندما أخذ بديد يستبد في ادارة شئون الحجاز ، ولقد علم بديد أن الشريف محمد يريد القبض عليه ، فخرج عن طاعته ، ولقد انضم الى بديد جماعة من الأشراف من ذوي أبي نسي وذوي عمر ، والقواد أتباع ذوي عجلان وذوي حميضة . هذا فضلا عن نائب الشريف محمد بن بركات بجده راجح بن شميله ، بالاصافة لطائفة من الأعراب من بني بشر . وحاول بديد إثارة الفتنة بين الشريف محمد وأخيه الشريف أبي سعد بن بركات ، وذلك حينما وعد بديد أبا سعد بالسعي له في الحصول على حكم الحجاز لدى السلطان المملوكي اذا قام أبو سعد بدوره ينصرته . ولكن

(١) مورتيل ، ريتشارد ، الأحوال السياسية ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز - - - - - : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٠٩ .

الشريف أبا سعد لم يحبذ الفتنة ، وأطلع أخاه الشريف محمد بن بركات على ذلك الأمر . فكانت ثورة بديد ومن حالفه من الأمور التي هددت سلطة الشريف محمد بن بركات وأزعجته . فبعث أخاه على بن بركات إلى الأشراف والقواد الذين انضموا إلى بديد لكي يقتنعهم بالعودة إلى طاعته ، ولقد استطاع اقناعهم ، ثم بعد ذلك سار الشريف محمد بقوة عسكرية إلى جده وأقام هناك ، بهدف منع بديد من الاستيلاء على جده ، وذلك لما فيها من مصالح اقتصادية لسلطته . ومن هناك بعث بفرقة عسكرية لتستولى على ابل لبديد كانت جهة جنوب الحجاز ، وذلك لكي يستطيع الشريف محمد اضعاف قوة بديد الاقتصادية ، هذا فضلا عن مصادره لكثير من الأموال والبضائع كانت لبديد في جده ، مما جعل مقاومة بديد تنهار بعد أن انفض عنه أتباعه فاجتمع بالشريف محمد بن بركات وحلف له يمين الطاعة فعفى عنه^(١) ، هذا يبين لنا مدى تسامح الشريف محمد بن بركات مع رعيته لبعد نظره وسهولة تلاقه في عفو عند المقدرة لهدف جمع شمل الرعية لاصلاح الأمور بالروية . ومن الجدير بالذكر أن بديد توفي بعد ذلك في جنادى الأولى سنة ٨٦٩ هـ - ١٤٦٤ م ، بوادى الأبار^(٢) . وهو وادى جنوب مكة المكرمة ويقال له الأبيار .

ومن الصعوبات الداخلية التي واجهت الشريف محمد بن بركات ، مطالبة المالكين المرابطين في مكة المكرمة من طرف الدولة المملوكية بأن يصرف لهم راتباً شهرياً مثلما كان والده الشريف بركات يفعل ، فرفض الشريف محمد ذلك ، وسانده في موقفه السلطان المملوكي خشقدم ، خوفاً من تدمير حاكم الحجاز على سلطة الدولة المملوكية التي بدأه بعدم دفع راتب لجنودها ، فبعث مرسوماً إلى مكة المكرمة سنة ٨٦٦ هـ - ١٤٦١ م تضمن أن الشريف بركات بن حسن كان يصرف رواتباً باختياره

(١) ابن فهد ، عمدة — : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٣٠٣ .

(٢) ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،

وأن الشريف محمد ليس ملزماً بذلك ، ما جعل هؤلاء المالكي يسيئون المعاملة في مكة المكرمة . فبعث السلطان خشقدم أيضا مرسوما آخر إلى مكة سنة ٨٢١ هـ - ١٤٦٦ م ، يتضمن الأمر بإبعاد أمير العسكر المملوكي المقيم بمكة إلى الهند ^(١) . وكذلك في عهد السلطان قايتباي في سنة ٨٢٦ هـ - ١٤٧١ م وصل مرسوم آخر إلى المالكي بمكة أيضا تضمن أهانة للأتراك المقيمين بمكة المكرمة بسبب أذائهم لأهل مكة ^(٢) ، وهذا يبين لنا مدى حرص الدولة المملوكية على علاقتها بالحجاز ومحاولة إرضاء أهله ، خوفا من سخطهم الذي قد يؤدي إلى ثورتهم ضد السيادة المملوكية على الحجاز ، خاصة إذا انعكس سخطهم هذا على حاكم الحجاز الذي كان يهيم حياة سكان الحجاز في أمن وطأينة ، ومن الأمور الداخلية أيضا التي أخذت الكثير من جهد ووقت الشريف محمد ، خروج الشريف علي بن بركات عليه ، ونهايه إلى القاهرة سنة ٨٢٢ هـ - ١٤٦٨ م عن طريق جيزان والتقاءه بالسلطان المملوكي قايتباي ، وسعيه في الحصول على حكم مكة ، ولكن السلطان قايتباي رأى أنه من الصالح للمالكي استمرارية تأييدهم للشريف محمد على الحجاز فبعث برسول من طرفه إلى الشريف محمد يطلب منه مساعدة أخيه ، وعدم المساس به مع تأييده وتدعيم سلطته ^(٣) . ولم يكن ذلك ليحدث لولا معرفة الشريف محمد بن بركات التصرف في مثل هذه الأمور ، وبخاصة مع الدولة المملوكية ، فحينما علم الشريف محمد بخروج أخيه عليه ، بعث برسول من طرفه للسلطان المملوكي قايتباي يطلب منه تقليدا بإقراره والاعتراف بسلطته ، وذلك كمقابل ستين ألف دينار للخزانة السلطانية ^(٤) . ما جعل السلطان قايتباي يسمى بالصلح بين الأخوين .

(١) مورثيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن فهد ، عهد ، عهد العزيز — : غاية الغرام ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

- مورثيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

هذا وقد اتهم الشريف محمد بن بركات القائد محمد بن بديد بن شكر الحسني وخاله أحمد بن قفيف بمواطئة أخيه الشريف علي ، وأنهما حرّضاه على الخروج عليه ، وأمر بقتلهما بين أبي عروة والجموم ^(١) من وادي مر ، ونفى الشريف محمد بن بركات جماعة بديد وذوي عمر ^(٢)

ولم يكن خرو الشريف علي بن بركات على الشريف محمد هو الخروج الوحيد في فترة تولي الشريف محمد بن بركات سلطة الحجاز ، ففي سنة ٨٢٦ هـ - ١٤٧١ م خرج الشريف رميثه بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان على الشريف محمد ، وفيها يقول المؤرخ عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن فهد * وفيها في النصف الاول من شعبان أمر الشريف بتخريب ذوى عجلان فخرجوا ليلة السبت رابع عشر الشهر الى جدة ليتجهزوا مع من هناك ويركبوا جميعا في خلية الى اليمن ولم يتحقق السبب لذلك لكن يقال أن سببه توجه الشريف رميثه بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان من جهة اليمن الى جهة الشرق ثم الى المدينة وأن ذلك بمواطئة منهم أو مخالفتهم ^(٣) فلما عجز عن نزع السلطة من الشريف محمد ، توجه الى اليمن ، وأقام بها حتى سنة ٨٢٦ هـ - ١٤٧١ م ^(٤) وقد وصل مرسوم من السلطان قايتباي الى الشريف محمد

(١) الجموم : كانت عينا في مر الظهران على طريق مكة الى المدينة ومحطة للحجاج .

أما أبي عروة فتقع في الشمال الشرقي للجموم - وتبعد عنها بمسافة كيليين تقريبا .

- البلادى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، ج٢ ص ١٢٦ .

(٢) ابن فهد ، عمّـــــــر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٣٢٧ .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج٢ ص ٥١٢ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج٢ ص ٥١٢ .

(٤) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٥ .

سنة ٨٧٨ هـ - ١٤٧٣ م ، يخبره فيه أن الشريف رميته تكلم معه - أى مع السلطان -
 فى أمر الحجاز فرفض قايتباى طلبه ذلك . هذا وفى سنة ٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م توفى الشريف
 رميته ^(١) بمصر واستراح الشريف محمد منه ومن الأمور التى أزعجت الشريف محمد
 ابن بركات ، بل والسلطان المملوكى الاعتداء الذى قام به أمير المدينة المنورة
 حسن بن زبيرى من آل نعيم ^(٢) على المسجد النبوى الشريف وعلى قدسية مسجده
 الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وقد حدث ذلك فى سادس ربيع الأول سنة
 ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م حينما دخل المسجد النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة
 والسلام مع أعوانه ، وقتل أبوابه وطلب من الخازندار أيدى الرومي مفتاح القبة
 فامتنع ، فأخذ أعوانه بضربه حتى أغشى عليه وكان أن يقتل ، لولا تدخل شريف من
 آل طفيل يقال له مشارى بن ذياب . عندئذ كسر الشريف حسن بن زبيرى باب
 القبة وأخذ جميع ما فيها من النقد والمقتنيات وتآلم الناس لذلك كثيرا ، وعطلت صلاة
 الظهر يومئذ فى المسجد النبوى ، وأحس الناس بالخوف ، وخافوا من النهب والسلب
 بالبلاد ، فلما وصل الأمير حسن بن زبيرى إلى حصته ، نادى بالأمان وقال أن ما
 فعله لم يكن ينوى به التعرض لأحد . إنما أخذ نذر جده ، وأمر بعض الفقهاء
 أن يقول الشريف محمد هو الطلجي* له لفعلت التى قام بها . حيث أخذ من جده
 كل سنة ألف دينار ، وشاطره فى الميراث ، ولم يكن قوله ذلك مبررا يبرره فعلته
 الاعتدائية ^(٣) . وحينما علم السلطان المملوكى بذلك طلب من الشريف محمد -

(١) ابن فهد ، عهد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥١٩ .

(٢) الشريف حسن بن زبيرى من آل نعيم : هو حسن بن زبير بن قيس بن ثابت
 بن نعيم ابن منصور البدر الحسينى أمير المدينة ولها بعد أبيه فى سنة
 ثمان وثمانين بأمر الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز .

- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع ،

ج ٣ ص ١٠٠ .

(٣) الجاسر ، حمد : رسائل فى تاريخ المدينة ، الطبعة الأولى ، دار اليمامة
 الرياض ، ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م مأخوذ عن مخطوطة الوفاء : لنور الديين =

بركات القبط على الشريف حسن بن زبيرى أمير المدينة المنورة .

وقد بادر أحد الأشراف من الظوالم ، وهو الشريف شهبان الحسينى بالتوجه لأمير ينبع ، الشريف دراج ، فأخبره بما حدث وأخبره أن أهل المدينة المنورة انتدبوا عليهم الشريف سرداج الحميضى لحفظ الحصن ، وعلى الفور وفى الرابع عشر من ربيع الأول من نفس العام وصل الشريف دراج أمير ينبع فى قوة عسكرية للمدينة المنورة ، فاطمان الناس ، ثم وصلت بعد ذلك قوة عسكرية أخرى تابعة لحاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات (١) ثم ولى الشريف محمد بن بركات ابن خاله أمر المدينة المنورة . السابق ويدعى الشريف فارس بن شامسان الحسينى أمر المدينة المنورة (٢) بعد ما قام به أميرها من اعتداء على المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . ولقد عمل أمير المدينة المنورة الجديد بعد استقراره فى السلطة على تتبع ما أخذ من القبة ، وذلك على طريق أسما* أشخاص كان أمير المدينة السابق يرفع ودائمه لديهم حتى استخلص الشى* الكثير ما أخفى . كان هذا من أهم الأحداث الداخلية فى عهد الشريف محمد بن بركات ، وقد استعرضنا قبلها الغزوات والمعارك الخارجية التى قام بها ، وكان جميعها تهدف إلى ترسيخ سلطة الشريف محمد بن بركات وتقويتها وتعتبر علاقاته بالدولة المملوكية علاقات تميزت بالهدوء والتوازن نتيجة لحسن تصرف الشريف محمد فى علاقاته الداخلية والخارجية والخاصة بالدولة المملوكية وفى عهده قام السلطان المملوكى قايتباى بأداء فريضة الحج ، وذلك فى سنة ٨٨٤هـ - ١٤٧٩م ، فاستقبله الشريف محمد استقبالاً حسناً ، ثم قام السلطان بزيارة للمسجد النبوى الكريم على صاحبه أفضل الصلاة (٣) . وقام السلطان المملوكى قايتباى بإبطال الكثير من

= السهمودى ص ١٨٣ - ١٨٤ .

= الجاسر ، حمد ، بلاد ينبع ، ص ٥١ .

(١) الجاسر ، حمد : رسائل فى تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٥٠٤ .

(يعتبر السلطان قايتباى ثالث سلطان مملوكى يقوم بأداء فريضة الحج حيث

سبقة بأداء تلك الفريضة السلطان المملوكى الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ

= والسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ ، ٧١٩هـ ، ٧٣٢هـ) =

المكوس ، وعم أهل الحرمين الشريفين بالخيرات وهذا ما قوى العلاقات الحجازية المملوكية الأمر الذى جعل السلطان المملوكى يعترف بسلطة الشريف محمد على الحجاز عامة ويثبت بذلك رسميا من القاهرة سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ، كذلك ففى عهد الشريف محمد بن بركات سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م حج الامير جم بن السلطان العثمانى محمد الثانى الفاتح .^(١) كما حج السلطان العثمانى بايزيد الثانى واحسن الشريف محمد استقباله الامر الذى زاد فى حسن العلاقة بين الدولتين العثمانية والحجاز حيث تبادل الوفود فيما بينهما^(٢) ولقد اشرك الشريف محمد ابن بركات معه فى الامارة على الحجاز ابنه الشريف بركات منذ عام ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م وظلا معا حتى توفى الشريف محمد بن بركات ،^(٣) الذى كانت وفاته فى يوم الثلاثاء ١٠ حادى عشر محرم سنة ٩٠٣هـ / ١٤٨٧م ، بوادى الآبار جنوب مكة . وتولى الامارة ابنه الشريف بركات بن محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ / ١٤٨٧م . وكانت فترة اماره الشريف محمد للحجاز من أطول الفترات ساد فيها الأمن والطمأنينة .

— السيوطى ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : تاريخ

الخلافة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ،

مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص ٥١٥ .

— النهر والى ، قطب الدين : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٣٠ .

— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٩ .

— العصامى ، عبد الطك : سبط النجوم العوالى ، ج ٤ ص ٥٥ .

— الشيبانى ، وجيه الدين عبد الرحمن بن على الديبع : الفضل المزيـد

على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، تحقيق د . يوسف شلحد ،

دار النشر ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٧ .

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤١ .

(٢) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ،

— دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة السادسة ،

نادى مكة الثقافى ، ١٤٠٤هـ ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

(لم اجد عن حج السلطان بايزيد الثانى العثمانى سوى ما ذكره المرجع السابق) .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٢٠ .

— الحضراوى ، احمد تاج : تواريخ البشر ، ج ٢ ص ٢٦٢ .

(يقول سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٥٩٨ .

٢ - الصراع على السلطة بين أبناء الشريف محمد بن بركات وموقف الدولة المملوكية من الصراع.

أشرنا فيما سبق (صفحة رقم ٢٨) ، ان الشريف بركات بن محمد كان مشاركا لأبيه في حكم مكة المكرمة منذ سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٣م ، ثم تولى زمام الأمور في سلطة الحجاز بعد وفاة والده الشريف محمد بن بركات وذلك في سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٢م وقد قام السلطان المملوكي محمد بن قايتباي بإشراك أخيه هزاع بن محمد معه في السلطة^(٢) . ولكن لم يدم الاستقرار والطمأنينة التي كان ينعم بها الحجاز في عهد حاكمها الشريف محمد بن بركات طويلا ، ويرجع سبب ذلك الى الفتن والخصومات والمعارك التي دارت بين حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات الثاني بن محمد وأخوته على السلطة.

ويمكن أن نقول أن للدولة المملوكية في مصر يدا في إثارة هذه الفتنة بين

= - الحزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٢٤٨ .

- الطبري ، محمد بن علي الحسيني : اتحاف فضلا الزمن ، ص ٢٣٨ .

- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٠٨ .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ٦٣ .

بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ولد بمكة سنة ٨٦١هـ وأمه الشريفة عمره ابنه محمد بن علي بن ثقه استجاز له جماعة من العلماء كان مشاركا لأبيه في أمرة الحجاز وتولى بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٣هـ .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ٣٥ .

(٢) الطاهر ، عبد الهادي بن محمد : الدر الفاخر ، ص ١٠ .

- السنجاري ، علي بن تاج الدين المكي : منائح الكرم ، ص ١٥٣ .

- الطبري ، محمد بن علي بن فضل المكي : اتحاف فضلا الزمن ، ج ١ ص

١٣٤ .

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٦ .

- طلس ، محمد أسعد : عصر الانحدار يشتمل على تاريخ العراق والشام

والجزيرة العربية والمغرب العربي منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦ =

أبناء محمد بن بركات ، وذلك لخوفها من استقلال الحجاز عن التبعية وسيادة الدولة المملوكية وبخاصة بعد ازدهار التجارة الشرقية المارة بالموانئ الحجازية وما تدره من أرباح ، في الوقت الذي تدهورت الأوضاع الاقتصادية في الدولة المملوكية ، مما انعكس على النواحي السياسية ، فعزل المالكي عن جلب أكثر قسدر من المال حتى يستطيعوا فرض سلطاتهم على الدولة سواء من الأراضي المصرية والشامية ومن التجارة الشرقية المارة بالبحر الأحمر والأراضي الحجازية حتى توصل بهم الأمر إلى سلب الأموال من التجار المارين بالمدن الحجازية حتى العلماء والتجار الحجازيين لم يسلموا من هذا الطمع المملوكي ، فعند ما رأوا بعض التضجر من حكام الحجاز وخاصة الشريف بركات الثاني بن محمد قاموا بتحريض أخوته عليه ليضنوا لأنفسهم الأرباح الاقتصادية والسياسية من جراء الاضطرابات بين الأخوة على سلطة الحجاز ما سبب الكثير من القلاقل والاضطرابات داخل مكة المكرمة والحجاز عامة بإيعاز من الدولة المملوكية التي لم ترى من مصلحتها تولي الشريف بركات سلطة الحجاز ، لما رأت من ميله الاستقلالية بالحجاز ، وعدم ارتياحه للضرائب التي بالفت الدولة المملوكية في فرضها على التجارة الشرقية المارة بموانئ البحر الأحمر الحجازية وكان على هؤلاء الأخوة النظر في مصلحة البلاد قبل كل شيء ، وتقديما على مصلحتهم الذاتية ، والمحافظة على بلادهم وممالكها ، بدلا من إثارة الصراع في مكة المكرمة وغيرها من المناطق ، وكان عليهم أيضا أن يولوا السلطة من يرون جدارته للحفاظ على مصلحة البلاد والتسك بالشرعية وبخاصة أن أخيههم تولي السلطة شاركا لوالده ليعمد نظر والدهم الشريف محمد لا كسابه الخبيرة ،

= إلى فجر عصر النهضة في القرن الثالث عشر ، الطبعة الأولى ، دار النشر

دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٦٣ م ، ص ١٢٩ .

- السباعي ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٦ .

- تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٠٩ .

لولاية العهد ، ويمكن تقسيم ذلك الصراع الذى قام بين الشريف بركات بن محمد وأخوته الى مرحلتين مهمتين هما ، مرحلة الصراع بينه وبين الشريف هزاع الذى حدث في سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، عند ما خرج الشريف هزاع على أخيه الشريف بركات (١) وخرج معه أخوه الشريف أحمد الطقب بالجازاني (٢) وحلا الى ينبع .

وفي شهر شعبان سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، وصل هزاع الى عسقلان (٣) بالقرب من مكة المكرمة وكان قد اتصل بسلطان المماليك فى مصر لكي يؤويه على الحجاز ، وذلك مقابل مائة ألف دينار ، وكان أعيان الدولة المملوكية منقسمين فرقتين ، فرقة تؤيد الشريف بركات على حكم الحجاز ، وفرقة تحبذ إقامة أخاه الشريف هزاع بدلا عنه (٤) لكن السلطان المملوك رأى أنه من المصلحة إطفاء هذه الفتنة

- (١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ٨٢ .
 - ابن اباس ، محمد بن أحمد الحنفي : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، الناشر فرارشتايز فيسبادن ، ج ٢ ص ٣٨٦ .
 - العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم النجوم العوالي ، ج ٤ ص ٢٢٩ .
 - الطاهر ، عبد الهادي : الدر الفاخر ، ص ١٠ .
 - الشيلى ، محمد : السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القسرين العاشر ، مخطوط ، ص ٥٩ . (يقول المؤرخ نافر هزاع أخاه بركات سنة ٩٠٦ هـ وليس سنة ٩٠٤ هـ) .
 - السنجاري ، على بن تاج الدين المكي : منائح الكرم ، ص ١٥٣ .
 - دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٦ .
 (٢) الجازاني : يقال جازان للشخص الذى يكون مغاضبا لأخيه .
 - السنجاري ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٣ .
 (٣) عسقلان : قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهى حد تهامة .
 - الحموى ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٢١ .
 (٤) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٨ .

في تلك الظروف وترك الشريف بركات حاكما على الحجاز ، وبعث الى كاتب السمر
 بدر الدين بن مزهر بالتوسط للاصلاح بين الأخوين المتصارعين ، وأسفرت جهوده
 عن صلح مؤقت بينهما ، وأخذ منها الموائيق والعهود على ألا يتعرض كل منهما
 للآخر ، وألا يتعرضا للحجاج ، وأن يصرف بركات لأخيه هزاع راتبا ، ومن ثمة
 نزل هزاع بخلص عند عرب زبيد ، ولقد انتظمت الأمور بعد ذلك بعض الشيء ،
 حيث نجد أنه في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م نجد الشريفين بركات
 وهزاع يلبسا الخلع الواردة من السلطان المملوكي جان بلاط^(١) ، وهي خلعة حاكم
 على الحجاز للشريف بركات ، وخلعه المشاركة في السلطة للشريف هزاع ، وفي
 سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م عادت الأمور الى الاضطراب السياسي مرة أخرى ، وعساد
 النزاع بين الأخوين من جديد ، والسبب في ذلك كما يقال أن سلطان المماليك
 طومان باي ، حينما تولى بعد السلطان جان بلاط طرد رجلا من أنصار السلطان
 جان بلاط يسمى قانصوه المحدث وشهرته البرج ، فجا^٢ الى مكة فلم يقيم حاكم
 مكة المكرمة الشريف بركات ولا أعيان بلاده باكرامه ، أو الالتفات اليه خوفا من
 غضب السلطان طومان باي عليهم .

فلما تولى السلطنة السلوكية قانصوه الغوري بعده في شهر شوال سنة
 ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، بعث الى قانصوه المحدث في مكة المكرمة بتعيينه على الشام
 فعند ذلك جا^٣ الشريف بركات بن محمد وأعيان حكومته مثل القاضي ابي السعود بن ظهيرة

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ٩٠ .

- الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل الغرام ، ص ١٩٢ .

(يقول المؤرخ أن المقر البدرى بن مزهر صاحب ديوان الانشا^٤ بمصر
 حضر للحج عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م وحصل منه ما أوجب الفتنة بين
 الأخوين بركات وهزاع وليس الصلح) .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ٦١٢ .

ظهيرة لتنهته فلم يغفر ما مضى منهم وأصر حقا منه عليهم لعدم استقبالهم له
بما يراه لا ثقا به أول الأمر ، ثم أخذ في إثارة الفتنة بين الشريف بركات وأخيه
الشريف هزاع ، فعامل هزاع معاملة أمير مكة المكرمة .

وكان الشريف هزاع حينئذ بمكة ووعده أن يجعل حكم مكة المكرمة اليه ،
كذلك نجد أن للشريف هزاع محاولات قام بها مع السلطان قانصوه الغورى لكسب
بؤيده كحاكما على مكة المكرمة ، وبذل له الكثير من العطايا ، ولقد كتب للشريف
هزاع النجاح في هذه المرة ، حيث نجده يخرج من مكة الى ينبع مع قوة عسكرية من
أتباعه وأنصاره ، في حين بعث قانصوه المعتمد برسول الى أمير الحاج المصبرى
سودون العجوى ودولات باى أمير أول ، يأمرهم أن يعطوا المراسيم والخلع للشريف
هزاع بدلا من الشريف بركات فمالا الى رأيه^(١) كتأييد من السلطان المملوكى له

وفي الحقيقة ماكان ذلك ليتم لولا موافقة السلطان قانصوه الغورى ، فلقد
بعث اليه الشريف هزاع يطلب منه تأييده على حكم مكة المكرمة مقابل مائة ألف دينار
وفي الظاهر أن السلطان الغورى رفض هذا المرسوم وعين المعز البدرى من مزهر
لكى يكون مبعوثا من طرفه لاختتام هذه الفتنة . ولكن بدلا من ذلك نجد الشريف
هزاع يلجس الخلع بدلا من أخيه الشريف بركات . فكيف يتم ذلك دون موافقة

-
- (١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٠٣ .
- العصامى ، عبد الطك بن حسين : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٢ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائج الكرم ، ص ١٥٤ .
- الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٥٩ .
- ابن على ، يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الاماني في أخبار
القطر الهيماني ، ج ٢ ص ٦٢٦ .
- الشيباني ، وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر الديبع :
قرة العينون في أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، ص ١٠٧ .

السلطان المملوكي ؟ وتذكر لنا بعض المصادر أن السلطان الغوري قد أنعم على الشريف هزاع بالتأييد بولاية مكة صراحة .^(١)

وقد يكون الغوري قام بذلك لكي يجعل حالة عدم الاستقرار تسود فسي منطقة الحجاز ، خوفاً أو احساساً منه بأن الشريف بركات بن محمد كان ينسوي الاستقلال عن السلطنة المملوكية ، أو نتيجة للمعروض المالية التي بذلها الشريف هزاع للسلطان الغوري ولكبار دولته ، وبخاصة أمراء الحج ، وطى العموم لم يرضخ الشريف بركات لذلك واستعد لملاقاة أخيه هزاع . وجمع الجموع وأتته مساعدات من ناحية شرق أمارة ، من بني حسين وعدوان وبني سعد وغيرهم .

ونزل عند الجموع بوادي مر الظهران في حين انضم كثير من أهالي الحجاز وأعيانها إلى جانب الشريف هزاع بالإضافة إلى مناصرة أخوته أحمد وحفيظه لــــه ، وكذلك أمير الحاج المصري سودون بن جاني بك العجبي ، والتقى الجمعان بالجموع في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، واستطاع هزاع أن يحقق النصر على أخيه بركات ، وكان ذلك بمساعدة السالينك الذين كانوا في ركب الحاج المصري ، الذين بذل لهم الشريف هزاع الكثير من المال لكي يقوموا بمساعدته ضد أخيه الشريف بركات . ولقد استطاع الشريف بركات الانسحاب إلى جدة ، وقام بنهبها لكي لا يستفيد الشريف هزاع منها ، ثم أتى إلى حدة^(٢) تحدياً لسلطة أخيه الشريف هزاع ، وكان الشريف بركات قبل فعلته هذه قد طلب من نائب جدة مالا

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ١٠٣ .

- الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .

(٢) حده : أصلها حدة ، حصن ونخل بين مكة وجدة يسمونه اليوم حدة .

- الحموي ، شهاب الدين : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٢٦ .

ولو على سبيل القرض فامتنع ، فقام بركات بنهبها ^(١) . وهذه تعتبر بداية الاشتباكات الحربية بين الشريف بركات وأخيه هزاع .

وبعد استيلاء الشريف هزاع على السلطة في مكة المكرمة ، لم يستطع السيطرة على الأمور كما يجب . فكما ذكرنا قام الشريف بركات بنارات على جدة وحدة ، وقام أنصاره بمهاجمة التجارة والحجاج في الطرق البرية . هذا بالإضافة للخوف والنهب الذي حدث بمكة المكرمة لهدف زعزعة سلطة الشريف هزاع ، بالإضافة لما قام به حسكر الشريف هزاع من نهب لبعض أسواق مكة ، وقتلهم بعض الأهالي ، وتخلف الكثير عن الحج ورجع حجاج البحر إلى بلادهم من الطريق . وهذا يدل على عجز الشريف هزاع عن أحكام سيطرته على الأمور ، بالإضافة لسطخ فتنة المحدثي عليه ، لأنه لم ينل كل مطالبه التي اشترطها على الشريف هزاع لو سمح له في الحصول على حكم مكة المكرمة ^(٢) . وعند ما شدد الشريف بركات الحصار على أخيه من كل الجهات وزعزع سلطته وخاصة وقت موسم الحج المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد ، عندئذ تدخل الشريف

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ١٠٦ .

- ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله : الجامع اللطيف في فضائل

مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابي

الحلبي وشركاه بصر ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٨ م ، ص ٣٢٢ .

- العصامي ، عبد الطيب : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٢ .

- السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٤ .

- الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٦٠ .

- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

(يذكر المؤرخ أن هذه الواقعة وقعت سنة ٩٠٤ هـ) .

- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٠٩ .

(يذكر المؤرخ أن هذه الواقعة وقعت سنة ٩٠٤ هـ) .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٢ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ١٠٨ .

ابراهيم بن بركات للتوسط بين أخيه بركات وهزاع . بشرط أن يتعهد هزاع بدفع مبلغ ثلاثة آلاف دينار للشریف بركات مقابل هدنة تقام بينهما حتى انقضاء موسم الحج ^(١) . والتزم الشریف بركات بتلك الهدنة ولقد أيقن هزاع بعد انقضاء موسم الحج مدى عجزه عن مقاومة أخيه بركات عقب رحيل الحاج المصرى ، فتوجه صحبة الحاج الى ينبع فى شهر ذى الحجة سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م وأقام بها . وعاد الشریف بركات الى مكة المكرمة ^(٢) بعد أن جعل فى جدة بعضا من رجاله لحفظها وفى شهر صفر سنة ٩٠٢ هـ / ١٥٠١ م ، جاءت المراسيم من عند السلطان الملوکى قانصوة الغورى للشریف بركات للاعتراف به ومعها اعتذار من السلطان لبرکات قائلا ان أمراء الحاج افتعلوا ما أرادوا ولم يكن عند السلطان علم بذلك ^(٣) .

وفى الحقيقة لم يكن أمراء الحاج ليساندوا الشریف هزاع على أخذ سلطنة مكة المكرمة بدلا من أخيه الشریف بركات ، الا بايحاء من قانصوة الغورى ، لاستفادته من حدوث صراع بين الأخوين على المستوى السياسى يجعل حالة عدم الاستقرار تسود بلاد الحجاز ، لكي لا يفكر حكامها من ابداء عدم رضاهم عن تزايد الضرائب الملوکية على التجارة الشرقية الطارة بالأراضي الحجازية وبخاصة فى الوقت الذى ازدهرت فيه الموانى الحجازية بالتجارة الشرقية، ويحتفظ المليك بما يأتيهم من بذل الأموال فى مقابل التأييد، ويستفيد كبار رجالاتها فى مقابل ترجيح كفة الدولة لجانب من يدفع أكثر من الأموال والهدايا بغض النظر عن أيهم أصح وأحب الى

— السنجارى ، على بن تاج الدين : نتائج الكرم ، ص ١٥٤ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

مورتييل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١١٠ .

الناس ويستطيع المحافظة على الأمن والطمأنينة. ولم ينته الحال بالشريف هزاع عند هذا الحد ، بل نجد أنه في شهر جمادى الأولى سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م ، خرج هزاع من ينبع في عسكر كثير العدد قاصدا الاستيلاء على مكة المكرمة فتحرك الشريف بركات لملاقاته مع قواته العسكرية والترك المرابطين بمكة وتلاقي العسكران في مكان يقال له البرقاء من وادى مر ، واستطاع الشريف هزاع أن يحقق نصرا جديدا على أخيه الشريف بركات ، الذي استطاع الانسحاب إلى الليث ^(١) واستطاع هزاع أن يوطد مركزه في السلطة وأقام في جدة محمد بن راجح بن شملة وزيرا بهيما ، وعيدا من قواده حاكما عليها ، ويقال أنه جعل على مكة المكرمة أخاه الشريف أحمد ^(٢).

ووصلته الحراسيم والخلع السلطانية عن طريق البحر من السلطان الفسوى في جمادى الأولى سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م ، على يد أمير يقال له الياس ، فأكرمه الشريف هزاع ، وبعث إليه بستين جملا ، وثلاثين راحلة ، وطلب منه القدوم إلى

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ١١٣ .

- ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد : الجامع اللطيف ، ص ٣٢٢ .

- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٤ .

- ابن القاسم ، الحسين بن يحيى : غاية الأمانى ، ص ٢٨ .

- السنجارى ، طي بن تاج الدين : نتائج الكرم ، ص ١٥٤ .

- الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل الغرام ، ص ١٩٢ .

- طلسم ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

(٢) العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٤ .

- ابن القاسم ، الحسين بن يحيى : غاية الأمانى ، ص ٦٢٨ .

مكة ليقرأ مراسيم توليته ويلبسه الخلع ففعل^(١) ولعل هذا يوضح لنا ما وصلت اليه السياسة المملوكية تجاه بلاد الحجاز ، حيث تراها تبعث بالتأييد للشريف الذى يستطيع الاستيلاء على السلطة ويدفع لها الأكثر فى وقت لم تكن هذه السلطنة تستطيع التدخل المباشر عسكريا لتأييد من ترى تأييده فى حكم الحجاز ، وانما تكتفى بإرسال المراسيم لمن يستطيع الاستيلاء على السلطة ، شريطة أن يظهر الولاء لها ، ولم يدم حكم الشريف هزاع لامارة الحجاز طويلا . فلقد وافاه الأجل المحتوم ففى رجب سنة ٩٠٢ هـ / ١٥٠١ م ، بوادى الأبار ، فتولى مكانه الامارة أخاه الشريف أحمد بن محمد بن بركات^(٢) . وكانت توليته بمساعدة من قاضي مكة الشافعي أبى السعود ابراهيم بن ظهير ، بعد اجتماع حضره القاضى المذكور والحكام والأمراء من العرب والترك ، والشريف أحمد ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد ، وأعيان الشرفاء ، وبنو ابراهيم برياسة الشريف يحيى بن سبع .^(٣)

الشريف بركات وأخيه الشريف أحمد :-

وتولية الشريف أحمد أمرة الحجاز بعد الشريف هزاع تبدأ المرحلة الثانية من الصراع بين الشريف بركات وأخوته على السلطة ، وهي صراعه مع أخيه الشريف أحمد ، فحينما علم الشريف بركات بوفاة أخيه هزاع توجه ومن معه من عسكره السنى

(١) العصامي ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١١٢ .

- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٤ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

(٣) العصامي ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٥ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

مكة المكرمة في شهر شعبان من نفس العام ٩٠٢ هـ / ١٥٠١ م قرأ الشريف أحمد أنه لاطاقة له بمقاومة أخيه الشريف بركات فانسحب الى ينبع ، ودخل الشريف بركات مكة ، ووردت اليه المراسيم والخلع من مصر كمادة السلاطين المطالبين ، وفيها أيضا الاعتذار عما حدث ، وأن ما حدث انما هو فعل الامراء ، وانهم فعلوا ذلك لمخافتهم من الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع على الحجاج ، لما جمعه من جموع لناصره الشريف أحمد (١) .

ومهما تكن الاسباب والاعتذارات فلا بد للشريف بركات اظهار قبول ذلك مقابل عودته حاكما على مكة المكرمة مرة أخرى ، ثم بعد حين بدأت فترة صراع رهيب بينه وبين أخيه الشريف أحمد لم يقتصر تأثيرها على الأخوين فقط ، بل نراه يمتد الى سكان مكة المكرمة ، وغيرها من المناطق ، ما جعلهم يعيشون في اضطراب نتيجة لصراع الأخوين على السلطة ، وانعكاس ذلك على من يقدم المساعدة للطرف الآخر ، ظنا منه ميلهم للطرف الآخر عن طيب خاطر ، أو عن أرغام لهم فيها . ولقد مر الصراع بين الأخوين بركات وأحمد بالعديد من الممارك ، سوف نقوم باستعراضها حسب حدوثها التاريخية ، لكي نصل في النهاية الى النتائج التي ترتبت عليها ، على الصعيد السياسي الداخلي والخارجي .

فبعد أن وطد بركات نفسه في سلطة البلاد ، قبض على القاضي ابوالسعود

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

- الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٢٤٩ .

- المعصامي ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

(تقول المراسيم أن ما حدث كان نتيجة مباطنة أمير الحاج لأخيه)

- السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٥ .

(يقول أن ما حدث كان نتيجة مباطنة أمير الحاج لأخيه) .

ابراهيم بن ظهيرة في شهر رمضان سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م ، وذلك لأن رجسـال الشـريف بركات استطاعوا الظفر ببعض الرسائل التي بعثها القاضي المذكور السي الشريف أحمد ، يستحثه فيها على الاستيلاء على مكة بعد وفاة أخيه الشريف هزاع . فعقد له الشريف بركات مجلسا فيه القضاة والأعيان وقائد العسكر التركي ، وعرض بركات الرسائل التي ظفر بها فأنكرها . وحاول الحاضرون أن ينالوا له العفو من بركات ولكنه رفض . وأمر الشريف بركات نائبه على القنفذه أن يغرقه في البحر ، ففعل ذلك ^(١) في شهر ذي الحجة من السنة نفسها . وكان القاضي المذكور قد حاول هو والشريف أحمد القبض على الشريف بركات . ومن ثمة يبعثون إلى السلطان قانصوة الغوري في مصر ، يطالبونه بالاعتراف بولاية أحمد ، وذلك مقابل مبلغ مناسب من المال ، يقوم الشريف أحمد بدفعه للخزانة السلطانية ، ولكن المؤامرة كشفت كما ذكرنا ^(٢) ، هذا ولم تضي فترة قصيرة على استيلاء الشريف بركات على مكة المكرمة ، حتى قامت المناوشات بينه وبين أخيه الشريف أحمد . فقد تكلم الشريف أحمد مع أمير الحاج المصري أصطمر بن ولي الدين في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م لمؤازرته ضد الشريف بركات فقال له اصطمر ، (روحوا قاتلوه وحدكم ونحن ما لنا دخل بينكم ومن غلب ولينا) . ^(٣)

(١) الجزيري ، عبد القادر : درر الغوائد ، ص ٢٤٩ .

(يقول المؤرخ أغرق في جزيرة الصبايا)

- العصامي ، عبد الطيب : سطر النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

- الديب ، عبد الرحمن : الفضل المزيـد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد ، تحقيق د . يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث ،

اليمن ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٦٩ .

- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(يقول المؤرخ أغرق في جزيرة بركوت) .

(٢) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ، ص ١٣٧ =

وهذا القول يبين لنا مفهوم السياسة العلوكية في الحجاز ، والتي سبقت
 وأن أشرنا اليها ، وهي تولية الشريف الذي يستطيع الاستيلاء على السلطة بالقوة
 ويدفع أكبر قدر من الأموال للخزانة السلطانية ، بغض النظر عن معاملته للرمية
 وحفظه للأمن . وعند ما يئس الشريف أحمد من تلبية أمير الحاج طلبه ، لعدم
 دفعه ما يوجب التأييد والمساعدة ، قام بالاغارة على حجاج الشام ، وقتل منهم
 جماعة ، وقام بالنهب والسلب ، فلم يرى الأمير اضطرا إلا أن يهادن الشريف أحمد ،
 ويطلب منه مبلغ خمسين ألف دينار يدفعها للخزانة السلطانية ، إذا قام بمساعدته
 ضد أخيه الشريف بركات ، وكان غير راضيا عن عصيان الشريف أحمد .

وحيثما وصل الركب المصري الى وادي مر بالظهران بعث اضطرا السبي
 الشريف بركات يطلب منه المساعدة على الشريف أحمد ^(١) . فلما أحس الشريف أحمد
 بخدعة الأمير اضطرا انسحب ودخل اضطرا بالركب الى مكة المكرمة وكان مع الشريف
 أحمد أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع ، وأخير خليف مالك بن رومي الزبيدي ، وعرب
 بني ابراهيم . وبعد انقضاء شميرة الحج طلب الأمير اضطرا من الشريف بركات
 الخروج مع الركب لمساعدتهم إذا ما تعرضوا لهجوم من الشريف أحمد . فصار
 معهم الشريف بركات ، وعند وصولهم الى مكان يسمى الدهنه ، ^(٢) برز اليهم الشريف
 أحمد ، وطلب من أمير الركب اضطرا عدم التدخل فيما بينه وبين أخيه الشريف
 بركات ، ولكن اضطرا لم يسمع لذلك ودارت معركة بين الشريفين أحمد وبركات ،
 وحضر الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع لمساعدة الشريف أحمد ، فطلب أمير الركب

— - مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٤ .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ١٢١ .

— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٤ .

(٢) الدهنه : قرية من نواحي ينبع كان يسكنها بنو ابراهيم الاشراف

— البلادى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، ج ٣ ص ٢٤١ .

اصطغر من رجال الركب حمل السلاح ضد الشريف أحمد ، ولكن الهزيمة حلت بالشريف بركات وأمير الركب ، وقتل الكثير من رجال الشريف بركات والركب . ونهبت أطراف الركب المصري .^(١) وكانت هذه المعركة أطول المعارك التي دارت بين الشريف أحمد والشريف بركات . ولقد غضب السلطان الغورى لما حصل كثيرا ، وبعد المعركة عاد الشريف بركات الى مكة المكرمة مريضا . وفي شهر صفر سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، علم الشريف بركات أن جماعة أخيه الشريف أحمد واصلون الى مكة المكرمة بنية الصلح فأدرك الشريف بركات أن تلك مكيدة منهم للقبض عليه . وحيث أنه لم تكن لديه المقدرة على مواجهة الجميع المرافق لأخيه الشريف أحمد ومن معه ، ترك مكة المكرمة وتوجه الى ساحل القنفذه فارا من أخيه .^(٢) ودخل الشريف أحمد ورجاله مكة ،

-
- (١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الرام ، ج ٢ ص ١٢٢ .
 - ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٣٦ .
 - الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .
 - العصامى ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٥ .
 - ابن طولون ، شمس الدين محمد : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) تحقيق محمد مصطفى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ، ج ١ ص ٢٦١ .
 - الطبرى ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .
 - السنجارى ، على : سائج الكرم ، ص ١٥٥ .
 - السليمان ، على بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الماليك ، رسالة ماجستير مطبوعة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٥٢ .
 - الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٥٦ .
 (٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الرام ، ج ٢ ص ١٢٤ .
 - الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٣ .
 - الحسينى ، ابن يحيى : غاية الامانى ، ص ٦٣٢ .
 - السنجارى ، على بن تاج الدين : سائج الكرم ، ص ١٥٥ .
 - السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣١١ .

وتجراً على العلما والقضاة ، ولقد قاومه بعض القبائل الموالية لأخيه الشريف بركات مثل هذيل .^(١)

ولقد قدم الأمير يحيى بن سبع الكثير من المعونة للشريف أحمد ، لما يقال أن السلطان الغوري بحث برسول إلى الشريف يحيى بن سبع يأمره أن يقوم بتولية الشريف أحمد مكة المكرمة ، مقابل أن يتعهد الشريف أحمد بدفع دية الساليت الذين لقوا مصرعهم في المعركة التي دارت ، بينه وبين أخيه الشريف بركات والركب بقيادة اصطغر السابق ذكره ، ودفع المبلغ الذي عادة يدفعه الشريف لنيل وظيفة أمرة مكة المكرمة .^(٢) وبسبب الظلم والفساد لم ينعم الشريف أحمد بالاستقرار في مكة ، فلقد عاد الشريف بركات مرة أخرى إلى مكة المكرمة ففى رجب سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، وتلاقى مع أخيه في منطقة المنحني^(٣) ووقعت الخيانة في صفوف عسكر الشريف بركات ، حينما فر جماعة من الأشراف الذين كانوا معه إلى جهة حراء^(٤) . وفي الحقيقة كانوا مباطنين الولاء لأخيه الشريف أحمد ، فهزم بركات مرة ثانية ، وتوجه إلى اليمن . وهذه هي المعركة الثانية بينه وبين الشريف أحمد . وفي أوائل شهر رمضان من نفس العام ، استطاع الشريف بركات بخديعة

(١) مورتيل ، ريتشارد : الاحوال السياسية ، ص ١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) المنحني : مكان يقع انحاء وادي الحصب عند ما يدفع في الابطح . المكان المعروف بمكة المكرمة قريب من حي الشفة في هذا الوقت .

- البلادى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤) حراء : جبل من جبال مكة المكرمة على بعد ثلاثة أميال بالشمال الشرقى منها . وكان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل .

- الحموى ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٢٣ .

(١)

أن يضل الشرف أحمد ، ويتكن من الدخول الى مكة المكرمة عن طريق آخر .
حينئذ تجلى الموقف المؤيد للشرف بركات من أهالي مكة من اشراف وغيرهم والمجاورون
بها والترك الحقيين فيها ، وذلك حينما بذلوا له كل العون والمساعدة ضد أخيه
الشرف أحمد ، فحفر الشرف بركات خندقا من ناحية شمال مكة وجنوبها لتحصينها
ضد هجمات الشرف أحمد وفي الثالث عشر من نفل الشهر والعام ، وقع اشتباك بين
الشرفين من ناحية جنوب مكة المكرمة ، وتكن الشرف بركات من احراز النصر على
أخيه الشرف أحمد ، الذي توجه الى جدة . وهذه هي المعركة الثالثة بين الشرفين ،
واستنجد الشرف أحمد بأمر ينبع الشرف يحيى بن سبع فأعانه بجيش ، سار به
الى مكة المكرمة لمقاتلة الشرف بركات في شهر شوال سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م . وحاول
دخول مكة من ناحية الشمال . ولقد أظهر أهل مكة من اشراف وغيرهم والمجاورون بها
الصدق في حربهم مع الشرف بركات ضد الشرف أحمد بتدعيمهم لعسكره فانهزم
الشرف أحمد مرة أخرى لما لاقاه من مقاومة وشجاعة أخيه الشرف بركات وثبات من
معه فعاد الى ينبع ، وهذه هي المعركة الرابعة بين الشرفين بركات وأخيه أحمد

(٢)

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ١٢٦ .

- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٥ .

- الطبري ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .

- المنجاري ، علي : منافع الكرم ، ص ١٥٦ .

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .

- طلح ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ١٢٨ .

- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٥ .

- الطبري ، محمد بن علي : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .

- المنجاري ، علي بن تاج الدين : منافع الكرم ، ص ١٥٦ .

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .

- طلح ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

=

وبعد انتصار الشريف بركات ، وربما لعبه في الاستمرار في مقاومة أخيه الشريف أحمد انسحب الى جنوب مكة جهة عرب بنى سليم . ويقال أنه خرج من مكة المكرمة لقضاء بعض مصالحه في جنوب امارته ، ^(١) فاستغل ذلك أحمد ودخل مكة ، وفعل فيها الأفاعيل من قتل ونهب وهتك للحرمات وفساد كبير وأذية لأهل مكة المكرمة . ^(٢) ومن المحتمل أن السلطنة المملوكية في مصر ضاقت ذرعاً ، من استمرار الاضطرابات في الحجاز ، اثر الصراع بين الشريف بركات والشريف أحمد ، وكثرة المراك والقتل الذى حدث لفترة طويلة وما سبب من أذى كبير لمصالحهم وللحجاج والأهالى ، مما

- = - السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢١١ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٢ .
- (١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ١٢٥ .
- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٦ .
- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيدي ، ص ٢٧٦ .
- (يقول المؤرخ فر بركات وخرج الى طريق اليمن)
- الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .
- السنجارى ، علي بن تاج الدين : منافع الكرم ، ص ١٥٦ .
- (يقول المؤرخ أنتهز أحمد فرصة غياب بركات عن مكة جهة اليمن
فدخلها)
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .
- (يقول المؤرخ أنتهز أحمد فرصة غياب بركات عن مكة جهة اليمن
فدخلها)
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٢ .
- (يقول المؤرخ فر بركات الى اليمن)
- (٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٢ ص ١٢٥ .
- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٦ .
- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢١١ .

قد يؤثر على مصالح الممالك المادية والمعنوية وسعة الدولة المملوكية بوصفها —
 حامية الحرمين الشريفين في ذلك الوقت ، عندئذ قام السلطان الغورى بإرسال فرقة
 عسكرية بقيادة الأسير قيت الرحبي مع ركب المحمل ، وذلك لوضع حد له —
 الاضطرابات في مكة المكرمة .^(١) وحينما علم الشريف أحمد بقدر تلك القوة العسكرية
 انسحب من مكة في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م فدخلها الشريف بركات .^(٢)
 وحينما وصل الأمير قيت الى الحجاز ، عزل أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع وولى
 عليها الشريف هباج بن دراح بأمر السلطان المملوكي^(٣) الغورى ، وخرج الشريف
 أحمد متجها الى حيث مناصريه من قبائل زبيد وبنى ابراهيم القاطنين بين مكة
 والمدينة وعلى طريق المحمل ، حيث كان خروجه من مكة فائدة له ، لأنه تلاقى مع
 الأسير قيت الرحبي واتفق معه على خلع أخيه بركات وتوليته هو مكانه ، وذلك مقابل
 ستين ألف دينار^(٤) ولقد استعمل الأمير قيت الرحبي الخديعة مع الشريف
 بركات الذى اعتقد ان القوة المملوكية أتت لساندة الحكومة الشرعية وليس الخارجين
 عليها ، فعند وصوله الى مكة أخذ الشريف بركات بالملاطفة ، فألبسه خلعت —
 المعتادة ، وعند وصوله معه الى مدرسة السلطان قايتباى بمكة ، أظهر قيت الرحبي

(١) سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلم والأدب ،
 الطبعة الثانية ، دار مكتبة الآداب وطبعتها ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ /
 ١٩٦٢ م ، ص ١٢٥ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٤) المعاصى ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

- الطبرى ، محمد بن على : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٦ .

- طلح ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣١١ .

الفدر ، وقبض على الشريف بركات وبعض أخوته ^(١) بعيدا عن رجاله وقوته ، ويقال أن الأمير قيت كان ينوى القبض على الشريفين بركات وأحمد ، ولكن الشريف أحمد استطاع الفرار ، ووقع بركات في يده ^(٢) ، والأمر الأقرب للحقيقة ما ذكره المؤلف عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد ، أن الأمير قيت الرحبي بعد القبض على الشريف بركات بعثت إلى أحمد الجازاني ليتفاوض معه في أمرة مكة . وولاه الإمارة في مكة ، وأخذ أخيه الشريف بركات أسيرا إلى مصر . فيقول في يوم حادى عشر شهر ذى الحجة من عام ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م (أرسل الأمير الكبير للشريف جازان أن يحضر فجاء إلى قرب الوادى (وادى فاطمة) وكتب الأمير صورة حلف يحلفه الشريف جازان ، وأرسل به إلى الوادى مع القاضيين الحنفى والمالكى والأميرين الياسىن بكباى وشاهين الجمالى فواجهوا الشريف جازان فى الوادى ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر وحلفوا وألبسوه الخلعة ، وجعلوا عليه ستين ألفا ، منها للسلطان عشرة آلاف قيمة الفلفل وغيره الذى أخذ للسلطان ، ويأخذون حصته فى هذه السنة من المشور وما بقى يؤخذ من المشور من كل سنة ثلث ما يتحصل له حتى يكمل الستين ، وللأمير الكبير عشرة آلاف يعطى ثلاثة والباقي فى كل سنة ثلاثة . وللأمير الأول ستسعة آلاف يعطى ألفان والباقي أربعة فى كل سنة ألفان ، ثم عادوا فى ليلتهم فوصلوا مكة آخرها) ^(٣) .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ١٤٦ .

- المعصامى ، عبد الطك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٦ .

- السنجارى ، على بن تاج الدين : مناجى الكرم ، ص ٦٥٧ .

(٢) الديبع ، عبد الرحمن : الغنل الزيد ، ص ٢٧٧ .

- سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، ص ١٧٥ .

- السليمان ، على بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٢ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٤٨ .

وعليه فان اتفاق الشريف أحمد الجازاني وقيت ثم بعد القبض على الشريف بركات حيث أن الأمير المذكور لم يكن في نيته القبض على الشريفين معا ، لما كان يتوقع به الشريف أحمد من مؤازرة من الأمير يحيى بن سبع ومالك بن روس شيخ قبائل زبيد وغيرهم من القبائل القاطنة في طريق الحج المصري والشامي فاتفق معهم على أن يقوموا بتولية الشريف أحمد الإمارة مقابل مايدفعه من الأموال ، وبذلك يكون قد حقق فائدتين معا ، الأولى أن يكتفي شر الشريف أحمد وما قد يسببه من مشاكل للسلطنة المملوكية في الحجاز ، والثانية تحقيق الفائدة المالية التي جناها للسلطان المملوكي ولنفسه ولغيره من الأمراء المالكيين وأمن جانب الشريف بركات الذي لوحظ عليه تضجره من السياسة المملوكية في الحجاز .

بعد ذلك سار الأسير قيت الرحبي بالشريف بركات إلى مصر أسير لدى الدولة المملوكية فأنكر الناس في مصر ذلك على قيت الرحبي ، والسياسة التي انتهجتها الدولة المملوكية ، ولهذا أظهر السلطان الغوري غضبه لذلك لكي يدارى فعلته أمام الشريف بركات وأمام الناس في مصر لاستيائهم من تلك الفعلة المملوكية وأمر بترك القيود التي على الشريف بركات ، وأنزله منزلا خاصا به ، ورتب له ولجماعته النفقات ^(١) وأبقاهم تحت المراقبة لكي لا ينفادوا مصر إلى الحجاز ، ولعمل الغوري كان قد أمر بالقبض

(١) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٥٤ - ٥٦
(يشير ابن اياس إلى أن الغوري كان فرحا بالقبض على الشريف بركات)

- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٦ .

- الحسين ، بن يحيى : غاية الأمانى ، ص ٦٣٢ .

(يقول المؤرخ أن قيت الرحبي قبض على الشريف أحمد وبركات ولكن أحمد رجع إلى مكة أميرا عليها) .

- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٧ .

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .

- سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المالكيين ، ص ١٧٥ .

(يقول المؤرخ أبقى السلطان بركات سبعينا في بيت قيت الرحبي نفسه) =

على الشريفين بركات وأحمد ، وكان ينوى تولية أمرة الحجاز لشريف آخر ، قد يكسبون أحد أخوة الشريفين المذكورين ، وكان القبض على الشريف بركات فقط هو تصرف واجتهاد شخص من الأمير قيت الرحبي ، حيث لم تفض فترة بسيطة على تولية الشريف أحمد لمكة حتى نراه يقتل في المسجد الحرام وهو يطوف ، في اليوم التاسع من شهر رجب سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م على أيدي جماعة من الترك المقيمين بمكة . وقد يكون قتله بايعاء من السلطان المملوكي^(١) لتولية أمرة مكة المكرمة لأخيه الشريف حميضة لتضمن الدولة المملوكية مصالحها المادية والمعنوية ، وقيل ان للشريف حميضة يدا في قتل أخيه^(٢) فتولى بعد مقتل أخيه أحمد حيث ولاه الباشا بكباي وألبسه الخلعة^(٣) . وكانت سيرته مثل الشريف أحمد في السياسة التي انتهجها معه بني ابراهيم بقيادة الشريف يحيى بن سبع ، وامتنع أمير خليف بن رومي عن

= - السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢١١ .

(١) - ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٦٦ .

- الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٦٩ .

- المليمان ، علي بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٣ .

(يقول المؤرخ أن الفوري قبض على الجازاني وقتله سنة ٩١٠ هـ وهذا

ينافي المصادر)

(٢) - العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٨ .

- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيدي ، ص ٢٨٠ .

- الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٦ .

- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢١١ .

- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٨ .

(يقول المؤرخ أن الشريف أحمد اختطف مع أخيه الشريف حميضة الذي

تآمر مع الأمير بكباي أمير الجماعة المملوكية بمكة على اغتيال الشريف أحمد)

(٣) - ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٦٦ .

- العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٨ .

الدخول في طاعته . أما الشريف بركات فقد استطاع أن يفر من اعتقاله وحجزه في مصر بعد أن أشار عليه بعض رجالات الدولة المملوكية بذلك ، في الوقت الذي كان بنو ابراهيم أوعدا الأمير الكبير بطلان ، إذا ما هوسم في إرسال بركات إلى الاسكندرية لابعاده . وكان فراره في شوال سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م ، وسار إلى بني عقبة وبقي عندهم ^(١) . ولقد أنزعج السلطان المملوكي قانصوة الغوري كثيرا لفرار الشريف بركات من مصر ، وخاف من قيامه بأعمال انتقامية ضد المالكي . ولقد استطاع الشريف بركات أن يتعمد ركب الحجاج المصري قرب العقبة ، ولكنه طمان الحجاج ، وطلب من أمير الحاج استنبأ أن يبعث إلى السلطان الغوري يطلب منه توليته أمسية مكة المكرمة ، هو وأخوه قايتباي مع ولائه التام للسلطان المملوكي الغوري ^(٢) .

وبعد ذلك تقدم إلى مكة المكرمة في يوم التروية من سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م ، ومعه قواته العسكرية من العرب من بني عقبة وبنو لام وعتيبة وهذيل ، فلما سمع الأمراء ارتبكوا ، وأرسلوا للشريف بركات يطيبون خاطره ، وسألوه أن يتم الحج ، ونما

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٦٦ .

- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل الزيد ، ص ٢٨٣ .

(يقول المؤرخ في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م)

- السنجاري ، طي بن تاج الدين : شائع الكرم ، ص ١٥٦ .

(يقول المؤرخ هرب في أواخر سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م)

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .

(يقول المؤرخ ان بركات سار من مصر إلى ينبع ثم المدينة ومنها إلى

ناحية الشرق ونزل عند السيد حمدان بن شامان الحسيني)

- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

(يقول المؤرخ في أواخر سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م)

- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣١٣ .

(يقول المؤرخ فر بركات إلى ينبع وليس بني عقبة) .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٦٧ .

قتال مقابل ثلاثة آلاف دينار جمعوها له من أخيه الشريف حميضة ، ومن الأسـؤال
الواصلة لأهل مكة المكرمة من الترك بمصر: ^(١) وبعد انقضاء موسم الحج دخل الشريف
بركات مكة ، وخرج منها الشريف حميضة ، ثم بعث السلطان الغوري بمرسوم تولية
للسريف بركات ، أو من يشير به ، وأنه المعول عليه في الأمور كلها ، وقد أقام الشريف
بركات أخيه الشريف قايتباي حاكما على مكة وما على الشريف يحيى بن سبيع
الا الموافقة والاعتراف بتولية الشريف قايتباي أمرة الحجاز في شهر صفر سنة
٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م بعد اظهار العصيان ولكنه اجبر على ذلك ، الا أن المعول عليه
في الأمور كلها هو الشريف بركات. ^(٢) وأشرك بركات ابنه الشريف على بن بركات مع
أخيه قايتباي بن محمد في أمرة مكة المكرمة ، وكان لكل منهما خلع ، وينفرد عنها
بركات بالدعاء في خطبة الجمعة. ^(٣)

ولقد توفي قايتباي سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ^(٤) وأصبح الشريف بركات تولى
كامل سلطة الحجاز وأشرك معه السلطان الغوري ابنه الشريف أبا نسي في تلك
السلطة .

وبهذا التعميم الأخير تنتهي فترة صراع رهيبية بين الأخوة أبناء الشريف
محمد بن بركات لاقى خلالها أهل مكة والمجاورون بها ومناطق الحجاز عامة ، الكثير
من الجهد والعناء والممارك المتبادلة .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ١٢٠ .

- السنجاري ، علي بن تاج الدين : خائج الكرم ، ص ١٥٦ .

(يقول المؤرخ أن المبلغ خمسة آلاف دينار)

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٨ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ١٢٢ .

(٣) العصامي ، عبد الطك : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٢٨٩ .

- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٨ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٢٤٧ .

٣ - الشريف بركات بن محمد وسيطرته على الأوضاع في الحجاز :-

بعد استعراضنا لأحداث النزاع والصراع بين الشريف بركات بن محمد وأخوته على السلطة كان لا بد أن نلقى الضوء على فترة تولي الشريف بركات بن محمد السلطة في الحجاز ، ذاكرين أهم الأحداث التي مرت بها تلك الفترة على الصعيد الداخلي في بلاد الحجاز ، والتمثلة في غزوات الشريف بركات بن محمد الحربية ضد بعض المناطق في الحجاز ، وعلى الصعيد الخارجي والتمثلة في علاقات الشريف بركات بن محمد بالدولة المملوكية . وما صاحب ذلك من تطورات عالمية تتمثل في سقوط الدولة المملوكية على أيدي الأتراك العثمانيين بادئين بذكر هزواته ومعاركه التي خاضها ، وهي غير التي كانت بينه وبين أخوته . ولما كانت فترة تولي الشريف بركات الحكم في الحجاز غير مستقرة خلال سنوات حكمه الأولى ، ولما كان هذا البحث يتوقف عند سقوط الدولة المملوكية بعد استيلاء العثمانيين على الشام ومصر ومن ثمة الحجاز في سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، فإن ذكرنا لأهم الأحداث في عهد الشريف بركات بن محمد على الحجاز سوف يقتصر على ذكر الأحداث التي كان لها تأثيرها منذ سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م . وهي السنة التي تولى فيها الشريف بركات إلى سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، وهي السنة التي تنتهي فيها أحداث هذا البحث . فلقد كان للشريف بركات بعض الغزوات الخارجية ومنها أنه في سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م توجه وأخوه الشريف هزاع غازيين ناحية شرق الحجاز .^(١) وفي محرم سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م ، بعث الشريف بركات قوة عسكرية لغزو حلى بنسى يعقوب ، ولقد هزمت قواته في هذه المعركة .^(٢) ولكن في شهر شوال سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م ، استطاع الشريف بركات أن ينزل الهزيمة بحلى وذلك بعد

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٩١ .

— الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٠ .

— مورتيل ، رتيشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦١ .

أن سار اليها بنفسه أمسك بعض زعمائهم ، مثل قيس بن محمد بن دريب الذى ولوه عليهم دون موافقة الشريف بركات ^(١) وفى شهر ربيع الثانى سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، استطاع الشريف ابراهيم بن بركات بن محمد ان يحرز انتصارا على القرب ، وأن يقتل جماعة منهم . ^(٢) وفى شهر شوال من نفس العام ، توجه الشريف بركات نحو شـرق بلاد مغازيا غرب مطير واستطاع الانتصار عليهم . ^(٣) وفى سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، غزا الشريف بركات قبيلة عتيبة شرق الحجاز ^(٤) وفى شهر محرم سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م بعث الشريف بركات بقوة عسكرية بقيادة ابنه الشريف على وعمه الشريف ابراهيم بن بركات الى بني خالد عرب اليمن ، ولقد استطاعت قواته العسكرية الانتصار عليهم . ^(٥) ومن الأمور التي أزعجت الشريف بركات بن محمد خروج بنى ابراهيم وعربان زيد عليه دائما حتى بعد مقتل أخيه الشريف أحمد الجازانى وما يقومون به من النهب والسلب لجده ولغيرها من مناطق الحجاز ، ولقد قبض رزمك الجنلاطى العادل ^(٦) على الخواجه محمد بن يوسف القارى ، وهو من كبار التجار بجدة ، وتوجه به الى زيد مستغفل غياب الشريف بركات بن محمد باليمن وعند سماعه بالخبر أتى الى جدة وأخذ يطارد قبائل زيد الذين هربوا من بلادهم من منطقة الى أخرى حتى وصلوا المدبنة والشريف بركات يتابعهم ، حتى اخبر امراء المناطق بالقبض عليهم فما زال بهم حتى اطلقوا سراحه ببلغ دفع لهم من اهله ساعد هم فيه الشريف بركات بن محمد وكان هذا العمل لزيد بتحريض من الشريف يحيى بن سبع وبنى ابراهيم . ^(٧)

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٩١ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٩٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠١ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٧٣ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٨٣ .

(٦) هو رزمك الجنلاطى قاتل العادل طومان باى سلطان مصر المملوكى قبل قانصوه الغورى .

— ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٤ ص ١٠ .

(٧) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٨٣ .

— ابن فرج الشافعى ، عبد القادر : السلاح والعدة فى تاريخ جدة ، مخطوط

عندئذ بعث قانصوة الغورى فرقة عسكرية ملوكية فى شهر شعبان سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م بقيادة الأمير خاير بك الكاشف ، والأمير قاني بك للقضاء على الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع وزعيم قبيلة بنى ابراهيم ، وتعين الأمير هجار بن دراج بدلا عنه ، والقضاء أيضا على مالك بن رومي شيخ قبيلة زبيد ، وعلى الشريف حميضة أخو الشريف بركات ، لما كانوا يقومون به من السلب والنهب وقطع الطريق على الحجاج ، ولقد انضم الشريف بركات الى القوات الملوكية بقواته العسكرية (١) ولقد استطاعت هذه القوات احراز النصر على اعدائها .

وفى الحقيقة ربما يرجع سبب ارسال السلطان الغورى لمثل هذه القوات لخوفه من تجمع قوات الشريف يحيى بن سبع ، ومالك بن رومي والشريف حميضة ولتعرضهم للحجيج المصرى والشامى ، وتعرضهم للمصالح الملوكية ، اضافة الى اظهار حسن علاقتهم بالسلطة الشرعية بالحجاز وخاصة بعد تمكن الشريف بركات من اعادة سيطرته على مكة ، وخوف الدولة الملوكية على ميناء ينبع الذى كانت تجنى منه القدر الكبير من ارباح التجارة الشرقية . وفى سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م ، خرج الشريف بركات غازيا عرب زبيد حيث هربوا الى أن وصلوا ابيمار على قرب المدينة المنورة واستطاع الظفر بهم عند الروحا (٢) وتمكن من قتل شيخهم مالك بن رومي ، وأبنائه الثلاثة

— ابن يعقوب ، أحمد بن محمد الامام بمقام الحنفى المكي : السلاح والعدة

فى تاريخ بندر جدة ، مخطوط ، ص ٨٠ .

— الحضراوى ، أحمد بن محمد بن أحمد الشافعى المكي : الجواهر المعدة

فى فضائل جدة . مخطوط ، ص ٤٨ .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٨٨ .

— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٦ .

— السليمان ، على بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٣ .

(٢) الروحا : قرية من عمل الفرع بين مكة والمدينة وهى الى المدينة أقرب .

انظر : الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٧٦ .

— البلاذى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، ج ٤ ص ٨٥ .

مقرظ ، وقادم ، وذاعر ، وأخيه مشهور ، وابنه بازان ، وابن أخيهما زين بن شهبان بن رومي وغيرهم ، وبعث برؤوسهم الى السلطان الغوري في مصر . (١) ومن معارك الشريف بركات معركة ضد عرب ناصرة في جنوب الطائف ، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ، ولقد غنم كثيرا من تلك المعركة . (٢)

وفي سنة ٩١٢ هـ / ١٥١١ م ، استطاع الشريف بركات أن يحرز انتصارا على بني عقبة والمفارحة ، الذين فرعندهم جماعة يحيى بن سبع . (٣) ولقد قام السلطان المملوكي بعد ذلك بالعفو عن الشريف يحيى بن سبع ، مقابل مائة ألف دينار (٤) هذا بالنسبة لأهم معارك وغزوات الشريف بركات . أما بالنسبة لأهم الأحداث الداخلية الأخرى فكما ذكرنا فيما سبق عن الصراع الذي حدث بينه وبين أخوته الشريف هزاع والشريف أحمد ، ثم الشريف حميضة ، وموقف الدولة المملوكية المتناقض في ذلك الصراع ،

وقد يكون للدولة المملوكية اليد الكبرى في إثارة هذا الصراع ، لما تحققه من جعل منطقة الحجاز في حالة عدم استقرار سياسي ، لكي لا يفكر أشراف الحجاز بالاستقلال المطلق عن الدولة المملوكية ، لما كانت تجنيه تلك الدولة من أرباح التجارة التي كانت تمر بموانئ الحجاز ، ولقد استطاع الشريف بركات في آخر الأمر

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٢٠٠ .

— السنجاري ، علي بن تاج الدين : منافع الكرم ، ص ١٥٩ .

— الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٥٦ .

(يقول المؤرخ وقعت هذه المعركة سنة ٩١١ هـ)

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٢١٢ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٢١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

الاستيلاء على السلطة في الحجاز ، ولكنه وضع أخاه الشريف قايتباي بن محمد أميراً على الحجاز ، وأشرك معه ابنه علي بن بركات ، ولقد احتفظ لنفسه بالسلطة المطلقة في الأمور كلها ، ليس في حكم مكة المكرمة فقط ، وإنما على الحجاز عامة ، ولقد توفي ابنه علي في شهر ذي القعدة سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م ، فجعل بدلاً منه ابنه الشريف محمد بن بركات ^(١) المعروف بأبي نسي .

وفي شهر ربيع الأول سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، توفي الشريف قايتباي بن محمد ، فلما علم بذلك السلطان الفوري ، بعث إلى الشريف بركات أن يقدم عليه في مصر وربما لا تشغال الشريف بركات بأمور البلاد ، ومحبته منه في توثيق عرى الود بين الحجاز والممالك فيبعث بدلاً عنه ابنه الشريف محمد أبا نسي ، فأكرمه السلطان الفوري ، وجعل أمر الحجاز للشريف بركات وأشرك معه ابنه الشريف محمد أبا نسي في حكم الحجاز . ^(٢) ولم تكن تلك العلاقات الحسنة بين الشريف بركات والسلطان الفوري إلا ليفتحوا صفحة جديدة للعلاقات تنسيهم ما حدث من سوء العلاقة السابقة لاظهار حسن النية وصدق العلاقات فبرهن كل منهما ببذل الهدايا وتيسير ادل

(١) السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٩ .

دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٩ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٨ .

— المعصامي ، عبد الملك بن حسين : سطر النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

— الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيّد ، ص ٣٣٨ .

— السنجاري ، علي بن تاج الدين ، منائح الكرم ، ص ١٦١ .

— الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٦٠ .

— الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .

— البتتوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة

المعارف ، محمد سعيد كمال ، الطائف ، ص ٧٦ .

الزيارات بين مصر والحجاز ، فمن ذلك مثلا في سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م بعث الشريف بركات السيد عرار ابن عجل النمرى الى السلطان الغورى بهدية من جعلتها عشرون عبدا حبشيا ، وعشرون ألف دينار ذهبيا ، وعشرون فرسا ، وثلاثة آلاف دينار للدويدار ، وذلك مقابل أن يفوض اليه السلطان جميع الأمور في الأقطار الحجازية^(١) ، وهذا بدوره كان له اكثير الأثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز ، وذلك حينما تقدم الولاية الحجازية الى الدولة المملوكية الأموال ، بدلا من أن تقدمها الدولة المملوكية للحجاز .

وكذلك عندما بعث الشريف بركات ابنه أبا نسي الى مصر يلتمس أن يكون شريكا لأبيه في امارة الحجاز ، بعث معه الشريف بركات هدايا منها ، عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ، وعشرون فرسا ، وثلاثة آلاف دينار للدويدار^(٢) . ولقد قدم الغورى للشريف أبى نسي بعض الهدايا الذهبية والمال على سبيل التكريم ، وفى سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م حجت زوجة السلطان الغورى وولده ، فأكرمهم الشريف بركات غاية الاكرام فسأله أن يتوجه معهم الى مصر ليجازونه فوافقهم ، وسار الى مصر وقابل السلطان الغورى الذى أكرمه كثيرا^(٣) وأهداه مبلغ ثلاث آلاف من النقد وعشرين سلوكا وخيل^(٤) . ولقد قدم الشريف بركات بعض الهدايا للسلطان ، واستمر الوضع فى الحجاز مستتباً للشريف بركات الى أن سقطت الدولة المملوكية على أيدي العثمانيين

(١) ابن فهد ، عهد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٢١٦ .

— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٧ .

— السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٩ .

— السباعى ، احمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣١٥ .

(٢) الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف ففلاء الزمن ، ص ١٦٠ .

(٣) الجزيرى ، عبد القادر بن محمد الأنصارى : درر الفوائد ، ص ٣٥٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٥) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٦٠ .

سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م . فبعث الشريف ابنه أبا نى الى القاهرة مهنتا السلطان
العثمانى سليم الأول بالانتصار على العماليك فأقرهما السلطان العثمانى على حكم
الحرمين الشريفين امرة مكة المكرمة . (١)

ولقد كان الشريف بركات يهدف من هذه التهنئة اعترافه بالتبعية للدولة
العثمانية لكى تقوم بدورها فى صد الهجوم الصليبي البرتغالى على الحجاز .

واستمر الشريف بركات فى امرة مكة الى أن توفي سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م وتولى
مكانه ولده الشريف محمد أبونى . (٢)

(١) ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله : الجامع اللطيف ، ص ٣٢٢ .

- العصامى ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٩٢ .

- ابن الحسين ، يحيى : غاية الامانى ، ص ٦٥٥ .

(٢) الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائرة ، ص ١٦٤ .

٤ - العلاقات بين أشراف الحجاز وسلاطين المماليك :-

لكي نتعرف على أبعاد السياسة المملوكية الخارجية تجاه الحجاز في ذلك الوقت كان لا بد أن نلقى الضوء على الحاجة السياسية داخل الدولة المملوكية ، فإن الفترة التي بدأت باعتلاء قايتباي سلطة المماليك ، ظهرت فيها جميع مظاهر التدهور الاقتصادي الذي برز في أواخر حكم الدولة المملوكية التي كانت تحكم أجزاء من العالم الإسلامي واتضحت معه الوسائل التي تحايلت بها الدولة المملوكية للحصول على الأموال ، وذلك لا شباع خزائن للدولة المملوكية للمحافظة على بقائها .

وكان نظام المماليك قبل تلك الفترة محكما ، يقوم على أساس الطاعة للسلطان من جهة المملوك ، والقناعة بما يخصص له من نفقة أو قطاع . لكن هذا النظام تداعى في أواخر عصر الدولة المملوكية بحيث أصبح المماليك الجلبان أداة للعبث والعدوان على أهالي البلاد الآمنين ، ونهب أموالهم ، والثورة من حين لآخر على السلطان لعدم رضائهم عما يخصص لهم من نفقة ، في حين أن السلاطين المماليك لم يقتصدوا في نفقاتهم ، ولم يكفوا عن شراء أعداد كبيرة من المماليك بكثير من الأموال ، ويعتبر العامل الأساسي في تدهور الحياة الاقتصادية في أواخر عصر المماليك هو كساد تجارة الدولة ، بعد أن استطاع البرتغاليون الوصول إلى مراكز التجارة الشرقية عن طريق رأس الرجاء الصالح ، مما جعل تجارة الشرق تتحول إلى هذه الطريق ، بمجرد أن كان المماليك هم الوسيط بين تجارة الشرق والغرب . ولقد حاول المماليك تقوية قوتهم العسكرية بتطبيق سياسة الاحتكار ، ومصادرة أموال الناس ، وامتدت أيديهم إلى الأوقاف ، وزادوا الضرائب والمكوس على الرعية ^(١) ومع أن سلاطين المماليك هم

(١) عاشور ، د . سعيد عبد الفتاح : التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين

المماليك (١٤٦٨ - ١٥١٧) من كتاب ابن ايمساس

محاضرات ألقى في الندوة التي نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

بالاتفاق مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

الباسطون نفوذهم على الحجاز ، الا أنه كان نفوذا اسميا ، فكثيرا ما كان أشـراف الحجاز يستقلون باتخاذ ما يرونه من التصرفات دون الرجوع الى السلطنة في مصر . (١)
ولكن يبدو أن النزاع الذي يحدث من حين الى آخر بين ابنا البيت الحاكم — من الاشراف سواء بتأثير داخل أو خارجي اضعف من استقلالهم التام عن التأشير المملوكي .

ولقد احتفظ المماليك بقوة عسكرية بسيطة في مكة المكرمة مع نشرهم النفوذ المملوكي في المدينة المنورة وينبع وذلك اظهارا لسلطتهم على الحجاز ، الا أن القلاقل والفتن ثارت بسبب الخصومات والاضطرابات بين ابنا الشريف محمد بن بركات بعد وفاته وذلك منذ حوالي سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، الى أن استقر الحكم في الحجاز للشريف بركات بن محمد حوالي سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م حيث في تلك الفترة ساد المدن الحجازية بعض الاضطرابات السياسية مما انعكس اثره السلبي على قوافل الحج — ج التي تؤثر على الناحية الاقتصادية في البلاد .

ثم تلى ذلك ما قام به أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع ، وأمير خليص مالك بن رومي ، والشريف حميدة بن محمد بن بركات ، بالاضافة لأمر المدينة المنورة . (٢) من قلاقل داخل الحجاز ، مما اضطر السلطان قانصوه الغوري أن يبعث في شهر رجب سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م بقوة عسكرية من مصر الى الحجاز بقيادة الأمير خاير بك . كما ذكرنا سابقا للقضاء على تلك الفتنة وتدعيا للشريف بركات بن محمد الذي تحسنت

اشراف . أحمد عزت عبد الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م
ص ٦٦ .

- (١) ابن قهد ، نجم الدين عمر : اتحاف الوري : ج ٤ ص ٣٤ .
(٢) صالح ، محمد أمين : تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة ،
الدار ، العدد الثاني ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ - يتاير
١٩٨١ م ، ص ١٣١ .

— الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٦٠ .

العلاقة بينه وبين السلطان المملوكي قانصوة الغوري بعد الاحداث السابقة التي جرت من المماليك ضده .

ولقد عنى المماليك كثيرا ببسط حمايتهم على الأماكن المقدسة ، وساعدهم فسى ذلك كثيرا تنازع أشراف الحجاز فيما بينهم ، وحاجة كل منهم الى تأييد من مصر لتثبيت سلطته وأصبح الشريف يهتم أول ما يهتم بجمع الاتباع من الاشراف لتأييدهم وتأييد السلطان المملوكي ، والحصول منه على تقليد التأييد لتوليه الحكم فــــــسى الحجاز ، وكانت ترسل الهدايا والأموال الى مصر للحصول على التأييد من السلطان المملوكي له ولمن يختاره شريكا له فى الحكم . (١)

ولقد امتازت فترة تولي الشريف محمد بن بركات لحكم الحجاز باستقرار العلاقة بينه وبين المماليك فى مصر ، فلم يحدث فى عهده أنه أبعد من قبل أحد أفراد أسرته من قبل الدولة المملوكية . (٢) التى كان حكامها يراقبون أحوال الحجاز بصفة دائمة ونلاحظ أنهم لا يسمحوا بوجود حاكم قوى فيه . الا أن يكون دائما مظهر الســــــولا والطاعة لهم ، ونجد أنهم يقمعوا أية محاولة من أى حاكم على الحجاز يحاول ان يستغل ظروف الدولة المملوكية الداخلية ، لكي يقوم بالاستقلال بالحكم أو الا خلال بالأمن . (٣) ولكن الشريف محمد بن بركات بما اشتهر به من حنكة سياسية وبعد نظر وقوة شخصية استطاع موازنة الامور بين تحقيق مصالح بلاده وحسن علاقته بالدولة المملوكية وله هذا نال تأييد سلاطين المماليك .

(١) البحر اوى ، د . محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٣ .

(٢) ابن فهد ، عـــــــ : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٣٨ .

(٣) حماده ، د . محمد ماهر : سلسلة وثائق الاسلام (٦) الوثائق السياسية

والادارية للعصر المملوكي ٦٥٦ - ٩٢٢ هـ / ١٢٥٨ - ١٥١٦ م دراسة

ونصوص ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ،

ومما لا شك فيه أن تأييد السلطان قايتباى للشريف محمد بن بركات ، كان من العوامل التى ساعدت على هزيمة خصومه داخل البلاد وقتل محاولتهم ، فكثيرا ما كان يبعث بالمراسيم اليه ، متضمنا شكره للشريف محمد لتوفيره الأمن للحجاج ، والحفاظ على أموالهم ، ولرعايته الدائمة لأهل مكة ^(١) ، بالإضافة لما كان يقوم به الشريف محمد من ارسال الهدايا والأموال للسلطان قايتباى ، وأعيان دولته ، مما جعل السلطان يرفع طلب الشريف رميته بن أبى القسم بن حسين بن عجلان ابن عم الشريف محمد ابن بركات ، أن يساعد في تولي حكم مكة المكرمة في سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٤م ، وقال للشريف محمد فلتقر عيننا فانا لا نغير عليك ما دنا من تحت الطك ^(٢) وكذلك حاول قايتباى الاصلاح بين الشريف محمد بن بركات وأخيه الشريف علي ، سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م فتم الصلح بينهما ^(٣) .

وحينما اختلفا مرة أخرى توجه الشريف علي الى القاهرة ، وأقام بها السور أن توفي ^(٤) وقد توطدت الصداقة والمصالح المتبادلة بين قايتباى والشريف محمد بن بركات ، عند ما قام قايتباى في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٨٠م بأداء فريضة الحج . فقد حرص الشريف محمد على اكرام السلطان منذ وصوله الى أرض الحجاز حتى عاد الى مصر ^(٥) .

-
- (١) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٥ .
 (٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٢٠ .
 — مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .
 (٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٢٠ .
 — مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .
 (٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٢٠ .
 — مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .
 (٥) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٣٣ .
 — مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٧ .

ولكن الاشراف بعد وفاة الشريف محمد بن بركات لم يكونوا يتقيدون كثيرا بمراسيم التأييد من السلطان المملوكي ، فكان بعضهم يطرد الأمير على مكة المكرمة المؤيد من الدولة المملوكية بقوة السلاح وبقوة المؤيد بن له من عربان الحجاز ويتولى مكانه فبعث له السلطان بتأييد آخر حتى يضمن المصالح المملوكية مطلقا كان الحال في الخصومات التي حدثت بعد وفاة الشريف محمد بن بركات ، وقيام الصراع بين أبناءه . (١)

وقد يكون للدولة المملوكية دور كبير في إثارة ذلك الصراع ، لجعل حالة عدم الاستقرار تسود منطقة الحجاز ، لكي لا يتمكن أحد هؤلاء الاشراف من الاستقلال عن التبعية للدولة المملوكية . وفي الحقيقة ما كان السلطان المملوكي يؤيد تولي أحد الاشراف اميرا على مكة المكرمة ، الا بالقدر الذي يبعث ذلك الشريف من الأموال الى السلطان المملوكي في مصر ليضمن عدم تأييدهم لخصومه من أبناء ههنا من الاشراف الطامعين في الحكم ، ولذلك فاننا نجد ان الشريف محمد بن بركات حينما نال تأييد السلطان أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جلق لتوليته حكم مكة المكرمة كان ذلك مقابل خمسين ألف دينار غير ما يدفعه لكبار رجالات الدولة المملوكية ، ولولد السلطان ولزوجته (٢) إضافة الى ما قام به الشريف محمد بن بركات باهداء للسلطان قايتباي عند حجه سنة ٨٨٤هـ / ١٤٤٠م ، فلقده اهداء الكثير من الخيل والابل (٣) . وكذلك نجد ان الشريف هزاع بن محمد في فترة الصراع على السلطة في الحجاز ، يطلب التأييد من الدولة المملوكية في ولايته على الحجاز ،

(١) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٢٠ .

(٢) أبي المحاسن ، جمال الدين : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ص ٩٢ .

— العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٥٣٣ .

— السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٣ .

مقابل مائة ألف دينار ، فوافاه التأييد ضد أخيه الشريف بركات ، الذى كان فى ذلك الوقت حاكما على الحجاز مؤيدا من جهة الدولة المملوكية .^(١) ولذلك نجد أن الشريف أحمد اتفق مع أمير الحاج المصرى على أن يقبض على أخيه الشريف بركات وأن يأخذه الى مصر فى سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م مقابل ستين ألف دينار .^(٢) وهذا جعل أشرف مكة المكرمة لا يأمنون على أنفسهم غدر السلاطين بهم ، فنجد أنه حينما يطلب السلطان المملوكي رؤية الشريف ويستدعيه الى القاهرة ، لا يذهب هو شخصيا انما يعتذر لائى سبب من الأسباب ، ويبعث بدلا عنه ابنه حتى يطمئن ويبقى حسن العلاقة ، مثل ما حدث فى عهد قايتباى حينما بعث الى الشريف محمد بن بركات فى سنة ٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م يستدعيه الى مصر فبعث بدلا عنه ابنه الشريف بركات بن محمد .^(٣) ولقد أكرمه السلطان قايتباى غاية الاكرام ، وقدم الشريف بركات بن محمد لقايتباى الكثير من الهدايا ومنها برقع الكعبة المشرفة وخمس حجورات نجديات ، وحيات لؤلؤ ، وذهب ، وتحف^(٤) وسر السلطان قايتباى كثيرا لزيارته تلك وأنعم على المبشرين بقدمه .^(٥)

وكذلك عندما استدعى السلطان الغورى الشريف بركات بن محمد حاكم الحجاز الى القاهرة ، فبعث بدلا عنه ابنه الشريف أبان فى سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م فأكرمه الغورى كثيرا واحلسه بين يديه والبسه كثيرا من الخلع والهدايا ، وقدم له

(١) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٠٩

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ٣١٣ .

(٣) العماس ، عبد الطك : سمط النجوم ، ج ٤ ص ٢٧٩ .

- ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٩٠ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٥٠ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٥١ .

(٦) دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٩ .

الشریف أباً نعى الهدایا كذلك^(١) وفى الحقيقة أن هذه السياسة اتبعت كثيراً من
الاشراف حيث أوصاهم بها الشریف قتادة مؤسس أسرة الأشراف الأخيرة المنسوبه له
(آل قتادة) بمكة المكرمة سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م فقد أوصاهم بأن يعتذروا عن
قبول أية دعوة توحه اليهم من سادة القاهرة أو من غيرها ، فوجودهم بمكة المكرمة
هو سر قوتهم ، ويدفع الدول الى خطب ودهم^(٢) ولم يكن اهتمام المالیک بالحجاز
وبسط سيادتهم عليه ، الا لكونه يضم الحرمين الشريفين ، فلقد كانت
تطفي على الدولة المملوكية الصفة الدينية ، وتعتز بكونها حامية الحرمين الشريفين
فى ذلك الوقت ، وأيضاً لما كانت تجنيه هذه الدولة من الربح المادى عن طريق
الموانئ الحجازية التى كانت تمر بها تجارة البحر الأحمر الواردة من الهند
وجنوب شرق آسيا بما تسمى بالتجارة الشرقية بالإضافة الى الطرق التجارية البرية
والربح الذى كان يجنى من رسوم البضائع^(٣) هذا ولم تكن الأموال التى يبعثها
السلطان المملوكى الى الحجاز فى موسم الحج ، لتوزع على الفقراء والمجاورين
أو لغيرها من الأغراض ، الا أموال أوقاف موقوفه على الحرمين الشريفين فى مصر
وغيرها من البلدان^(٤) ، فى حين لم تكن الدولة المملوكية لديها القدرة على الاهتمام
بشئون الحجاز السياسية أو الاجتماعية لما واجهته من عتث البرتغاليين فى البحار

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٢) دراج ، د . أحمد السيد : ايضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر
الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية ، المحاضرات العامة ، الموسم الثقافى ١٩٦٨/٦٧م ، مطبعة
جامعة عين شمس ١٩٦٨م ، محاضرات القيت بدار الجمعية سنة ١٩٦٨م
ص ١٩٧ .

(٣) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٢٠ .

— مؤنس ، حسن : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، الطبعة
الثانية ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٩٣٨م ، ص ٣٧ .
(٤) عبد الرحيم ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الحجازيون فى مصر فى القرن
العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، الدار ، العدد الاول ، السنة
الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥هـ / يونيو ١٩٨٥م ، ص ١٤١ .

الاسلامية في المحيط الهندي ، وغارات سلطان الصفويين الشاه اسماعيل الصفوي على أطراف دولتهم ، وطمع العثمانيين في الاستيلاء على المشرق الاسلامي . (١)

ولقد حافظ الأشراف على حسن العلاقة بالدولة المملوكية في كثير من الأوقات ويتجلى ذلك بوضوح عندما كانوا يترصون بالمحمل العراقي ، ويقبضون على رؤسائه ، ويبعثون بهم إلى مصر ، كما حدث سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م ، وذلك عندما قبض على الشريف محمد علي أمير المحمل العراقي ، لأن الملك العادل حسن الطويل ملك العراق كان يطمع في أن يبنى علاقات مميزة مع الحجاز ليظهر اسمه على منابر الحرمين الشريفين ولهذا فقد بعث مع الحجاج العراقيين أميرا للحج وقاصيا وهذا يناقض للعلاقة القائمة بين الحجاز والدولة المملوكية بمصر . (٢)

هذا ولقد استخدم بعض السلاطين المماليك الحجاز كمنفى ، ينفون فيه الذين غضبوا عليهم وكان لهم إحلال ومعهز لدى السلاطين لبعده عن مناطق النفوذ والصراع المملوكي في مصر ولجعل هؤلاء المنفيين ينعمون بفترة روحية بالقرب من الحرمين الشريفين ، ففي سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م ، نفى السلطان قايتباي الأمير سودون المؤيدي إلى مكة المكرمة ، لاتهامه في فتنة المماليك الحلبان . (٣)

(١) سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، ص ٥٩ .

(٢) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٩ .

يقول المؤرخ في سنة ٨٧٨هـ .

- العصامي ، عبد الطك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٧٦ .

- الصباغ ، محمد بن أحمد : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .

- الحضراوي ، أحمد محمد : تاج تواريخ البشر ، ج ٢ ص ٢٦١ .

(٣) السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٧ .

وفى سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م توفى الأمير خاير بك بمكة المكرمة وكان السلطان المملوكى قد نفاه اليها ^(١) . ومما سبق يتضح لنا مفهوم العلاقات بين أشرف الحجاز والدولة المملوكية ، والقائمة على المصلحة المادية المشتركة بين أشرف الحجاز والدولة المملوكية .

٥ - العلاقات الحجازية الخارجية :

لم تكن علاقة الحجاز فى ذلك الوقت تقتصر على علاقاته بالدولة المملوكية فى مصر فقط ، بل له علاقة مع جيرانه من الدول والامارات الأخرى ، ولكن نقه — يوم باستعراض لتلك العلاقة كان لابد أن نذكر بعض أهم القوى والدول التى كان للحجاز علاقة معها فى ذلك الوقت ، ومن أهمها الدولة الطاهرية فى اليمن ، والتى قامت بعد سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م ، وكان ملكها يسمى عامر بن طاهر والذى قتل فى احدى المعارك سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م فتولى مكانه الملك على ابن طاهر . هذا ولقد وحد فى اليمن نظامين للحكم ، أحدهما الملكى ، الذى ذكرناه فى جنوب اليمن ، والآخر هو نظام الامامة شمال اليمن وكان لكل منهما مناطق نفوذ ، وكان بينهما الكثير من العراك ^(٢) . أما شرق امارة الحجاز ، ففي تلك الفترة حكم البحرين والاحسا آل خبر بن زامل ، ويعود أصلهم الى قبائل نجد ، التى تزحذت الى الاحسا سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م .

واستأثر بحكم الاحسا ، سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبرى ، بعد أن انتصر على آخر ولاية الجراونه بقايا القرامطة فى الاحسا ، ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم فى الاحسا أخوه أجود بن زامل بن حسين الجبرى ، الذى أمتد حكمه الى القطيف والبحرين وبعد وفاة أجود ، تولى ابنه سيف بن زامل ، الذى وسع

(١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٧ .

(٢) البحراوى ، د . محمد : فتح العشائين عدن ، ص ٤٠ .

اطراف امارته ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان بن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م ، وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن ، فقد حكم البحرين و عمان في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى ، وفي عهده استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٠١ م .^(١) وكانت العراق في ذلك الوقت خاضعة لحكم سلطان العجم شاه رخ ميرزا ، الذى كان على خلاف مع الدولة المملوكية .^(٢)

وكانت أكبر القوى الإسلامية في ذلك الوقت هي الدولة العثمانية ، التى استطاعت بحماسها الدينى نشر الاسلام في كثير من مناطق اوربا ، بالإضافة الى حماية البلدان الإسلامية في المشرق الاسلامى من العدوان الصليبي البرتغالى . وبعد القاء الضوء على أهم القوى المعاصرة لحكومة الحجاز في تلك الفترة ، نستطيع أن نلقى الضوء على طلاقة الحجاز بكل منها .

أ - الحجاز واليمن :-

. كان لموقع الحجاز المتميز على البحر الأحمر ، واتصاله ببلاد الشام شمالا واليمن جنوبا وبمصر برا وبحرا ، أثره العظيم في النشاط التجارى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها . فنذ أقدم العصور سارت القوافل التجارية من اليمن عبر أراضي الحجاز حتى وصلت الشام ، وكانت المراكب تأخذ طريقها الى مصر واليمن عبر شغور الحجاز على البحر الأحمر حيث كانت شواطئ * الحجاز وبعض شواطئ *^(٣)

(١) الصيرفى ، نوال حمزة يوسف : النفوذ البرتغالى في الخليج العربى فى

القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ، دار الملك عبد العزيز

الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٥٣ .

(٢) الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٠٥ .

(٣) أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٧٦ .

— المشيخ ، ابراهيم ، تاريخ أم القرى ، ص ٣١ .

اليمن تقعان على البحر الأحمر وكانت اماره مكة المكرمة تقيم علاقات خارجية مع البلدان الاسلاميه لكي تستطيع سد حاجاتها خاصة في موسم الحج ، ولذلك نراها تقيم علاقات خارجية مع العراق والدولة العثمانية ، واليمن التي كانت اقرب اليها من غيرها ، ولعل قرب اليمن اليها يفسر لنا قيام صداقة فيما بينهما .^(١) وحرص الاشراف في الحجاز على المدى السياسي أن يقيموا علاقات حسنة مع اليمن ، لاقامة التوازن السياسي والعسكري في المنطقة بين القوى التي كانت تطمح الى تحقيق سيادتها على الحرمين الشريفين ، ولكي يحتفظوا لأنفسهم بمكان يلجئون اليه اذا دعت الضرورة في حربهم مع القوى التي تريد السيطرة على الحجاز .^(٢) ولم تكن تلك العلاقة مع اليمن تخلو في بعض الاحيان من المنازعات على المناطق الحدودية ، كما حدث سنة ١٤٧٧هـ / ١٨٨٢م ، عندما سار الشريف محمد بن بركات لمحاربة أمير حيزان الشريف أبي الفوائز أحمد بن دريب بن خالد ، عندما أحص منه العصيان لايوائه من يفهم الشريف محمد ، ومساعدته لأخيه الشريف علي عندما قدم اليه غاضبا على أخيه الشريف بركات ، وتيسير ذهابه الى مصر ، لكي يطلب من السلطان المملوكي تدعيمه لتولي سلطة الحجاز بدلا من أخيه الشريف محمد ، وكذلك لا حساسه أن الشريف أبي الفوائز كان ينوي الانضمام الى الدولة الطاهرية ، والخروج عن طاعة حكام الحجاز .^(٣) ولقد استمرت علاقة أمير حيزان بالدولة الطاهرية بعد ذلك ، فنجد أنه في ذي القعدة سنة ١٤٧٩هـ / ١٨٨٤م ، قدم الشريف أبي الفوائز أحمد بن دريب على الملك المنصور المنصور الطاهري بمدينة زبيد ، فاحتفل به الملك المنصور^(٤) وكانت حيزان لوقوعها

(١) البهراوى ، د . محمد : فتح العشانيين عدن ، ص ٣٧ .

(٢) دراج ، د . أحمد السيد : ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر

الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، ص ١٩٧ .

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : بغية المستفيد ، ص ١٤٨ .

(٤) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل الزيد ، ص ١٦٠ .

بين اليمن والحجاز تعتبر محل خلاف بين الدولة الطاهرية والحجاز ، فحينئذ
ترى حكومة الحجاز تعاطفها مع الدولة الطاهرية تقوم بغزوها ، وحينما
يغشى منها حكام الدولة الطاهرية ، عندما تكون موالية للحجاز كما حدث سنة
١٢٦٦هـ / ١٤٦١م يناصبونها العداء ، فلقد قبض الملك المجاهد الطاهري على
أحد أعيان دولته واسمه اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ، بتهمة مكاتبة أمير جيزان
وتحريضه على محاربة الدولة الطاهرية .^(١) وثبتت براءته من ذلك ، فكانت الدولة
الطاهرية تخشى من إمارة جيزان اذا كانت تابعة لسلطة الحجاز ، مثلما حدث في
عهد الشريف محمد بن بركات ، وكانت قبل ذلك في عهد أميرها دريب بن خالد
بن قطب الدين الذي تولى عام ١٢٤٢هـ / ١٤٢٨م تبعث الى الحكومة الطاهرية في
اليمن بألف دينار سنويا .^(٢)

ولقد كان لأشراف الحجاز علاقة برؤساء الدولة الطاهرية ، وبخاصة الذين
يخرجون على طاعة سلطان اليمن ، فنجد أنه عندما تولى الملك المنصور تاج الدين
عهد الوهاب بن داود بن طاهر سنة ١٢٨٣هـ / ١٤٧٨م ، خالعة ابن عمه يوسف
ابن عامر ، فخرج الى مكة المكرمة وتقابل مع الشريف محمد بن بركات ، فأكرمه غاية
الكرم ثم توجه من عنده الى أمير جيزان الشريف أبي الغواثر والذي أكرمه هو أيضاً^(٣)
ربما بايعاز من حاكم الحجاز دون التدخل المباشر في امور اليمن الداخلية .

وكذلك كانت الدولة الطاهرية تكرم من يلتجئ اليها من أشراف الحجاز ،
دون التدخل المباشر في الحجاز ، فنجد أنه في شهر صفر سنة ١٢٩٧هـ / ١٤٩١م ،
قدم الشريف رميثه أخو الشريف محمد بن بركات على الشيخ عبد الملك بن الملك المنصور

(١) العقيلي ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليماني ، ج١ ص ٢٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج١ ص ٢٦١ .

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ١٥٦ .

بنزيد فأكرمه ، ثم ذهب به الى أخيه الملك الطاهر ، ولم يزل عند ، حتى استأنس به في السفر الى مصر ،^(١) لكي يحاول الحصول على سلطنة الحجاز وقد يتم له ذلك من السلطان المملوكي في مصر . وكانت الاتصالات بين اليمن والحجاز في تلك الفترة ، متصلة فنجد أنه في شهر ربيع الأول سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ، قدم على الملك الظافر مسن عند الشريف محمد بن بركات مبعوثا بحملة من الهدايا^(٢) وفي شهر شوال من نفس العام ، قدم رسول الى الملك الظافر باليمن من عند أبي السمود بن ابراهيم بن ظهيرة الشافعي قاضي مكة المكرمة ، بكتاب صحيح البخاري فأكرمه الملك كثيرا^(٣) .

ومن ذلك يتضح لنا حسن العلاقات بين الحجاز واليمن في تلك الفترة ، ربما لانشغال كل طرف من الأطراف بمشاكله الداخلية وحربه الخارجية ، فاليمن كانت تمر بفترة صراع بين الدولة الزيدية والطاهرية ، بالإضافة للغزو البرتغالي لأطرافها في عدن ، والحجاز كان يمر بفترة صراع بين أبناء الشريف محمد بن بركات على السلطة ، بغض النظر عن فترة تولي الشريف محمد بن بركات ، والتي كانت فيها معركة جيزان بينه وبين الشريف أبي الغواير وما قد تكون أحدثته من توتر في العلاقة بينه وبين الدولة الطاهرية المحاورة لتلك الأحداث والتي تراقب الموقف عن كثب خوفا على أراضيها .

ب - الحجاز وشرق الجزيرة العربية :

لقد كانت هناك علاقات قائمة بين الحجاز ومنطقة شرق الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، وهي علاقات اقتصادية وسياسية ، حيث كانت حاصلات نخل والمناطق المحاورة لها شرقا تباع في أسواق الحجاج في موسم الحج ، وغيرها من

(١) الديب ، عبد الرحمن : الفضل المزيدي ، ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

الأوقات . وكان لأشراف الحجاز أنصارهم في شرق الجزيرة العربية .^(١) وعن تاريخ تلك المنطقة في شبه الجزيرة العربية ، نجد أنه في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م ، استولى عليها أبو بكر بن سعيد بن أتابك أحد ملوك فارس ، وكان من أهل السنة^(٢) وفي سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ، استولى عليها جنكيز خان المغولي إلى أن انقرضت هذه الدولة في سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م^(٣) ثم استولت عليها الدولة الكورانية .^(٤)

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري الرابع عشر الميلادي ، حكم البحرين آل حبر بن زامل . ويعود أصلهم إلى قبيلة من قبائل نجد ، نزحت إلى الأحساء سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م واستأثر بحكم الأحساء سيف بن زامل بن حسيب — العقيلي الجبري ، بعد أن انتصر على آخر الجراونه ، بقايا القرامطة في الأحساء ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم في الأحساء أخوه أجود بن زامل بن حسيب — الجبري ، الذي امتد حكمه إلى القطيف والبحرين . وبعد وفاة أحمد تولى ابنه سيف ابن أجود بن زامل الذي وسع أطراف إمارته ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان ابن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م . وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن ، فقد حكم البحرين وعمان في النصف الأول من القرن العاشر الهجري الرابع عشر الخامس عشر الميلادي ، وفي عهد استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م .^(٥)

-
- (١) شاکر ، محمود : شبه جزيرة العرب . ص ١٥٥
 (٢) الانصاري ، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر : تحفة المستفيد بتاريخ الأحسان في القديم والحديث ، اشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي حمد الحاسر ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ج ١ ص ٥٥
 (٣) المرجع السابق ، ج ١ ص ٥٥
 (٤) المرجع السابق ، ج ١ ص ٥٥
 (٥) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ج ٨ ص ١٩٠
 — الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣١٦

ولقد كان للأسير أجود بن زامل علاقات تجارية بالحجاز ، بالإضافة إلى
القوافل التي كانت تسلك الطرق إلى مكة المكرمة ، وكان الأمير أجود بن زامل مسن
القوة والعدل بحيث حقق الأمن على الطرق التجارية في طريق بلاده ، وكان فـى
بعض الأحيان يقود قافلة الحجيج بنفسه أو يكلف أحد أفراد أسرته بذلك ، للمحافظة
على الأمن في تلك الطرق وكان ذو علاقة طيبة مع حكام الحجاز المعاصرين له واثمنا
ما يرسل المساعدات عند ما يطلب منه من قبل حكام الحجاز ما جعل معاصروه يفتخرون
عليه ببعض الألقاب ، مثل سلطان البحرين والقطيف والحساء ورئيس أهل نجد^(١) . ولقد
قدم محمد بن أجود بن جبر المساعدة للشريف بركات بن محمد في حفظه للأمن على
الحجاز من المتمردين على سلطة الشريف بركات مثل أمير ينبع يحيى بن سبع ، وأمير
خليص مالك بن رومي ، والشريف حميض بن محمد بن بركات وذلك في سنة
٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م ، حيث وصل محمد بن أجود بن جبر كما جاء في قول المؤرخ
أحمد بن محمد بن يعقوب وصل في طائفة من عسكره تقدر بخمسين ألف إلى مكة المكرمة
بناءً على طلب من الشريف بركات بن محمد لمساعدة في قتال الخارجين عليه
ولقد وجد محمد بن أجود العسكر المملوكية التي بعثها الفوري قد استطاعت انزال
الهزيمة بالمرتدين فقام بأداء العمرة ثم رجع إلى بلاده . ولقد ألبس محمد بن أجود
قائد القوات المملوكية خلعه لما قام به من حفظ للأمن^(٢) ولكن الأقرب هو ما ذكره

١ - الاحسائي ، محمد بن عبد الله : تحفة المستفيد ، ج ١ ص ١٣٠ .

(يقول المؤرخ في صفحة ٥ من نفس المرجع استمرت الدولة الكورانية على

البحرين إلى سنة ٩٢٢ هـ دون ذكر آل جبر) .

٢ - صيرفي ، نوال : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ٥٣ .

(١) الحمدان ، د . عبد اللطيف ناصر : مكانة السلطان أجود بن زامل الحبشي
في الجزيرة العربية . الدار ، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، رجب

١٤٠٢ هـ مايو ١٩٨٢ م ، ص ٦٠ .

(٢) ابن يعقوب ، أحمد : السلاح والعدة ، ص ٩ .

المؤرخ عبد القادر الجزيري أن الذي حج سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م هو السلطان أجود ابن زامل في عدد من اتباعه يقدرون بثلاثين ألف^(١) . ولقد حج السلطان أجود أيضا قبل ذلك سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م^(٢) . حيث كان يقود قوافل الحجيج والتجارة الى الحجاز .

ج - الحجاز والعراق :

أما بالنسبة لعلاقة الحجاز الخارجية مع العراق في فترة بحثنا التي كان يحكم العراق فيها السلطان أوزون حسن الطويل ، حاكم دولة الخراف البيسن ، الذي أراد أن يربط نفسه بعلاقة طيبة مع الحجاز ، والذي كان يخضع في ذلك الوقت للسيادة الاسمية المملوكية . ولحسن العلاقة التي كانت قائمة بين حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات والدولة المملوكية ، رفض أن يسمح بقيام أى محاولة من جانب السلطان حسن الطويل في فرض سيادته على الحجاز ، وذلك حينما بعث السلطان حسن الطويل بالمحمل العراقي الى الحجاز سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م ، وفيه الكثير من أهل الدين الذين طلبوا من خطباء مساجد المدينة المنورة أن يخطبوا للسلطان الملك العادل حسن الطويل بصفته خادما الحرمين الشريفين^(٣) .

وربما طلبوا ذلك من طمأنينة المدينة المنورة بعد رفض الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز السماح بذلك . وقد يكون ما فعله السلطان حسن الطويل نتيجة لما يقوم به أمراء الحاح المصري من عهد للمحمل العراقي ، وقبيل على أمراء ، ونتيجة للخلافات التي كانت قائمة في ذلك الوقت بين دولة المماليك والعراق ، كان هناك

(١) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٦ .

— الاحسائي ، محمد : تحفة المستفيد ، ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٣ .

(٣) ابن اياس ، محمد : يدائع الزهور ، ج ٣ ص ٩ .

— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٤٦ .

بعض الخلاف على الكيفية التي يجب أن يظهر بها المحمل العراق في مواسم الحج .

ويتضح من موقف الشريف محمد بن بركات وابنه الشريف بركات بن محمد بعد ،
أنهما كانا يقاومان المحمل العراق . وقد يرجع ذلك الى اعتبارات دينية لا انتشار
المذهب الشيعي في العراق وفارس في ذلك الوقت ، رغم أن دولة اوزون حسن سنيه ،
والهدف عدم المساس بعلاقتهم بالدولة المملوكية . ولقد قام اشراف الحجاز في ذلك
الوقت بصدد المحمل العراق ، والقبح على أميره ، مثلما حدث سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م
عند ما خرج الشريف محمد بن بركات وعسكره مع أمير المحمل المصري ، وأمسكوا أمير
المحمل العراق وبعثوا به الى مصر . (١)

وفي سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م ، كذلك تمكن الشريف محمد بن بركات وأمير
المحمل المصري من أمسك أمير المحمل العراق وبعثوا به الى مصر (٢) وفي سنة
٨٨٠هـ / ١٤٧٥م ، حج العراقيون بمحمل ولكنهم لم يصعدوا الى عرفات . (٣)

وفي سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م ، حج العراقيون بمحمل ، واستطاعوا الوقوف به
في عرفة بعد ما قدموا الأموال رشوة لأمير الحاج المصري ، وقائد العسكر المملوكي
بمكة المكرمة . (٤)

(١) الحزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٧ .

— العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٧٦ .

(٢) الحزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(٤) ابن فهد ، عمير : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٤٧١ .

— ابن فهد ، عبد العزيز : غاية العرام ، ج ٢ ص ٥٢٣ .

— الحزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .

— العصامي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٧٧ .

(يقول المؤرخ لم يوافقهم الشريف محمد بن بركات على ذلك) .

وفي سنة ١٢٨٦هـ / ١٤٨١م عند قدوم محمل العراق ، احتنع الشريف محمد ابن بركات وأمير الحاج المصري واتفقوا على منع دخول المحمل العراق بهيئته الرسمية وإنما يبقى المحمل خارج مكة ويدخل الحجاج العراقيين مع المحمل المصري لأداء فريضة الحج ، فبقى المحمل العراقي خارج مكة المكرمة ، ثم بعد انقضاء موسم الحج أخذ أمير الحاج المصري أمير المحمل العراقي معه الى مصر ^(١) لهدف تأديبه لأن ذلك اعتبر منافسة للدولة المملوكية ذات العلاقة المميزة مع الحجاز وحيث لم تكن الدولة المملوكية لترضى بمنافسة من ملك العراق على العلاقة المميزة بالحرمين الشريفين فهي في ذلك الوقت كانت دولة الاسلام لا حياثها الخلافة العباسية فوس عاصمتها القاهرة ، وسيطرتها على أجزاء من أقدس بقاع العالم الاسلامي .

د - الحجاز والدولة العثمانية قبل سقوط دولة المماليك :-

أما بالنسبة لعلاقة الحجاز بالدولة العثمانية في تلك الفترة فكانت علاقة حسنة منذ قيام الدولة العثمانية . حيث كانت أول صلات مباشرة بين الطرفين زمن السلطان العثماني محمد جلبي الاول الذي تولى سلطة الدولة العثمانية سنة ١٢٨٦هـ / ١٤١٣م ، حينما بعث بالهدايا الى حاكم الحجاز ، والتي كان يطلق عليها اسم الصرة ، وهي عبارة عن قدر معين من النقود يرسل الى حاكم مكة المكرمة لتوزيعها على فقراء مكة والمدينة ^(٢)

وحيثما تولى السلطة العثمانية مراد خان الثاني كان يرسل الصرة لاهل الحرمين وزاد في مقدارها . ^(٣)

(١) الجزيري ، عبد القادر : درر الغوائد ، ص ٣٤١ .

— ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٤٧١ .

(٢) المحامي ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥٢ .

(٣) القطبي ، عبد الكريم بن محب الدين : تاريخ البلد الحرام المعروف بأعلام =

ويقال أن أول من عمل أموال مخصصة لأهل الحرمين من سلاطين آل عثمان هو السلطان محمد الفاتح ^(١) وعند فتح القسطنطينية على أيدي العثمانيين نسرى أن السلطان العثماني محمد الثاني لم يكتب بابلاغ بناء الفتح إلى السلطان المملوكي أينال ، بل قام بابلاغه أيضا إلى حكام الحجاز ، وطلب منه إعلان البشرى من فسوق منابر مكة المكرمة ، وتوزيع الصدقات على فقراء الحرمين الشريفين ، وبعث بكثير من غنائم القسطنطينية إلى مكة المكرمة ^(٢) انظر نص الرسالتين المتبادلتين بين السلطان العثماني محمد الفاتح وحاكم مكة الشريف محمد بن بركات في ملحق رقم (٢) ورقم (٣) والمرجح أن أول من عمل أموال مخصصة لأهل الحرمين هو السلطان محمد جلبي وليس محمد الفاتح . وقد زاد السلاطين من بعده من قيمة تلك الأموال المبعوثة للحرمين الشريفين ويحسن اليهم ، وكان يبعث في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهباً للحرمين الشريفين لتصرف على فقرائها ^(٣) إضافة إلى تأديته فريضة الحج سنة ١٢٨٧هـ / ١٤٨٢م ما وثق الصلات بينه وبين حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات ^(٤) ولقد ورد عليه خطيب مكة الشيخ محي الدين العراقي والشيخ شهاب الدين ابن الحسين العلييف شاعر البطحاء الذي نظم

العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام عن كتاب المؤلف قطب الدين بن علاء الدين الحنفى اعلام الاعلام بأخبار المسجد الحرام ، تحقيق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي ، الطبعة الاولى ، مكتبة الثقافة ببياب السلام ، مكة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، ص ٩٤ .

— البسنوى ، على دمه : مناقب مكة المكرمة ، مخطوط ، ص ٤٨ .

- (١) القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٥ .
- (٢) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥٢ .
- (٣) الحنبلى ، أبى الفلاح عبد الحى بن العماد : شذرات الذهب فى أخبار مسن ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ج ٨ ص ٨٦ .
- الفزى ، نجم الدين : الكواكب السائرة ، ج ١ ص ١٢٢ .
- () يعتبر السلطان محمد الاول جلبي خامس سلاطين الدولة العثمانية توفى سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م)
- المحامى ، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٤٩ .
- (٤) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

قصيدة يمدح بها السلطان بايزيد ومنها قوله :

فيا راكبا يسرى على ظهر ضامر . . . الى الروم يهدى نحوها طيب البشر (١)
وقد يكون ذلك بأمر من الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز ما كان يزعم
الدولة المملوكية .

هذا وقد قام جم أخو السلطان بايزيد بأداء فريضة الحج بعد خصومته مع
أخيه سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م ، فكرمه شريف مكة المكرمة محمد بن بركات . (٢)

وعند ما تولى السلطان سليم الأول نراه يتفقد أهل الحرمين الشريفين
ويبعث بالكثير من الصدقات والأموال الى الحجاز ، لتوزع على فقراء الحرمين
الشريفين . (٣)

ومن الملاحظ أن علاقة أشراف الحجاز بالعثمانيين قبل استيلائهم على
الحجاز ، كانت علاقات حسنة تتسم بالود والفرحة بانتصارات العثمانيين على الأوروبيين
ثم بعد استيلاء العثمانيين على الشام ومصر ، نجد أن الحجاز يدخل سلميا فسي
طاعة العثمانيين . وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين أشراف الحجاز والعثمانيين .

-
- (١) العصامي ، عبد الملك : درر الفوائد ، ج ٤ ص ٦٨ .
(٢) السيوطي ، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : تاريخ
الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ،
مطبعة الفحالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٥١٦ .
— اصاب ، عزتو يوسف بك : تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم
حتى الآن ، دار النشر ابراهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية في مصر ،
المطبعة العمومية ، مصر ، ص ٤٩ .
(٣) القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ١٠٦ .

الفصل الثاني

التهدية الصليبية البرقنالي للجرجار

الفصل الثانى

التهديد الصليبي البرتغالى للحجاز

١ - هدف البرتغاليين من الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح :

ان الحروب الصليبية التى بدأت سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م ، لم تنته بطرد المسلمين للصليبيين من آخر معقل لهم فى أرض الشام ، بل فى الحقيقة استمرت بعد ذلك بفترة زمنية قصيرة ، فلقد كان دعاة الحروب الصليبية يضعون الخطط ويتقدمون بالأراء ، عن الكيفية التى ينبغى لدول أوروبا أن تهاجم بها العالم الاسلامى ، وأهم دعاة الحروب الصليبية فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى ، أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، كان ريموند لول ، الذى وضع خطة فى سنة ٧٠٥ هـ - ١٣٠٥ م ، نادى فيها بالعمل على كسب المسلمين وطوائف المسيحيين الشرقيين والهرطقة الى معسكر الكنيسة الغربية ، عن طريق التبشير ، مع ارسال حملة قوية الى الشرق ، عن طريق أسبانيا بعد طرد المسلمين منها ، ثم الى شمال أفريقيا ، ثم منها الى تونس ومصر ، ويساعد الأسطول الصليبي هذه الحملة من قاعدتين فى مالطة ورودى (١) . ثم تلى ذلك فى القرن السابع الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، داعسى آخر من دعاة الحروب الصليبية هو مارينوسانودو البندقي الأصل ، الذى عمل كتابا عن أحوال الأرض المقدسة ، حدد فيه ثلاث خطوات للقيام بحرب صليبية على العالم الاسلامى ، والخطوات الثلاث هى :

أولا : اضعاف مصر اقتصاديا .

ثانيا : احتلال مصر حربيًا .

ثالثا : الاستيلاء على الأراضى المقدسة بالشام والاقامة فيها . (٢)

(١) د . عاشور، سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة من تاريخ

الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو

المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢ ، ج ٢ ص ١١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ص ١١٣٩ .

ولقد تزعمت دولتي البرتغال والأسبان الحرب الصليبية ضد العالم الإسلامي ، بعد أن استطاعا اخراج المسلمين من الأندلس ، ثم انطلقا وراءهم حسب مخطط مدروس يريدون حصارهم من كل الجهات .^(١)

ولقد نشطت البابوية كثيرا ضد العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، عن طريق دعوة تلوك أوروبا الى مؤازرتها لمواجهة الاسلام ، وضده عن أوروبا ، عن طريق مهاجمة الدول الإسلامية ،^(٢) وخاصة بعد أن هددت الدولة العثمانية كبرى الدول الإسلامية في ذلك الوقت أوروبا بأكملها ، بعد استيلاء السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية العاصمة الثانية للمسيحية في العالم بعد روما سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٢ م ،^(٣) فقام ملك البرتغال خوان الثاني في سنة ٨٩٣ هـ - ١٤٨٧ م بمحاولات منه للاطلاع على أحوال البلاد الإسلامية ، والتعرف على امكانية وجود مسيحيين يساعدونه في حربه ضد العالم الإسلامي ، ومعرفة الطرق التي توصل الى الهند ، لمحاصرة المسلمين من ناحية الجنوب ، اقتصاديا ثم عسكريا وعهد بذلك الى بدرودي كوفلها ، وزجلا له يدعى الفونسودي بايفا وهما يهوديان ، وطلب منهما البحث أيضا عن ملكة القس يوحنا ، الذي كان منتشرا عنه في أوروبا أنه مكون دولة مسيحية في مكان ما في الأرض ، قد تكون في الصين أو الهند ، أو الحبشة .^(٤)

(١) شاكر، محمود : المسلمون في بورندي ، الطبعة الأولى ، المكتب الاسلامي

بيروت سنة ١٣٩٨ - ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

(٢) الرمال عثمان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٢٠ .

— د . دياب ، أحمد ابراهيم : لمحات في التاريخ الافريقي الحديث ، الطبعة

الأولى ، دار المريح الرياض ، سنة ١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ ، ص ١١٠ .

(٣) العصامي محمد الطك بن حسين : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٦٧ .

— سعيد ، أمين : الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، دار

الكاتب العربي ، ص ٢٧ .

(٤) الشبناوي ، د . عبد العزيز محمد : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، الطبعة =

ويقال أن رجلا آخر سبق هؤلاء سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٢ م ، يدعى
بيتردي كويلان ، روى أنه زار مكة المكرمة والمدينة المنورة كسلا لأداء المناسك .^(١)

وفي سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م ، قام لود فيكودي قارتيا البولندي الأصل
برحلته الى داخل جزيرة العرب ، وقد شارك هذا البولندي الذي يعتبر جاسوسا
للبرتغال مع الجيش البرتغالي في حروبه ضد المسلمين ، ولقد كان الغزو البرتغالي
لشمال العالم الاسلامي وجنوبه بحرا ، فلقد استخدم البرتغاليون في سفنهم
الحربية كل ما أنتجه المسلمون من علم ومعرفة في العلوم البحرية ويمكن القول أنه لم
يعشر قبل سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م على خريطة ترجع أصلا الى البرتغاليين .^(٢)

ولقد استطاع اليهود نقل الكثير من المعلومات الجغرافية الاسلامية من
الأندلس الى بقية دول أوروبا ، ثم بعد سقوط الأندلس في أيدي المسيحيين ، ترجم
اليهود المؤلفات الاسلامية في الكثير من العلوم ، وخاصة علوم البحار الى الأسبانية
ولقد استخدم البرتغاليون اليهود كجواسيس وعلماء لهم في المشرق الاسلامي
لمعرفتهم للغة العربية ومعايشهم لها ، لتزويدهم بأحدث المعلومات العربية ،
ففي سنة ٤٩٨ هـ / ١٤٨٨ م ، قام جواسيس اليهود الذين يتقنون اللغة العربية
برحلة الى مصر لجمع المعلومات فيما يتصل بالبحث عن ملكة القديس يوحنا كما ذكرنا .^(٣)

== الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٩٨٢ م ، ص ١٢٠ .

— فوزي ، د حسين : أثر العرب والاسلام في النهضة الأوروبية ، اعداد
واشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاول مع منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف
والنشر ، سنة ١٩٧٠ م ، ص ٣٣٢ .

— بيرين مجاكين : اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المفامرة والعلم
نقله الى العربية قدرى قلمجي ، قدم له الشيخ حمد الجاسر ، دار الكاتب
العربي ، ص ٢٧ .

(١) الصياد ، د محمد محمود : الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن
التاسع عشر ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الرابع عشر ، سنة ١٩٨٠ م ص ٤٨

(٢) البهراوى ، محمد : فتح العثمانيين ، عدن ، ص ٥٦ .

(٣) محمود ، د حسن أحمد : التهديد البرتغالي لسواحل العرب ومصادر رداسته . =

ولعمل خدمة اليهود التي قدموها للبرتغاليين ترجع منذ ذلك الزمن الى
أملهم في تكوين دولة لهم ، هذا بالإضافة الى حبهم جمع الأموال ، وحقد هم
التأصل على المسلمين .

ولقد كان هنري الابن الثالث للملك يوحنا الأول ملك البرتغال ، مغذى
منذ أيام طفولته الأولى بحقد مرير للاسلام ، بحيث جرد حملة عسكرية على المسلمين
وهو يعد صغير السن ، فقام بمهاجمة مدينة سبتة بشمال أفريقيا سنة ٨١٨ هـ /
١٤١٥ م ، واستطاع الاستيلاء عليها (١) .

وهذا كان أول هجوم على دول الاسلام بشمال أفريقيا ، ثم قام بحملة
أخرى على مدينة طنجة سنة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م ، ولكنها لم تنجح ، وكان هدفه
وضع خطة لتطويق العالم الاسلامي من الشمال والجنوب ، فتجرد لدراسة الملاحة
البحرية ، وكان من المتصلين به رجل اسمه يهوذا فريسقوس ، يعرف باسم الأستاذ
المعلم جاكومي ، وأسس مدينة لتعليم الملاحين وحسن من صنع السفن (٢) .

== مجلة العرب ، ج ٧ - ٨ ، محرم وصفر ١٣٩٨ هـ / يناير فبراير ١٩٧٨ م ،
ص ٥٩٩ .

— صيرفي، نوال : النفوذ البرتغالي في الخليج ، ص ٨١ .
(١) الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد : كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب
الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار
البيضاء ، سنة ١٩٥٥ م ، ج ٤ ، ص ٩٢ .

— بانهاكار ، ك م : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق
حاويد ، مراجعة أحمد خاكي ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ص ٢٧ .

وفى سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م ، تلقى هنرى الملك البرتغالى ، الشهير بالملاح من البابا نيقولا الخامس تفويضا له ، بأن له الحق فى جميع الكشوف التى يكتشفها حتى بلاد الهند ، أو بالأصح أن له الحق فى جميع البلاد التى يستعمرها حتى بلاد الهند ، ما دام ينشر فيها المسيحية ويقضى على البلاد الاسلامية ، وفيما يلى بعض ما جاء فى ذلك المرسوم :

" أن سرورنا العظيم أن نعلم أن ولدنا هنرى أمير البرتغال ، اذا يترسم خطى والده العظيم الملك يوحنا ، وان تلبه الفيرة التى تملأ النفس كجنسدى باسل من جنود المسيح ، قد دفع باسم الله الى أقصى البلاد وأبعدها عن مجال علمنا ، كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الفادرين من أعداء الله وأعداء المسيح أمثال العرب والكفرة " . (١)

وفى سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م ، أصدر البابا كاليكستوس الثالث مرسوما بابويا يؤكد النعمة التى وهبها نيقولا الخامس ، (٢) بالإضافة الى مراسيم أخرى أصدرها البابا اسكندر السادس سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م ، مؤيدة للفلسفة البرتغالى للعالم الاسلامى . (٣)

ولقد عبر الملك عما نبيل الأول ملك البرتغال ، الذى قامت فى عهده أول ، حملة بحرية الى الشرق فى خطبة طويلة عن أغراض الحملة فقال :

أن الفرض من اكتشاف الطريق البحرى الى الهند ، هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق . (٤)

-
- (١) بانيكار : أسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٧ .
 (٢) بانيكار : أسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٧ .
 (٣) صيرفى نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٦٥ .
 (٤) سالم ، د السيد مصطفى : الفتح العشائى الأول للبين ١٥٣٨ - ١٦٣٥ . =

وقد قيل أن الصليب والدفع كان رمزى القادم الجديد الذى دخل الى الشرق ، هذا ولقد كانت هناك محاولات من جنوه أو البندقية لاكتشاف الطريق الى جنوب العالم الاسلامى ، وذلك سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م ، عندما قام بحاران من البندقية أو جنوه برحلة لم يصل فيها الى أبعد من جزر رأس فيرد وهى رأس الرجاء الصالح (١) .

وكانت القوى الصليبية فى غزوها لشمال وجنوب العالم الاسلامى ، تطمع فى أن يكون لها حليف قرب تلك المناطق خاصة فى جنوب العالم الاسلامى ، حيث تبعد المسافة عن قاعدة البرتغال الصليبية ، فكان هنرى الملاح يبحث عن ملوك للحبشة يسى القس يوحنا ، وهذا الاسم لعب دورا كبيرا فى الحروب الصليبية ، فأطلق أولا على رؤساء قبيلة القرايت المسيحية بأسيا الوسطى ، الذين كانوا يتعاونون مع نصارى الغرب للقضاء على الاسلام ، فلما ساد الاسلام فى الأوسط المغولية ، أطلق مسيحو الغرب هذا الاسم على بعض ملوك الحبشة (٢) .

== الطبعة الثانية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث

والدراسات الاسلامية ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ٤٦ .

(١) البهكلى ، عبد الرحمن بن أحمد : نفج العمود فى سيرة دولة الشريف حمود ،

تكلمة الحسن بن أحمد عاكش ، دراسة وتحقيق وتعليق محمد بن أحمد

العقيل ، دار الملك عبد العزيز الرياض ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،

ص ١٨ .

(٢) المطوى ، محمد المروسى : الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، الطبعة

الأولى ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م ص ١٩٦ .

— الجوهري ، يسرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، منشأة

المعارف بالأسكندرية ، ص ١٥٧ .

— محمدين ، محمد محمود : الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ،

دار العلوم للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٨٦ ، ==

وكان مخطط البرتغاليين يتمثل في دخولهم الى البحر الأحمر بعد التفافهم حول القارة الافريقية من ناحيتها الغربية ، ومن ثم الاستيلاء على جده ، ثم الزحف منها على مكة المكرمة لهدم الكعبة المشرفة ، ومن ثم مواصلة الزحف الى المدينة المنورة لنبيش قبر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم مواصلة الزحف الى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى . (١٠)

وفي ثمه وضع ايديهم على تجارة الشرق الاقصى وذلك يحرمون المسلمين في المورد الاقتصادي الذي كانوا يستطيعون عن طريقه تكوين وتمويل قواتهم العسكرية التي يحاربون بها المسيحيين ، (٢) وذلك تتضح أهداف البرتغاليين الصليبية والاستعمارية والاقتصادية وكان شعار هذا الغزو الصليب أو المدفع . (٣)

ولقد اعتبر هذا العدوان من الأعمال البطولية ، والاكتشافات الجغرافية العظيمة ، في حين لم يكن هدفه سوى محاربة الاسلام في موطن الاسلام مكة المكرمة والمدينة المنورة . (٤)

-
- == (يقول المؤلف أرسل برستر جون " القديس يوحنا " سنة ٥٦٦ هـ / ١١٢٠ م خطابا الى البابا في روما والى الامبراطور البيزنطى لتمويل رحلات الاستكشاف والبعثات التنصيرية ومحاربة الكفار يقصد بذلك المسلمين) .
- (١) الشناوى ، عبد المزيـز محمد : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ م ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ .
- (٢) عبد ربه ، سعد زغلول : البرتغاليون والبحر الاحمر ، ص ١٠٩ .
- (٣) الشناوى ، عبد المزيـز : الدولة العثمانية ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ .
- (٤) باركر ، سرار نست : تراث الاسلام ، تأليف جمهرة من المستشرقين ، أشرف سير توماس ارنولد ، غربه وعلق حواشيه ، جرجس فتح الله ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٢٨ م ، ص ١٢٢ .

ولم تكن هذه المحاولة لغزو مكة المكرمة والمدينة المنورة هي الأولى من نوعها ، فلقد سبقتها محاولات أخرى ، ففي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م عند ما استولى الصليبيون على بعض المناطق المطلة على البحر الأحمر مثل أيلة ، نجسد أحد أمراء الصليبيين وهو أرناط أوريثودى شاتيون أمير حصن الكرك ، يقوم بعمل جريء وقح ، عند ما فكر في القضاء على السيادة الإسلامية ، وطعن الاسلام والمسلمين بغزو الحرمين الشريفين .

ولقد بنى سفنا أنزلها في خليج العقبة ، ثم أغار على الموانئ الإسلامية في البحر الأحمر حيث تمكن الصليبيون من النزول على ساحل الحوارة قرب ينبع ، وأصبحوا على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة ، وكان قصدهم نبش قبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأخذ جسده الشريف إلى بلادهم ، فلما علم بذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي وكان بالشام ، أمر نائبه على مصر المعادل سيف الدين بالاسراع في تجهيز قائد الأسطول الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب للقضاء على الصليبيين في البحر الأحمر ، وتمكن هذا القائد بعد مطاردة الصليبيين أن يوقع بهم عند ميناء عذاب ، ثم في شواطئ الحجاز عند ساحل الحوارة ، ثم تعقبهم داخل بحر الحجاز ، واستطاع أسر عدد منهم ، فبعث باثنين منهم إلى متى وكان موسم الحج قد قرب حيث نحرهما هناك ، وعاد ببقية الأسرى إلى مصر . (١)

(١) ابن فهد ، عمــــر : اتحاف الوري ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

— ربيع ، د . حسنين : بحر الحجاز في العصور الوسطى ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود ، العدد الأول ،

١٣٩٧ / ١٩٧٧ ، ص ٤٠٣ .

— بيرين ، جاكين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٢ .

— حسن ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٦٧ م ، ==

أما فيما يقال أن الغزو الصليبي البرتغالي لجنوب العالم الاسلامي ، كان هدفه تحويل مسار التجارة الشرقية التي كانت تعرباً لأراضي الاسلامية ، والتي كانت تأتي عن طريق دول المحيط الهندي ، فإن صح هذا التعبير فالغرض منه أيضاً هو محاربة الاسلام والمسلمين حيث أن اضعاف قوة المسلمين الاقتصادية معناه اضعاف لقوتهم العسكرية في مصر والحجاز واليمن وغيرها من مناطق العالم الاسلامي ، حتى تستطيع القوات الغازية السيطرة على تلك المناطق الهامة في الدولة الاسلامية (١) .

ولقد مر اكتشاف البرتغال لطريق بحري يوصلهم الى جنوب العالم الاسلامي بسنوات عديدة ، ومعه من القواد الذين تولوا قيادة السفن البرتغالية حتى استطاعوا الوصول الى المحيط الهندي ، وسنذكر تلك المراحل بشيء من الاجاز ، فلقد بدأ البرتغاليون في أول الأمر باحتلال مراكز معينة على الساحل الراكشي لاfrica لتلجأ اليها السفن البرتغالية ، مثل سبتة في سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، وقصر المجاز سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٢ م ، وطنجة سنة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م ، هذا بالإضافة الى غيرها من المدن (٢) .

ولقد نجحت حملات الملك هنري الملاح في الوصول الى جزر ماداغاسكار وكاناري وآزورو ، وكلها على المحيط الأطلسي في غرب أفريقيا ، ثم نجح بارثولوميو دياز في الوصول الى رأس الرجاء الصالح عام ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م ، وفي سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، استطاع فاسكودي جاما أن يكمل الالتفاف البرتغالي حول

== ج ٤ ، ص ١٠٩ .

— قاسم ، د ، أنيس : تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٤٦ .

(١) الرمال ، غسان : سراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٢٣ .

(٢) الناصري ، أبو العباس أحمد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،

ج ٤ ، ص ١١٠ .

الساحل الغربى لأفريقيا ، وأن يصل كلكتا بالهند ، ولقد دهش البرتغاليون عند ما رأوا النفوذ الاسلامى الكبير على ساحل أفريقيا الشرقى ، والمحيط الهندى وسواحل البحر الأحمر ، وساحل الهند الغربى .^(١) انظر ملحق رقم (٥) .

وقد اختلف فى اسم الملاح المسلم الذى أرشد فاسكود اجاما الى طريق الهند فيقال أنه الملاح المسلم العربى أحمد بن ماجد .^(٢)

(١) دسوقي ، د ، محمد كمال : أهمية الحجار فى مطلع العصور الحديثة ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ / ١٣٩٧ ، العدد الثانى ، ص ٤١٠ .

Baily w. Diffie and george D. winiue:

Foundation of the portuguess Empire 1415- 1580

London: 1977- 175.

(يقول المؤلف : كان السبب فى طول الدة بين رحلتى بارثلمير دياز عام ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م ، وفاسكودى جاما ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م عائدا الى عوامل عديدة منها ارسال السفن الى المغرب عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م بسبب الثورات الأهلية ضد هم والأنشغال بجماعات الجزويت التى خرجت من أسبانيا والمقاتل الذى دار بينهما فى البرتغال عام ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م وخروج كولمبس فى رحلته الاستكشافية وانتظار التقارير التى وعد بارسلها كوفلهام جاسوس البرتغال الى الشرق) .

(٢) النهر والى ، قطب الدين محمد بن أحمد : البرق اليماني فى الفتح

العثمانى ، الطبعة الاولى ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ص ١٨٠ .

— ابن ماجد ، أحمد ، ملاح فاسكودى جاما : ثلاثة أزهار فى مرفقة البحار ، تحقيق ونشر شيود ورشو موفسكس ، ترجمة د . محمد منير مرسى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص ٨٦ (يقول المحقق الذى أرشد دى جاما من مالندى الى كاليكوت ملاحا من الجوزرات يدعى كاناكسا والذى أرشد الكل وقاد السفن جميعها هو ابن ماجد) .

وتذكر لنا بعض المؤلفات أن أحد الملاحين المسلمين من كجرات يدعى
قانا ، أوقانقا ، أوكانكا . (١)

ومهما يكن اسم ذلك الملاح المسلم ، فهذا يدل على مدى تقدم المسلمين
في مختلف أنواع العلوم ومنها العلوم البحرية ، ولم يكن ذلك البحار ليعلم هدف
البرتغاليين الغزاه ، المتشغل في الوصول الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولم يكن
فاسكودى جاما يتعرف على الطريق الموصله الى الهند حتى نراه في سنة ٩٠٤ هـ /
١٤٩٨ م ، يهاجم العراكب التي كانت تحمل الحجاج من الهند الى البحر الأحمر ،
وصدرت اليه الأوامر من ملك البرتغال في سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٢ م ، أن يغلق
البحر الأحمر في وجه السفن الاسلامية . (٢)

-
- == — الصياد ، د محمد محمود ، أثر العرب والاسلام في النهضة الأوربية ،
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧٠ م ، ص ٣١٨ .
— كراموز ، أ ج : تراث الاسلام .
— أشرف سير توماس ارنولد : تعريب وتعليق جرجيس ، الطبعة الثالثة ،
دار الطليعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ١٥٥ .
— محمد دين ، د . محمد محمود : تساؤلات حول قضية ارشاد ابن ماجد ،
لفاسكودى جاما الى طريق الهند . مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض
المجلد ٦ ، سنة ١٩٧٩ م ، ص ٥٩ .
— صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٨٨ .
(١) محمد دين ، محمد محمود : الجغرافيا والجغرافيون ، ص ١٩٦ .
— فوزى ، د . حسين ، أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوربية ، ص ٢٣٦ .
— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٦٣ .
— محمد دين ، محمد محمود : تساؤلات حول قضية ارشاد ابن ماجد ،
ص ٥٧ - ص ٦٠ .
(٢) طرخان ، ابراهيم على : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢ -
١٥١٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٢٩١ .

هذا وقد حاولت دولة المماليك بمصر السيطرة على معظم البحر الأحمر
والمستفيدة من التجارة الشرقية إضافة لكونها من الدول الإسلامية الكبرى فسي
ذلك الوقت كانت أن تجعل البرتغاليين يعدلون عن نواياهم العدوانية
وذلك حينما بعث السلطان المملوكي قانصوه الغوري في سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ،
سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م برسائل احتجاج وتهديد الى البابا وملكى أسبانيا
والبرتغال اللتين كانتا تقودان الهجوم الأوربي ضد العالم الاسلامي وغيره من
المناطق .

ولم تكفى بالاحتجاج وانما هدد الغورى بهدم كنيسة القيامة ومنع الحج الى
الأراض المقدسة في فلسطين اذا لم يكف البرتغاليون عن مواصلة هجومهم ، ولكن
ذلك التهديد لم يوقف عملهم المدائى للمسلمين وفى ذلك يقول المؤرخ عبد الرحمن
الديبع ، أنه فى سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م قويت شوكة الاقرنج وحصل على المسلمين
منهم ضرر فى ناحية الهند وهرمز . (٢)

كما بعث البابا يوليوس الثاني الى الملك عما نبيل البرتغالي يطلب منه
ايقاف هجومه في المحيط الهندي ، حتى تتحسن علاقات دول البحر المتوسط
الأوربية مع دولة المماليك ، فرد عليه الملك البرتغالي بقوله :

(٣)
(أنه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفا لدافعه وجنوده) .

(١) فهى ، نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ،
أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة العربية ،
سنة ١٣٩٣ / ١٩٧٣ م ، ص ٣٠ .

(٢) الدبيع الشيباني ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر : قرّة
العيون في أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، ص ١١٠ .

(٣) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٩٨ .

ولكن لم يستطيع البرتغاليون في أول الأمر تنفيذ أغراضهم الصليبية
لانشغالهم في تثبيت قواعدهم ، الى أن تولى أحد قادتهم ويسى البورك منصب
نائب الملك البرتغالي في الهند سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م .^(١)

فسار لمهاجمة عدن عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م
فاستعد السلطان عامر بن عبد الوهاب سلطان الدولة الطاهرية باليمن للدفاع
عنها ، فلم تنجح الحملة البرتغالية ، فاتجه البورك الى باب المندب ، واستطاع
الاستيلاء على جزيرة كمران في سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م ، ومن هناك حاول البورك
الهجوم على جدة ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعث عليهم ريحا اضطرت الى الرجوع
الى كمران ، ثم عاد منها الى الهند^(٢) ، وأسلم لله ، أهل الحجاز القتال ،
قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، ان جاءكم جنودا
فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا)^(٣) وقوله تعالى
(وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)^(٤) .

ولقد تمكن القائد البورك في فترة تولية منصب نائب الملك في الهند أن
يستولى على عدد من الجزر والمدن المهمة ، مثل سوطره في المحيط الهندي ،
وجزيرة هرمز ، وسا وطد البورك هو معاهدة الصداقة التي عقدها مع الشاه ،

(١) الرمال ، نغان ، صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٩٨ .
Bailey Winius : Foundations of the Portuguese Empire-
248.

(٢) يقول المؤلف : عمل البورك منذ كان يافعا على محاربة الاسلام .

(٣) الديب ، عبد الرحمن : قرة العيون ، ص ١١٢ .

— سالم ، د . السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ١٠ .

(٤) سورة الأحزاب الاية ٨ .

(٤) سورة الأحزاب الاية ٢٥ .

اسماعيل الصفوى سلطان الدولة الصفوية المعادية للدولة العثمانية فى ذلك الوقت، لاختلاف المذهب فيما بينهم^(١)، اضافة الى الصراع الحدودى بينهما الذى نتج عنه عدة صدامات فى أيام بايزيد الثانى ثم بعد ذلك ابنه سليم الأول^(٢).

ولقد بعثت الدولة المملوكية بقائدها حسين الكردى فى حملة ضد البرتغاليين فعمد الى تحصين جده ببناء سور حولها^(٣) بمساعدة حاكم الحجاز آن ذاك الشريف بركات الثانى بن محمد الذى كان يشرف بنفسه على ذلك المشروع الدفاعى العظيم^(٤).

وقد وصلت الحجاز مساعدات من سلطان جوجيرات كوجرات، محمود شاه وغيره من أمراء الهند لخوفهم على الأماكن المقدسة، وأنزل الكردى، بعض الوحدات المملوكية فى ينبع لحمايتها من البرتغاليين^(٥).

(١) جمعه ، د . يديع ، الخولى ، د . أحمد : تاريخ الصفويين وحضارتهم ،

الطبعة الأولى ، دار الرائد العربى ، سنة ١٩٢٦ م ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٢) المحامى ، محمد فريد بك : الدولة العليا العثمانية ، ص ١٨٩ .

(٣) الطبرى ، محمد بن على بن قزل : أتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٥٨ .

— النهروالى ، قطب الدين : البرق اليماني ، ص ١٩ .

— ابن فرج الشافعى ، عبد القادر أحمد : السلاح والعدة فى تاريخ جده ، ص ١٢ .

— يعقوب ، أحمد بن محمد : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جده ، ص ٨ .

— الحضراوى ، أحمد بن محمد : الجواهر المعده ، ص ٤٨ .

— البتتونى ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، ص ٦ .

(٤) يعقوب ، أحمد بن محمد : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جده ، ص ٤٠ .

— ابن فرج الشافعى ، عبد القادر بن أحمد بن محمد : السلاح والعدة ،

فى تاريخ جده ، ص ٢٣ .

(٥) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

ثم بعد ذلك سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٧ م ، توجه الكردي من جده الى الهند

(١)

مارا بعد ن فوصل في سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م .

وسار نحو جزيرة ديو قرب جوجيرات ، وانضم اليه أمير ديومالك أياس
بأسطوله والزamorين حاكم معظم ملييار ، ثم تقابل الأسطولان الاسلامي بقيادة
الأمير حسين الكردي والصليبيين بقيادة لورثودي الميدا وانتهت المعركة بانتصار
الأسطول المملوكي والقوة الهندية ومقتل القائد البرتغالي ، ولكن الكردي لم يستغل
انتصارهم ضد البرتغال بمهاجمة قواعدهم ، فقوى البرتغاليون أسطولهم بعد
وصول الامدادات اليهم ، وتولى قيادة أسطولهم ديا جولوزدي ، وفي ديواشتيك
الكردي مع البرتغاليين مرة أخرى ، وهاجم نائب الملك في الهند فرانسيسكو
دالميدا الأسطول المملوكي في عرض البحر ، وحلت الهزيمة بالأسطول المملوكي
فتراجع الكردي الى جده خوفا عليها من البرتغاليين . (٢)

ولكن الممالك قاموا مرة أخرى ببناء أسطول جديد بمعونة من الدولة
العثمانية لمهاجمة البرتغاليين في المحيط الهندي وذلك سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م ،
وتولى حسين الكردي أيضا القيادة وساعده سلمان الرئيس ، ولكن الخلاف وقع بين
الكردي وسلطان الدولة الطاهرية باليمن عامر بن عبد الوهاب ، وبدلا من أن
يهاجم الأسطول المملوكي البرتغال نجده يقوم بمهاجمة اليمن . (٣)

(١) الديبع ، عبد الرحمن : قرّة العيون ، ص ١١٠ .

— الكبسي ، بدر الدين محمد بن اسماعيل : اللطائف السنة في أخبار
المالك اليمني ، ص ٥٨ .

— اليمنى ، عيسى بن لطف الله : روح الروح ، ص ١٣ .

(٢) المعبري ، زين الدين : تحفة المجاهدين ، ص ١٦ .

— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢١ .

(٣) الكبسي ، محمد : اللطائف السنية ، ص ٦٩ .

— الوزير ، عبد الله : جامع المتن ، ص ١٣٨ .

ووقع الخلاف أيضا بين الكردي وسلمان الرئيس ، وعاد كلا منهما الى جده ، منفصلا بجزء من الأسطول ، وكان على الكردي والرئيس الاتحاد فيما بينهما وسאיـرة الدولة الطاهرية بدلا من حربيها ، والتفرغ لحرب البرتغاليين المستعمرين الحاقدين ، وما يدل على حقدهم على الاسلام قول البوكرك في خطبة ألقاها على رجاله سنة ٩١٧ هـ / ٥١١ م قوله بأنه سيقدم خدمة جليلة الى الله بطرد العرب من هذه البلاد ، وباطفائه شعله محمد صلى الله عليه وسلم ، بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب ، وأنه على يقين أن مكة والقاهرة ستصبحان أثر بعد عين (١) .

وفعلا عاد الأسطول البرتغالي لمهاجمة جده مرة أخرى في سنة ٩٢٣ هـ / ٥١٧ م ، بقيادة لوبوسواريز خليفة البوكيرك ، فاستعد حسين الكردي وسلمان الرئيس لمواجهته ، وطاردا البرتغاليين حتى جزيرة كمران ، وأستوليا على واحدة من سفنهم ، وأرسلا الأسرى الى السلطان سليم العثماني ، الذي استطاع في ذلك الوقت القضاء على الدولة السلوكية وخضعت الحجاز للسيادة العثمانية الاسمية سلميا حيث لم يرث فقط الاراضى السلوكية بمصر والشام بعد سقوطها وانما ورث ايضا الصراع مع البرتغاليين الذين أخذوا يهددون الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بالحجاز وغيرها من البلاد الاسلامية حيث لم تستطع الدولة السلوكية برد عنهم لما كانت تعانيه من ضعف ومشاكل داخلية وخارجية (٢) قال تعالى :

(٣) وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بريك هاديا ونصيرا .

(١) سعد اوى ، نظير حسان : دولة الجرين والبحرين ، المجلة التاريخية

المصرية ، المجلد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٦٢ .

(٢) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ١٦١ .

(٣) سورة الفرقان آية ٣٠ .

٢ — الحبشة والبرتغال والتفكير الصليبي العدواني على الأماكن المقدسة :

أما عن دور الحبشة في مساعدة الصليبيين الغربيين الذين كانت نيتهم غزو المناطق المقدسة الإسلامية في الحجاز ، فيمكن استعراضه فيما يلي :

لقد انتشر الاسلام في بلاد الحبشة وقامت فيها العديد من الامارات الاسلامية عرفت باسم الطراز الاسلامي ، وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، تمكنت تلك الامارات من تأسيس حلف اسلامي ، كانت له قواه السياسية والاقتصادية ، لسيطرت على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، لأن تلك التجارة كانت في أيدي المسلمين . (١)

وبعد أن استطاع المسيحيون استعادة تولي السلطة في الحبشة ، بعد حروبهم ضد اليهود والتي استمرت من سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م الى ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م ، أخذوا يسيثون الى الاسلام والمسلمين في عهد ملكهم يكونوا ملك وخلفائه ، حتى أن الملك اسحق بن داود الذي تولى العرش سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م ، استقدم قوما من البرتغاليين أنشئوا في تلك البلاد مصانع للسلاح ، واستطاع هذا الملك أن يحرز عددا من الانتصارات على المسلمين في الحبشة ، ويراسل ملوك أوروبا طالبها منهم المساعدة ، وأن يقوموا بشن حرب صليبية على البلاد الإسلامية . (٢)

(١) حسن ، يوسف فضل : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، من العرب

وأفريقيا ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات

الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، مركز

دراسات الوحدة العربية بيروت ، سنة ١٩٨٤ م ، ص ٣٠ .

(٢) الاثيوبي ، أبو أحمد : الاسلام الجريح في الحبشة بلاد النجاشي أرض

الهجرة الأولى ، ص ٣٦ .

والعلاقة بين الحبشه والصليبيين في أوروبا ترجع الى قبل ذلك بكثير ، حيث كانت هناك اتصالات فيما بين قادة الحروب الصليبية الأولى وبين ملوك الحبشه المسيحيين ، لوضع خطط تعاون فيما بينهم لغزو الحجاز والاستيلاء على الأماكن المقدسه الاسلاميه . (١)

وكانت للأحباش علاقات بأوروبا عن طريق دير في بيت المقدس ، يحججون اليه ، وعن طريقه كانت لهم صلات بمسيحي أوروبا ، الذين عرفوا أن هناك مسيحيين في جنوب العالم الاسلامي ، هذا بالإضافة الى المراسلات والزيارات التي كانت بين الحبشه وأوروبا ، ويقال أن أول من كتب الى القديس يوحنا ملك الحبشه ، هو ملك انجلترا ، هنري الرابع ، وفي مؤتمر فلورنسا الذي عقد عام ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م شارك الأحباش فيه ببعثتين دينيتين عن طريق القاهرة والقدس . (٢)

ولقد حرصت البابويه منذ أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي على تقوية صلاتها بالحبشه ، فقام وليم آدم الراهب الدمينيكاني في سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م ، برحلة زار فيها شرقي افريقيه والحبشه ، وفي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م ، أرسل البابا يوحنا الثاني والعشرين سفارة من الدومنيكان الى الحبشه ، ولكن تلك السفارة وقعت في أيدي الماليك ، بالإضافة الى سفارة أخرى وقعت في أيدي الماليك أيضا في سنة ٦٣٧هـ / ١٦٣٨م . (٣)

(١) غيث ، فتحى : الاسلام والحبشه عبر التاريخ .

شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، ص ١٠٣ .

(٢) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٧٦ .

(٣) غيث ، فتحى : الاسلام والحبشه ، ص ١٠٣ .

ولقد فكر ملك الحبشة اسحق الأول في القيام بحملة صليبية ضد الماليك في مصر للقضاء عليهم ، ومن ثمة مهاجمة الحجاز ، وكتب الى ملوك أوروبا في سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م ، يدعوهم الى مشاركته ، وكان رسوله الى ملوك أوروبا تاجرا فارسيا مسلما شيعيا اسمه نور الدين التبريزي ، وكانت خطته مهاجمة مصر بحرا من الشمال وبرا من الجنوب ، ولكن المبعوث المذكور وقع في قبضة سلطان مصر برسباى فقتله . (١)

ومن اسم المبعوث المذكور وبلاد ، يتضح لنا أن هناك علاقات بين فارس والحبشة في ذلك الوقت ، لعلها تكون علاقات تجارية أدت الى تعاون للقضاء على الدولة الملوكية المخالفة في المذهب للدولة الفارسية ، والسيطرة على التجارة في المحيط الهندي .

ومما سبق يتضح لنا أن العلاقات بين أوروبا والحبشة كانت قائمة قبل وصول البرتغاليون الى رأس الرجاء الصالح ، حينما سعى بالكشوف الجغرافية ، وأن وصول البرتغاليون الى رأس الرجاء الصالح لم يكن على قدر كبير من الأهمية ، لوجود مثل هذه العلاقة بين البرتغاليين والاحباش بالاضافة الى أن علماء المسلمين البحريين كانت لهم الكثير من الكشوف والكتابات حول الساحل الشرقي لافريقيا ، هذا وقد يكون للحبشة المسيحية دور في ارشاد القراصنة الصليبيين الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد يكون هناك تحالف برتغالي حبشي قبل الغزو البرتغالي لجنوب العالم الاسلامي ، حيث نجد أن هناك مبعوثون من قبل ملوك البرتغال الى افريقيا في سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م وكذلك في سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م ، حيث يعمد ملك البرتغال مبعوث يسمى كوفلهام الى افريقية . (٢)

(١) عاشور ، د . عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ١١٥٠ .

— طرخان ، ابراهيم على : مصر في عصر دولة الماليك ، ص ١٥٤ .

(يقول المؤرخ أن اسم الملك المذكور هو زدر يعقوب) .

(٢) صيرفي ، نوال : النفوذ البرتغالي في الخليج ، ص ٧٠ .

عاشور ، د . عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ١١٥٣ .

ويرجع سبب دوران البرتغاليين حول أفريقيا للوصول الى جنوب العالم الاسلامي ، يرجع الى أن الطريق البري الموصله لجنوب العالم الاسلامي كانت مغلقة أمامهم ، لوجود القوى الاسلامية في شمال أفريقيا ، والتي كانت تقاوم الهجوم الصليبي على أيدي مجاهدين أبطال من أمثال خير الدين بربروسا^(١) وغيره ، والتي كانت الدولة العثمانية تقوم بتقديم المساعدات العسكرية والمالية لهم ، فلم تستطع القوى الصليبية اختراق تلك المنطقة للوصول الى الحجاز ، لتستولي على الأماكن المقدسة الاسلامية وعلى القدس الشريف، اضافة الى مراكز التجارة الشرقية فكان أن تحالفت مع المملكة المسيحية في الحبشة لتساعدوا في القضاء على الاسلام ، بمهاجمة من الجنوب بدلا من الشمال ، والقضاء على دولة المماليك التي كانت في ذلك الوقت لها السيادة على الحجاز .^(٢)

ولقد حاول سلما الحبشة منذ أن عرفوا النية العدوانية ضد الحجاز ومصر أن يقاوموا ذلك العدوان الصليبي ، حيث وصل الى مصر قاضي مدينة سواكن في سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م ، وأخبر السلطان المملوكي جقق أن ملك الحبشة زرع يعقوب أو الملك اسحق الأول قد أعد أسطولا بحريا مكونا من مائتي سفينة لغزو سواحل الحجاز .^(٣)

(١) بربروسا ، خير الدين ، مجاهد اسلامي استطاع توجيه ضربات قوية للملاح الأسباني وعمل جهده لانقاذ الاف المسلمين أصبح رئيسا للأسطول العثماني في عهد سليمان القانوني .
— الشناوي ، د . عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية دولة اسلامية مقترى عليها ، ج ٢ ، ص ٩١٤ .

(٢) مؤنس ، حسين : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، الطبعة الثانية المكتبة التجارية الكبرى بحصر ، طبعة حجازي بالقاهرة ، سنة ١٩٣٨ ، ص ٤٠ .
(٣) طرخان ، ابراهيم علي : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ١٥٩ .

وكان ذلك في أثناء الحملات المملوكية ضد قبرص سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥ م ، وكانت ملكة عدل الاسلاميه مسيطره على إقليم هرر وطرق الحبشه الى البحر الأحمر . وقد قامت دولة المماليك في مصر على تشجيع الامارات والممالك الاسلاميه في الحبشه وشرق افريقيا على محاربة ملوك الحبشه المسيحيين ، (١) ولكن الملكة المسيحيه في الحبشه استطاعت أن تنشر المسيحيه في الحبشه ، وأن تتغلب على القوى الاسلاميه فيها .

وكانت تلك القوى الاسلاميه كثيرا ما تطلب المساعدات في الدول الاسلاميه في اليمن والمماليك في مصر ، (٢) وأستمرت الحرب بينها وبين المسيحيين في الحبشه سجالا الى أن وصل البرتغاليون الى المحيط الهندي ، فحاولت الملكة هيلانه الوصيه على ابنها الملك أنهاد نقل أن تقوم البرتغال بمساعدتها لأن المالك الاسلاميه في الحبشه كانت تقاوم المسيحيه ، وفي بادئ الأمر بعثت مبعوثا من طرفها يسمى ماثيو الى نائب الملك البرتغالي في الهند البورك سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢ م للحصول على مساعدات ضد المسلمين في الحبشه . (٣)

ولقد طلبت هيلانه من الملك البرتغالي أن يزوج بناته لأبنائها لتقوية العلاقات بين القوتين الصليبيتين ، وعاد السفير سنة ٩٢٢هـ / ١٥٢٠ م ، ومعه مبعوث برتغالي يسمى دون روبريجودي ، ولكن المبعوث الذي بعثته هيلانه مات

(١) سالم ، د . السيد مصطفى : الفتح العثماني الاول لليمن ، ص ٦٩ .

(٢) حسن ، يوسف فضل : الجذور التاريخيه للعلاقات العربيه الافريقيه ، ص ٣٠ .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الاول لليمن ، ص ٦٩ .

— دسوقي ، محمد كمال : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثه ، ص

بعد عودته من البرتغال دون أن يقابل الملكة هيلانه ، حتى المبعوث البرتغالى فى الحبشه حوالى خمسة أعوام ، لوضع خطة تهدف لتحويل مجرى النيل عن مصر ، والقيام بهجوم على مصر والحجاز بمشاركة ملوك فرنسا وأسبانيا والبرتغال ، غير أن الخطة لم تنجح ، لأن البرتغال كانت تتبع البابا فى روما وأرادت أن تجعل الحبشه تتبع البابا فى روما أيضا ، بدلا من تبعيتها للكنيسة الرقسية فى مصر فقام الأحماس هذه الفكرة (١) .

وقد عاد المبعوث البرتغالى لى الحبشه الى ملك البرتغال بخطابين أعربت عن رغبة الحبشه فى قيام تعاون بينها وبين البرتغال ، ولكن لم تعلن عن الرغبة فى الاشتراك مع البرتغال فى حرب المسلمين ، لخوف الأحماس فى نشر المذهب المسيحى البرتغالى فى بلاد الحبشة (٢) .

فحاولت هيلانه أن تظهر نفسها بالصديقة للممالك الاسلاميه فى الحبشة حتى ترى لمن ستكون الغلبه فى الصراع الدائر بين القوى الاسلاميه المثلة فى ذلك الوقت بالدولة المملوكية والدولة العثمانية ، والقوى الصليبية المثلة بدولة البرتغال حيث أنها لم تكن ترغب فى أن يسيطر البرتغاليون سيطرة تامة على الموقف فى المحيط الهندى والبحر الأحمر ، وذلك لاختلاف المذهب فيما بين ملكتها وملكه البرتغال الاستعمارية حيث أن ملكه الحبشة تتبع الكنيسة الرقسية فى مصر ،

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصلى : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة

البرتغال فى المحيط الهندى وشرق افريقيا والبحر الأحمر ، المجلد

التاريخية المصرية ، المجلد ١٢ ، سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، ص ١٣٢ .

(٢) عبد ربه ، د . سعد زغلول : البرتغاليون والبحر الأحمر ، مجلة الدارة ،

العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ ، يناير ١٩٨١ م ،

ص ١١٨ .

والبرتغال تتبع الكاثوليكية الخاضعة للبابا في روما . (١)

ومما سبق يتضح لنا أن للحبشة المسيحية دورا كبيرا في محاولة مهاجمة مصر والحجاز . فلقد استطاع البرتغاليون مهاجمة سواحل الحجاز ابتداءً من عام ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ، وبحثوا بمراكب الحجاج والتجار المسلمين ، وعمل البرتغاليون على تحطيم القوى الاسلامية في الهند ، وسعوا الى النفوذ داخل البحر الأحمر للنزول في الحجاز بالتحالف مع الحبشة (٢) الى أن قبل حاكم الحجاز السيادة العثمانية الاسمية على الحجاز سلميا بعد سقوط الدولة المملوكية بالشام ومصر حيث عطلت الدولة العثمانية على اغلاق البحر الأحمر في وجه الغزاة بعد الهجوم الذي قام به الصليبيون على جدة ، فقام بصد هم الشريف محمد أبونسي الثاني بن بركات الثاني حاكم الحجاز سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤٢ م ، حيث رابط بنفسه في مقدمة قوته حتى فشلت المحاولة الصليبية واضطروهم للانسحاب في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية مشغلة في حروبها في قارة أوروبا (٣) فقام السلطان العثماني سليمان القانوني بتهنئة حاكم الحجاز على هذا النصر العظيم . (٤)

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلي : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال ص ١٣٢ .

(٢) الخريوطي ، د . علي حسني : الاسلام في حوض البحر المتوسط ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٧٠ م ، ص ١٦٤ .

— ماجد ، د . عبد النعم : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٦٦ م ، ص ٢٤١ .

(٣) — ابن قهد ، عبد العزيز : غاية الحرام ، ج ٣ ، ص ١٨ .

(٤) دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٥٣ .

ولهذا قامت الدولة العثمانية بخطوات ايجابية لحماية الاراضى المقدسة والاراضى الاسلامية الواقعة على البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى ، وعمل التحصينات والقيام بالحملات البحرية لطاردة البرتغاليين ، وصدّهم عن هدفهم العدوانى للنيل من الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والمحافظة على قدسية تلك المناطق ، والله سبحانه وتعالى حام بيت الشريّف ، ومسجد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتم نوره ولو كره الكافرون .

٣ - التجارة والأطماع البرتغالية :

بعد أن ألقينا الضوء على النقاط السابقة على الهدف الحقيقى من الالتفاف الذى قام به البرتغاليون حول القارة الافريقية للوصول الى جنوب العالم الاسلامى ، والتعاون الذى كان بينهم وبين مسيحي الحبشة لغزو الحجاز ، والقضاء على الاسلام فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والقضاء على دولة الماليك فى مصر ، التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت حامية المقدسات الاسلامية ولقد وصل الخيال لدى البرتغاليين الى التفكير فى نبش قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأخذ جثمانه الشريف معهم الى أوروبا ، لكن يساموا المسلمين عليه ، مقابل أن ييسطوا سلطتهم على القدس الشريف ، وحينما عجز البرتغاليون وحلفاؤهم من الصليبيين أمثال الأسبان الذين كانوا يهاجمون شمال أفريقيا المسلمة ، والأحباش الذين كانوا يرسلون دولا أوروبا لدعوتهم للقيام بحرب صليبية على المسلمين ، وتخريب مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حينما عجز كل أولئك عما فكروا فيه ، وخططوا لهم نرى أن المستعمرين البرتغاليين يغيرون طريقة حربهم مع البلاد الاسلامية ، سواء السلوكية أو العثمانية أو غيرها من البلاد الاسلامية من حرب عسكرية الى حرب اقتصادية ، استهدفت تخريب القوى الاقتصادية الاسلامية ، والترصد المستمر للقيام بحملات عسكرية بحرية أو برية ضد المراكز الاسلامية بما فى ذلك الحجاز وغيره من المناطق فى العالم الاسلامى .

فلقد امتاز عصر الماليك بالترف الذى كان مصدره الضرائب التى كانت تفرض على تجارة الهند ، المارة بأحد الطريقين السلوكيين فى ذلك الوقت وهما طريق الخليج ، وطريق البحر الأحمر ، وسواء نقلت عن طريق أحد الممرين فإنها كانت تمر فى أراضى الدولة السلوكية^(١) ، انظر ملحق رقم (٥) ، سواء فى مضر أو بلاد الشام ، حيث الموانى الى تتعامل مع الجمهوريات الايطالية ذات الامتيازات لتسويق التجارة الشرقية فى القارة الأوروبية .

فبواسطة طريق الخليج العربى كانت سفن المسلمين تحمل البضائع الى البصرة ، ثم تنقل برا الى بغداد ، حيث تعبر نهر دجلة والفرات ، وتسير بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الفرات ، ومنها تتجه القوافل غربا صوب مدن الشام الساحلية على البحر المتوسط .^(٢)

أما عن طريق البحر الأحمر ، فتجتازه السفن طولا من الجنوب الى الشمال حتى السويس وعيذاب^(٣) ، ثم تنقل البضائع عبر الصحراء الى القاهرة ومنها الى دمياط والأسكندرية .^(٤)

-
- (١) الشيال ، د . جمال الدين : دراسات فى التاريخ الاسلامى ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢٢٦ .
- محمود ، ب . حسن أحمد : التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب ، ص ٦٠٣ .
- (٢) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوروبا فى مطلع العصور الحديثه ، ص ١٠٧ .
- (٣) عيذاب ، هى فرصة لتجار اليمن والحجاج الذين يتوجهون من مصر فيركبون من عيذاب الى جدة .
- أبى الغدا ، محمد : تقويم البلدان ، ص ١٢١ .
- (٤) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوروبا فى مطلع العصور الحديثه ، ص ١٠٧ .

كذلك نجد أن المسلمين في الحبشة كانوا سيطرين على طريقين تجاريين مهمين هما ، الطريق الذي كانت تأتيه البضائع من عدن إلى زيلع ،^(١) وعدل ومنها تحمل برا إلى الشمال حيث عيذاب ، ومنها إلى قوص بالقاهرة ، أما الطريق الآخر ، فهو يبدأ من زيلع وعدل إلى سواكن ، ومنها إلى النيل النوى حيث يصعدون بالبضائع إلى القاهرة ، أو يحملونها إلى حوض النيجر وساحل غانة ، أو ملكسة مالى في الغرب ،^(٢) انظر ملحق رقم (٦) وقد شهدت سواحل افريقيا قبل وصول البرتغاليين اليها ازدهارا اقتصاديا وحضاريا ، على أيدي الدول الإسلامية ، والتجار المسلمين ، ولقد أعجب فاسكودي جاما عندما وصل في رحلته التي عبر فيها رأس الرجاء الصالح ، بشواطئ افريقية الشرقية ، لما فيها من بلدان تجارية ، وكانت سفن تجار الهند تزور موانئ جنوب البحر الأحمر وشرق افريقيا ، ووصلت السفن الصينية حتى شواطئ جنوب الجزيرة العربية ، ومدن شرق افريقيا مثل مقديشو والندى .^(٣)

وحيثما علم البرتغاليون صعوبة تحقيق أهدافهم الصليبية عن طريق القوى العسكرية لوحدها ، رأوا ضرورة القضاء على احتكار المسلمين للتجارة الشرقية ، لضعفهم اقتصاديا وبالتالي عسكرية ، لكي يستطيعوا القضاء عليهم .^(٤)

(١) زيلع ، فرضه الحبشة نحو أرض اليمن وعندهم ينزل التجار .

— أبى الفداء ، اسماعيل بن محمد : تقييم البلدان ، ص ١٦١ .

(٢) أساتذة باحثون : العلاقات العربية الافريقية ، دراسة تحليلية فـسـى

أبعادها المختلفة ، اشراف د . محمود خيرى عيسى ، المنظمة العربية

للترقية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ص ٤٠ .

(٣) ابن ماجد ، أحمد : ثلاثة أزهار في معرفة البحار ، ص ٩ .

(٤) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالي في الخليج ، ص ٧٦ .

ولم يكن هدف البرتغاليين من تحويل التجارة الشرقية من الأراضي الإسلامية عبر الطرق التي ذكرنا ، الى طريق رأس الرجاء الصالح ، لم يكن الهدف منه هو ضرب القوى الإسلامية اقتصاديا فحسب ، انما كان يقصد به أيضا تحويل احتكار تجارة الشرق من أيدي دولة المماليك بحصر والقوى الإسلامية الأخرى ومدن إيطاليا ، التي كانت تنقل اليها البضائع القادمة من الشرق ، وتقوم هي بتوزيعها في أوروبا ، فتمتعت برخاء اقتصادي كبير ، ولقد كانت هناك علاقات تجارية ملوكية مع بعض دول أوروبا ، وخاصة إيطاليا مثلة في البندقية وجنوا . (١)

وكعادة الصليبيين فان حروبهم في ظاهر الأمر دينية غايتها الاستيلاء على بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وحينما يعجزون عن تحطيم القوى الإسلامية المنتصرة باذن الله ، نراهم يقومون بالسلب والنهب ، وتصبح حروبهم حروب عصابات هدفها السلب والنهب ، وفي حرب البرتغال مع المسلمين نراها حين تعجز عن تحقيق النصر ، تقوم بمحاولة للسيطرة على تجارة الشرق وتحويلها الى لشبونة العاصمة البرتغالية ، بدلا من البندقية وجنوا . (٢)

-
- (١) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ٢١ .
 — طرخان ، إبراهيم علي : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ٢٨١ .
- (٢) خالدى ، د . مصطفى ، د . عرف فوخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين التي ترمى الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ١١٤ .
 CHARLES DAVIDLEY: Portuguese Voyages 1498- 1663,
 London, 1972. 3.

(يقول المؤلف برصول فاسكودى جاما الى قاليقوت في رحلته الاولى سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، سأل جماعه من التجار عن أسباب مجيئه فقال ان البحث عن المسيحيين والتوابل هو هدفنا) .

ولقد بدأ طمع البرتغال بالتجارة الاسلامية منذ وصول فاسكودا جاما الى الهند ، حيث نراه يستولى على احدى السفن الاسلامية ، ويستولى على بضائعها ، ويقوم باغراقها مع ركابها بعد ذلك ، وفي سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م كلف أحد قادته بالاقامة الدائمة على رأس خمس سفن حربية عند مدخل البحر الأحمر لمهاجمة السفن الاسلامية (١) سواء الداخله اليه أو الخارجة منه .

وفي ذلك يقول بعض المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث ، في حوادث سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، وفي هذه السنة ظهرت مراكب الفرنج في البحر بطريق الهند وهرمز وتلك النواحي ، وأخذوا نحو من سبعة مراكب ، وقتلوا أهلها قتلاً ذريعاً وأخذوا أموالهم جميعها ، ولا حولة ولا قوة الا بالله (٢) .

وأيضاً ما قاله الأمير حسين الكردي عن السبب الذي جعله يتوجه الى ديو لمحاربة البرتغال في سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٢ م ، أنه توجه لمقاتلة الفرنج الذين ظهروا في البحر وقطعوا السبيل على المسلمين (٣) .

ولم يكن هدف البرتغال في أول الأمر كما ذكرت (في صفحة ١٠٢) هو تحويل التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح ، إنما بعد محاولاتهم غزو الحجاز ومصر والتي لم تحقق أهدافها ، نراهم يقومون بأعمال ارهابية ضد السفن الاسلامية ، التي تحمل الحجاج والتجارة ، ومن ثم يقومون بتحويل هذه التجارة عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، لكي يحققوا منها أرباحاً كانت الدولة المملوكية والبلاد الاسلامية

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٥٣ .

(٢) الديبع ، عبد الرحمن : الغضد المزيد ، ص ٢٧٥ .

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : قرة العيون ، ص ١١٠ .

الأخرى تجنبها من قبل ، ولم يقتصر عمل البرتغال الأرهايى على منطقة المحيط الهندى والساحل الشرقى لأفريقيه فقط ، بل نرى أن البرتغاليين قبل ذلك عند وصولهم الى منطقة الرأس الأخضر سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م ، ووصولهم ببلاد غانسا ، انطلقوا يقتنصون أهالى تلك البلاد ، وينقلونهم الى أسواق أوروبا ، لبيعهم عبيداً .^(١)

ولقد نجحت سياسة البرتغال فى اضعاف القوى الاسلاميه المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندى وذلك بالماليك بعض الشيء^(٢) ، فحاولت دولة الماليك حفاظاً على قدسية الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وحفاظاً على تجارتها التى أخذ البرتغاليون يستولون عليها مقاومة البرتغاليين ، ولكن نجد أنها تهزم أمام البرتغاليين فى موقعة ديو سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م ، وكانت الهندية قد قدمت بعض المساعدات للدولة السلوكية ، لكن تقوم ببطرد البرتغاليين من المحيط الهندى ، فلما لم تستطيع الدولة السلوكية القيام بذلك ، نجد أن الهندية تقوم بالتفكير فى نقل تجارتها عبر الطريق البرى الذى يمر بتركيا وايران ، وانصرفت عن معاونة الدولة السلوكية ، أولأنها وجدت نفسها محرجة حينما تقدم المساعدة لدولة اسلامية ، ضد دولة سيحية أوأوربية ، مما قد يثير غضب أوروبا عليها ، مما اضطر السلطان السلوكى قانصوه الغورى الى طلب المعونه من الدولة العثمانية زمن السلطان بايزيد الثانى العثمانى بعد تخلى البنادقة عن مساعدته والذى بحث على الفور بالسفن المحملة بالأخشاب والبنادق والرجال والصناع ، لبناء الأسطول السلوكى رغم ما تعرضت له السفن العثمانية من قرصنة

(١) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوروبا فى مطلع العصور الحديثه ، ص ١١٨ .

(٢) ربيع ، حسنين : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، ص ٤٠٨ .

بحرية من قبل قرسان القديس يوحنا وغيرهم من القراصنة الصليبيين لمواجهة الفزوة البرتغالي الذي كان أول ما يستهدف غزو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة والذي يظهر مدى الحقن الصليبي على المسلمين وعلى البلاد الإسلامية . (١)

٤ - موقف أشرف الحجاز من الخطر البرتغالي في البحر الأحمر :-

عند ما استطاع البرتغاليون الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح كانت الدولة المملوكية آخذة في التدهور السياسي والعربي ، نتيجة صراع الممالك أنفسهم على السلطة في القاهرة ، وطعنهم الزائد في جمع الأموال ، لتدعيم أنفسهم بشراء الممالك ، وكسب المؤيدين ، وفي غمرة ذلك وجدنا البرتغاليين قد استطاعوا بعد مجهود كبير من الوصول إلى البحار الإسلامية كالمحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي ، لكن يستطيعوا مهاجمة الدول الإسلامية من ناحيتين ، الشمال عن طريق شمال أفريقيا المسلمة ، ومن الجنوب عن طريق البحر العربي والبحر الأحمر والخليج العربي ، وكذلك مهاجمة المناطق الإسلامية في الهند والحبشة ، فكان على الدولة المملوكية أن تنصرف لمقاومة الصليبيين بدلاً من صرف أكبر مجهوداتها في شاكلها الداخلية ، وفي الحروب التي كانت تخوضها مع الدولة العثمانية على الإمارات التي كانت تقع على الحدود فيما بينها . ولكن مع كل تلك الفتن والأحداث في العالم الإسلامي ، كانت هناك مقاومة قد لا تكون كافية ضد الفزاة البرتغاليين ، فلقد حاولت الدولة المملوكية إرسال قوة بحرية عبر البحر الأحمر لصد الفزاة وطردهم من البحار الإسلامية ، ولكن هذه القوى هزمت

(١) - سوقى ، محمد : أهمية الحجاز في مطلع العصر الحديث ، ص ٤١٤ .

فى موقعة ديوى فى المحيط الهندى ، بالقرب من الشواطئ الهندية سنة ٩١٥ هـ /
 ١٥٠٩ م ، بعد انتصارهم مع الحلفاء سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ، ولكن هذه الهزيمة
 لم تجعل الماليك يكفون عن العمل عن انشاء قوة بحرية أخرى ، وعمل التحصينات
 فى الأماكن التى تحتاج الى مثل هذه التحصينات ، لمواجهة الخطر البرتغالى
 المستهدف الأراضى المقدسة ، وضرب العالم الاسلامى .

وكانت أولى محاولات البرتغال للهجوم على مكة المكرمة والديانة المنورة على
 يد نائب الملك البرتغالى فى الهند البورك ، غير أن الريح التى سخرها الله
 سبحانه وتعالى على سفنه حالت دون تحقيق مأربه ، ثم بعد هزيمة الماليك فى
 معركة ديوى ، نجد الشريف بركات بن محمد حاكم الحجاز فى ذلك الوقت ، يقوم
 بالتوجه الى جدة خوفاً من هجمات البرتغاليين على حين غفلة ، ويبحث عن
 السلطان المملوكى الغورى يطلب منه الامدادات والمعون لمواجهة الصليبيين فبعث
 الغورى بقائده حسين الكردى سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، الى البحر الأحمر ، ثم
 بعث بقوة أخرى بقيادة سليمان الرئيس العثمانى سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م لمحاربة
 البرتغاليين (١) .

ولقد كان حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد شديد الحرص على
 المحافظة على أمن الحرمين الشريفين من الخطر الصليبي المتمركز ببوابة الحجاز جدة ،

(١) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج٤ ص ٣٠٧

- الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٩٩ .
- زغلول ، سعد : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ص ١٤٤ .
- سليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٤ .
- بابكر ، عمر : حزام الأمن العثمانى ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ،
 جامعة أم القرى ، ص ٩٠ .

ولقد نجح على الصعيد الداخلى فى القبض على ثلاثة من جواسيس الصليبيين فى سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م ، تسللوا الى مكة المكرمة متظاهرين باسلامهم ، ويتكلمون العربية والتركية ، وبالتحرى اتضح أنهم مسيحيون يعملون جواسيس برتغاليين كأدلاء للجيش البرتغالى عند دخوله أرض الحجاز ، فبعث بهم الشريف بركات الى السلطان الفورى فى مصر ^(١) هذا غير ما كان يقوم به الشريف بركات من مجهود تجلى بالوقوف بنفسه لاطهار الهمة للقائمين على العمل والمتابعة لآتمام بناء سور جدة ، ووقوفه على العمارة وهو راكب فرسه ، وكان لهذا السور منفعة كبيرة ضد البرتغال ^(٢) ، الحماية بوابة الحجاز من أى هجوم مباغت .

ولقد كان للمشاكل الداخلية فى الحجاز ، دور كبير فى اضعاف الشريف بركات عن مقاومة التهديد البرتغالى ، بالاضافة الى أن أشرف الحجاز لم تكن لديهم القوة البحرية الكافية لمواجهه الأساطيل البرتغالية ، لولا تدخل الممالك أولا فى الدفاع عن الحجاز ، وما قامت به الدولة العثمانية من تقديم المساعدات للممالك لى يستطيعوا التصدى للغزو الصليبي على الحجاز ، ثم ورث هذا الدفاع الدولة العثمانية بعد سقوط الممالك كما استفاد الممالك والأشراف كثيرا من السور الذى قام بانشائه حسين الكردى القائد المملوكى على جدة ، بتدعيم من الدولة المملوكية وحكومة الحجاز والحكومات الاسلامية بالهند . ^(٣)

(١) الشناوى ، د محمد : الدولة العثمانية ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ .

(٢) يعقوب ، محمد : السلاح والعدو فى تاريخ بندر جدة ، ص ١٠ .
— ابن فرج الشافعى ، عبد القادر بن أحمد بن محمد : السلاح والعدو فى تاريخ جدة ، ص ٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١ .

— الرمال ، غسان ، صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

وما كان له من دور كبير في صد الهجمات البرتغالية ، لما كان فيه من أبراج ومدافع ، استطاعت أن تجعل البرتغاليين ينهزمون عند الاقتراب من السواحل الحجازية ، بالإضافة الى السفن الحربية المزودة بالمدافع والجنسود المدربين على القتال البحري .

هـ — الماليك ودورهم في صد العدوان الصليبي على الحجاز :

كما عرفنا في النقطة السابقة محاولات أمير الحجاز بركات بن محمد ، رغم الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تربها الحجاز ، فلقد حاول بما يستطيع أن يسهم في صد الهجوم الذي كان ينوي البرتغاليون القيام به ضد بلاده ، وهذا ولم تكن الدولة المملوكية أفضل حالا من الحجاز ، ففي الفترة من وفاة السلطان قايتباي سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ، الى أن تولى الغوري سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠١ م ، كانت فترة اضطراب داخل الدولة المملوكية ، وقتن ومنازعات فيما بين الماليك على تولي السلطنة في تلك الدولة ، واستغل بعض الماليك تلك الفترة فعاثوا فسادا في البلاد ، وكان يصاحب تلك المهارات داخل الدولة المملوكية ، غزوا برتغاليا شرسا في المحيط الهندي ، فكان على الغوري عندما تولى السلطة توطيد نفوذه داخل البلاد ، ومخاصة بعد أن وجد خزائن الدولة خاوية ، بعد أن استنفذت في القتل والحروب ، ولعل هذا يفسر لنا كثرة الضرائب التي فرضها هذا السلطان على الشعوب الخاضعة لحكم دولته ، وغض النظر عن القتل داخل الحجاز والضرائب الباهظة على التجارة الشرقية واحتكارها حتى يستطيع جمع أكثر قدر ممكن من الأموال للملوك الخزانة السلطانية . (١)

(١) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠٨ .

وكان أول عمل قام به الغورى لدفع الخطر البرتغالى عن البحر الأحمر والحجاز ، هو تعيينه للأمير حسين الكردى على جده ^(١) لحمايتها وساندة حكومة الحجاز من الخطر الصليبي المباغت على البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى والمحيط الهندى ، وسارت مع حسين الكردى حملة كانت تستهدف ضرب البرتغاليين فى المحيط الهندى ، وكانت الحملة تضم عددا من الجنود المغاربة ، الذين كان يرأسهم القائد نور الدين على المسلاتى ، فسارت هذه الحملة من مصر الى جده سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ، ولكن نجد أنها تصطدم مع الشريف يحيى ابن سبع أمير ينبع ، ومن كان معه من الخارجيين عن طاعة أمير الحجاز الشريف بركات ، واستطاعت هزيمته ، ثم استقرت الحملة فى جده ^(٢) وكانت قد وصلت الى الغورى فى مصر ، رسائل من بعض أمراء وسلاطين المسلمين المظليين على البحر العربى والأحمر والمحيط الهندى ، يطلبون منه المساعدة العسكرية لمواجهة الغزو الصليبي الجديد على العالم الاسلامى ، الذى لم يكن يأتى من شمال العالم الاسلامى وحده ، بل نراه فى الجنوب من ذلك العالم كذلك ، فلقد بعث السلطان مظفر شاه بن محمود شاه سلطان الكجرات الى الغورى ، يطلب منه المساعدة على البرتغاليين ، ويطلب منه امداده بعدد من المدافع والبنذقيات ، لعدم معرفة

(١) ابن العماد الحنبلى : ابى الفلاح عبد الحى : شذرات الذهب ، ج ٨ ص ١١٥ .

— ابن الحسين ، يحيى : غاية الامانى ، ص ٦٣١ .

— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٨٢ .

(يقول المؤرخ وصل الكردى الى جده سنة ٩١٩ أو ٩١٧ هـ لدفع ضرر

الفرنج والعربان فقام ببناء سورها) .

زكى ، د . عبد الرحمن : ابن اياس واستخدام الأسلحة النارية ، ص ١١١ .

أهل الهند بتلك الأسلحة من قبل ذلك ، وكذلك نجد أن السلطان عامسـ ابن عبد الوهاب سلطان الدولة الطاهرية في اليمن ، بيعت الى سلطان المالـك يطلب المساعدة منه ضد البرتغاليين (١) ، وكذلك ملك قليقوت السامري (٢) .

والجدير بالذكر أن أسبانيا المسلمة ، أيام دولة الأندلس ، قـ استنجدت بالمـالك في مصر لمعونتها ضد الصليبيين ، قبل ذلك بفترة قصيرة ، ولكن دولة المالـك لم تكن مهتمة ببناء أسطول قوى ، يستطيع المالـك الوصول به الى الأندلس ، لأن معظم حروب المالـك كانت برية ، ولكنهم حاولوا انقاذ غرناطه أخر معقل للمسلمين في أسبانيا ، عن طريق الضغط السياسى ، مثل السفارة التى أرسلها قايتباى سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م ، الى ملكى أسبانيا والبرتغال ، يهدد فيها باضطهاد المسيحيين في الشرق ان لم يكف عن مهاجمة غرناطه ، غير أن غرناطه سقطت في أيدي الصليبيين سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م ، أما البرتغاليون فلم يجدوا صعوبة في التحالف والتعاون مع الفرس ، فقد كانت غايتهم واحدة هـس القضاء على الأسطول المملوكى ، وان كانت غاية البرتغاليين ، بعد القضاء على الأسطول المملوكى هى احتلال مكة والمدينة ، وهدف الفرس هو الاستيلاء على التجارة واحتلال البلاد العربية القريبة منهم (٤) ، لنشر المذهب الشيعى بها .

-
- (١) النهر والى ، قطب الدين : البرق اليماني في الفتح الفشاني ، ص ١٩ .
 (٢) ماهر ، د . سعاد : البحرية في مصر الاسلامية وأثارها الباقية ، أشرف على اخراج الكتاب عبد السلام الشريف ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ص ١٢٩ .
 (٣) العبادى ، د . أحمد مختار ، سالم ، د السيد عبد العزيز تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .
 (٤) سعيد ، أمين ، الخليج العربى في تاريخ السياسى ونهضته الحديثـة ، دار الكتاب العربى ، ص ٢٩ .

أما عن الدولة العثمانية ، فلقد كانت في ذلك الوقت تقود حملة الجهاد والفتوحات الإسلامية في أوروبا والبحر المتوسط ، وتقدم المساعدات العسكرية —————
والعالية لمسلمي شمال إفريقيا ، لمقاومة الهجمات الصليبية البرتغالية والأسبانية ،
ضد المسلمين هناك ، وقبل أن تبدأ الدولة المملوكية بحملات بحرية حربية ضد
البرتغال في المحيط الهندي ، نجد أنها تقوم بإرسال مبعوثين إلى البابا وإلى
ملكى أسبانيا والبرتغال ، تهدد فيها بهدم كنيسة القيامة في فلسطين ، ومنع
الحج المسيحي لبيت المقدس ، فلما لم يجد قانصوه الغوري استجابة لطلباته بوقف
الهجوم البرتغالي على جنوب العالم الإسلامي ، نراه يقوم كما ذكرنا بإرسال الأمير
حسين الكردي إلى جده ، ليقوم بتحصينها بإقامة سور حولها ، استجابة لنداء
حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد لأنها كانت تعتبر من أهم الموانئ الحجازية
وتعتبر المنفذ البحري الموصل إلى مكة ، وتمت عمارة السور في حوالي تسعة أشهر ،

(١)

سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

ولقد وصلت مساعدات من مسلموا الهند ، ومن السلطان محمد محمود شاه
جو جيوات مساعدات مالية لبناء هذا السور ، لخوفهم على الأماكن المقدسة —————
الإسلامية . (٢)

(١) الطبري ، محمد بن علي : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٥٨ (يقول بناء سنة ٩١٧)

النهر والي ، قطب الدين : البرق اليماني ، ص ١٩ (يقول بني السور سنة

٩١٧ ضد العربان وليس ضد البرتغال) .

— ابن فرج الشافعي ، عبد القادر أحمد : السلاح والعدو في تاريخ جدة ، ص ١٧-١٨

— يعقوب ، أحمد بن محمد : السلاح والعدو في تاريخ بندر جدة ، ص ٩٠٨ .

— الحضراوي ، أحمد بن محمد : الجواهر المعبدة ، ص ٤٨ (يقول بناء سنة

٩١٩ أو ٩١٧) .

— البتنوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، ص ٦ (يقول بناء الفوري سنة ٩١٥

ضد الفرنج) .

— زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٠٨ (يقول بني الكردي سور جدة بعد

هزيمة ديو) .

(٢) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

ولقد وضع الأمير حسين الكردي بعض الوحدات العسكرية المملوكية فـسـى
 ينبع ، خوفا من نزول البرتغاليين بها ، وقد طلبت دولة المماليك المساعدة العسكرية
 من جمهورية البندقية في حربها ضد البرتغاليين ، لما كانت تجنيه الجمهوريات
 الإيطالية من الأرباح التجارية وخاصة البندقية السيطرة على تسويق التجارة
 الشرقية في أوروبا عن طريق تجارتها مع الدولة المملوكية ، التي كانت مسيطرة على
 تجارة الشرق التي تمر عبر أراضيها ولوصول البرتغاليين لمراكز التجارة الشرقية عبر
 طريق رأس الرجاء الصالح ، نجد أن البندقية تخسر تجارتها بسبب أن البرتغال
 أصبحت هي المسيطرة على التجارة بتحويلها عبر رأس الرجاء الصالح بدلا من
 مرورها بالأراضي الإسلامية ، كما نجد المماليك يتحدون مع السامري (الزاموريين)
 ملك قليقوت ضد البرتغال (١) .

فقد حاولت الدولة الطاهرية باليمن صد الهجوم البرتغالي على جنوب
 الجزيرة العربية حيث نجد أنه في سنة ٩١٢ هـ / ١٥١٦ م ، قام السلطان الطاهري
 عامر بن عبد الوهاب بتجهيز حملة مكونة من أربعة عشر مركبا تضم ستائة من الجنود
 معهم عدد من العلماء للجهاد في سبيل الله ضد البرتغال ، وبعد ستة من الحملة
 الطاهرية سارت سنة ٩١٣ هـ / ١٥١٧ م ، قوات حسين الكردي بعد أن استكملت
 تحصيناتها في جدة وسواكن ، ومرت في طريقها بجيزان وكران ثم المخا ثم عدن ،
 فأكرمهم أمير عدن مرجان الطاهر ، ثم توجهوا إلى الهند (٢) وفي سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ،

(١) ماهر ، د . سعاد ، البحرية في مصر الإسلامية ، ص ١٢٩ .

الشيال ، جمال الدين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ١٢٧ .

(٢) اليمنى ، عيسى بن لطف الله : روح الروح ، ص ١٣ .

— الكبسى ، محمد : اللطائف السنية ، ص ٥٨ .

— الديبع ، عبد الرحمن : قرعة العيون ، ص ١١٠ .

وصل الأسطول السلوكي الى الهند ، واستقر في ديو ، وانضم اليه أمير ديو المدعو مالك اياس بأسطوله وكان يحاكم قاليقوت قد غادر الى بلاده بعد أن انتظر وصول سفن الأسطول السلوكي اليه فترة طويلة ، فلم يشارك مع القوى الاسلامية في معركة ديو ،^(١) وبعث الفوري بإمدادات أخرى الى الكردى ، فتجد أنه في ربيع الثانى سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٢ م ، وصل القاضى علاء الدين على بن الإمام الى جدة بحرا قادما من مصر بالمراكب والعسكر الذين كانوا متوجهين للهند بالامدادات العسكرية ولعل الأمير حسين الكردى لم يتوجه بعسكره من جدة الى الهند سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م بل سار بعد ذلك بحوالى سنتين ، حيث يذكر المؤرخ عز الدين عبد العزيز ابن فهد ، أن القوات التى وصلت صحبة القاضى علاء الدين على بن الإمام الى جدة ، والتى كانت متوجهة الى الهند ، التقى بها الأمير حسين فى جدة .^(٢)

ومهما يكن عن تاريخ سير تلك الحملة ، فلقد كانت علاقة الماليك بالدولة الطاهرية فى أثناء هذه الحملة الموجهة ضد البرتغاليين حسنة ، حيث نجد أنه قامت بين الكردى وأمير عدن مرجان الظافرى ، مراسلات ودية ، وتبادل للهدايا ، وأخذ الماليك حاجتهم من الماء والحطب من عدن ثم ساروا الى ناحية الهند لقتال البرتغال .^(٣)

(١) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢٠ .

Bailey, Winus: Foudations of the portuguese Empire,
1415 - 1580. 236

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز ؛ غاية المرام ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

— الديبع ، عبد الرحمن : الفضل الزيد ، ص ٣٠٥ .

(يقول أن الكردى وصل الى جهات اليمن من جدة فى ربيع الآخر سنة ٩١٣ هـ ، وهذا هو زمن وصول العدد من الفوري الى جدة وعليه فان الحملة تكون سارت من جدة الى الهند فى منتصف سنة ٩١٣ هـ ، ووصلت الى الهند سنة ٩١٤ هـ) .

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل الزيد ، ص ٣٠٥ .

— ابن الحسين ، يحيى : غاية الاماني ، ص ٦٣٥ .

— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢٠ .

وكان أسطول الكردى مكونا من خمسين سفينة ^(١) ، وقد انضمت اليه سفن الحلف الاسلامى على الساحل الهندى مثل كجرات وبيجاپور وأحمد ناجاروكاوكاليكوت فأصبح عدد سفن الحلف مائة سفينة . ^(٢)

وفى الحقيقة مع كثرة عدد سفن المسلمين التى مع الكردى والحلف الاسلامى الهندى الا أنها لم تكن معه اعدادا قتاليا متطورة من ناحية التسليح والتدريب حيث كانت السفن البرتغالية آخذة فى التطور التسليحي منذ عهد ملكهم هنرى الملاح الذى أسس أول مدرسة نظامية للملاحين والبحارة ، وأخذ يدرب كل ذى روح مفارمه بروح الحرب الصليبية ، وحسن من صنع السفن ^(٣) ، وأستخدام الأسلحة النارية .

وكان أول اشتباك بين الأسطول الاسلامى والصليبي عند تشاول ، فى سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ، حيث استطاع الأسطول الاسلامى احراز بعض النصر على البرتغاليين ، الذين كان يقودهم لورنسوا الميدا ابن نائب الملك البرتغالى فى الهند الدون فرانسيسكو والميدا ، غير أن الكردى لم يستغل انتصاره هذا بمهاجمة بقية قطع الأسطول البرتغالى فى المحيط الهندى ، وفى القواعد التى أنشئوها فى تلك المناطق ، بل نجد أنه بقى بأسطوله راسيا عند ساحل ديو ، مما أعطى الفرصة للبرتغاليين فى أن يجمعوا قواتهم ويهاجموا الأسطول الاسلامى ، بعد أن وصلتهم المساعدات ، وهاجم أسطول برتغالى الأسطول الاسلامى عند ديو ، سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م ، بتسع عشرة سفينة كما يقال وكان قائدهم فى هذه المرة نائب الملك فى الهند فرانسيسكو الميدا الذى رأى صعوبة هذه الهزيمة التى تؤدى الى خسارة كل المجهودات المادية والبشرية والمعنوية ، التى قامت بها البرتغال فى بداية مشروعهم التوسعى .

(١) ابن العباد ، الحنبلى ، عيد الحى : شذرات الذهب ، ج ٨ ص ١١٥ .

ماهر ، سعاد : البحرية الاسلامية ، ص ١٢٩ .

— عبد الجليل ، الشاطر بصيلى : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة

البرتغال ، ص ١٣٠ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٦١ .

(٣) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٧ .

ولهذا استطاع احرار انتصارا على القوات الاسلامية ، التي هوجمت على حين غرة ، وأحرقت سفنا كثيرة من سفن المسلمين ، وخاصة سفن الامارات الهندية التي لم تكن مزودة بعدد كافى من المدافع ، ويقال أن خيانة وقعت في صفوف المسلمين ، وذلك أن مالك آياز حاكم ديو ، وهو أوربي أسلم وحكم ديو من قبل ملك كوجرات ، انضم سرا الى البرتغاليين ، وقطع العدد والمؤن على أسطول الماليك وحلفائهم ، مما اضطر الأمير حسين الى الانسحاب ، وهذا يدل على أن انتصار البرتغاليين في ديو لم يكن انتصارا حاسما ، بل كان بسبب خيانة في صفوف الحلفاء المسلمين ، فادعى البرتغاليين أنهم سادة الملاحة في المحيط الهندي ^(١) ، ثم عاد الكردي بعد انسحابه من ديو الى جده ، وقام الفوري بارسال فرق حربية بقيادة الأمير خشقدم سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م ، الى جده حتى يستطيع اعداد حملة أخرى لمقاتلة البرتغاليين ^(٢) .

(١) الطياري ، زين الدين المعبري : تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين ، ص ١٦ .

— بانيكار ، أسيا والسيطرة الغربية ، ص ٤٢ (ذكر خيانة أمير ديو لحسين الكردي) .

— زغلول ، دسعد : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ص ١١١ .

— البحراوي دسعد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٥ .

— سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الاول للين ، ص ٦١ .

— ماهر ، دسعاد : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ١٣١ .

— ماجد ، عبد المنعم : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٤١ .

(٢) زكي ، عبد الرحمن ، ابن اياس واستخدام الأسلحة النارية ، ص ١١١ .

وكان والى جده حسين الكردى قد قام قبل ذلك سنة ٩١٢هـ / ١٥١١ م ،
بتحصين الساحل البحرى لجده ، فأنشأ مجموعة من الأبراج وسط البر أمام الساحل
وبرجين بحريين داخل البحر ، وقام الكردى بكل ما يستطيع من زيادة التحصينات
فدعم أسوار جده بأبراج ومدّها بالأسلحة والمدافع الثقيلة . (١)

ثم أخذ الغورى يعدّ العدة لبناء أسطول جديد فى السويس ، وتأخّر
بناؤه كثيراً بسبب أحوال دولة المماليك الاقتصادية ، ومشاكلها السياسية ، ولتعرض
سواحلها على البحر المتوسط لأعمال القرصنة من فرسان القديس يوحنا وفرسان
الاسبتارية التى أضعفت الدولة المملوكية . (٢)

ولقد طلب الغورى من صديقه البندقية ذات الامتيازات التجارية فى
السواحل المملوكية ، تقديم المساعدات له ، لكن بينى أسطولا جديدا لمواجهة
البرتغاليين كما ذكرنا ولكنها لم تقوم بتقديم أى مساعدات تذكر بل نجد أنها
تحاول التعاون مع الشاه اسماعيل الصفوى سلطان الدولة الصفوية فى فارس ، لكى
تمر تجارة المحيط الهندى عبر أراضيها فى ايران والعراق ، الى منافذ على البحر
المتوسط . (٣)

(١) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .
ANGELO PESCE : JIDDAH, Italy, 1974 . 83.

(٢) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٧٦ .

— اليوزيكى ، توفيق : تجارة مصر البحرية ، ص ١٣٢ .

(٣) سالم ، مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٧٦ .

وربما لم تقدم المساعدات لخرج موقعها من بقية دول أوروبا فتجد القورى يقوم بطلب المساعدات من الدولة العثمانية الذى كان على خلاف معها ولكن كون العثمانيين سلمين وخوفهم على الأماكن المقدسة والمسلمين جعلهم يقومون بتقديم المساعدات للدولة المملوكية بصرف النظر عن الخلافات بينهم وبين المماليك وبعد وصول تلك المساعدات العثمانية الى المماليك فى مصر رغم ما تعرضت له من عراقيل من قبل قراصنة البحر الأبيض ، وكانت تشمل الأخشاب لبناء السفن والمدافع والبارود والمتطوعين من الترك العثمانيين ، حيث جهز القورى أسطولاً بقيادة الأمير سليمان الروى العثمانى ، الذى يقال أن السلطان العثمانى سليم بعث به الى القورى ومعه بعض العسكر العثمانى لقتال البرتغاليين فى المحيط الهندى . (١)

وكما تم تعيين الأمير سليمان العثمانى قائداً للأسطول المتوجه لقتال البرتغال فى المحيط الهندى ، على أن يتولى حسين الكردى القائد المملوكى فى جده قيادة الحطة عند وصولها الى جده ، وكانت الحطة مكونة من عشرين سفينة وستة آلاف جندي . (٢)

وعند ما وصلت الحطة العسكرية الاسلامية الى جيزان ، أرسل الكردى الى سلطان الدولة الطاهرية عامر بن عبد الوهاب يطلب منه بعض المؤن والمال مساعدة لحملته التى يقودها ضد البرتغال ، فلم يصل الى جواب ، وعند وصول الكردى الى

-
- (١) البهكلى ، عبد الرحمن : نفج العود ، ص ٢٠ .
 — ماهر ، د . سعاد : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١٣٢ (تقول أرسله السلطان بايزيد للدولة المملوكية) .
 — البحراوى ، محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٦ .
 — بابكوز ، عمر : حزام الأمن العثمانى ، ص ٨٥ .
 (٢) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول للين ، ص ٨٠ .

جزيرة كمران ، سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م ، بعث بالهدايا الى عامر بن عبد الوهاب ، وطلب المساعدة منه أيضا ، ولكن بعض قادة رجال السلطان عامر أشاروا عليه بعدم امداد الأسطول المملوكي بالمؤن والمساعدات ، حتى لا تكون هذه المساعدة معناها فرض السيادة المملوكية على اليمن وعلى الدولة الطاهرية ، وأمر السلطان عامر ولاته في الموانئ اليمنية بمنع وصول الطعام الى الأسطول المملوكي في كمران . (١)

فعلم بذلك الامام شرف الدين ، امام الزيدية في اليمن ، فاتصل بالكردى وحرّضه على مهاجمة سلطان الدولة الطاهرية للتنافس الذي كان بينهما على الاراضي اليمنية وكذلك اتصل به المهدي أحمد بن دريب أمير جيزان ، يحرّضه على سلطان الدولة الطاهرية ، وقد يكون تحريضه نتيجة ما كان يشعر به من ارهاق من مقدار الخراج المقرر على امارته والذي كان يدفعه للدولة الطاهرية ، فرأى أن يرتبط مع الماليك بعلاقات ومعرض على الماليك غزو اليمن . (٢)

وقد أيد أمير جيزان حسين الكردى بجيش بقيادة أخيه عز الدين ففى هجومهم على الدولة الطاهرية ، ولم يتسرع الأمير حسين الكردى فى أى عمل ضد الدولة الطاهرية ، وأشار عليه بعض القادة أن يرسل الى السلطان عامر برسالة يستمد منه الاعانة على حرب البرتغاليين ، فلم يجبه السلطان الى طلبه ، فقام ،

(١) الوزير عبد الله : جامع المتون فى أخبار اليمن الميمون ، ص ١٣٨ .

— الكبسى ، محمد : اللطائف السنية ، ص ٩٢١ .

— سالم ، السيد مصطفى : الفتح العشاني الاول لليمن ، ص ٨٢ .

(٢) الوزير عبد الله : جامع المتون ، ص ١٣٦ .

(يذكر المؤرخ فى تاريخ سابق سنة ٩١٦ هـ أن الكردى قدم اليمن خطابته الشريف أحمد بن دريب فى جازان وحشه على مقاتلة الدولة الطاهرية — والاطاحة بها) .

— العقيلي ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليماني ، ص ٢٢٩ .

الأمير حسين الكردي بهجوم على الدولة الطاهرية ، والتقى مع السلطان عامر بعد أن انضم إلى الأمير حسين كل من الزيدية والشريف عز الدين أحمد بن دريـب ، واستطاع الكردي الدخول إلى زبيد ، ثم زيلع ، ثم توجه إلى عدن (١) .

في سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م ، وفي الحقيقة لم يكن هدف الكردي من حملته الهجوم على اليمن ، ولكن ما قامت به الدولة الطاهرية من قطع المؤن عن الجيش المملوك دفع به إلى ذلك ، وكان الموقف يستدعي أن تقوم الدولة الطاهرية بمساعدة الأسطول المملوك لمواجهة الغزاه البرتغاليين ، الذين لم يتركوا بلاد اليمن سليمة من غزؤهم وتخريبهم وحروبهم منذ وصولهم إلى المحيط الهندي ، فقبل هجوم الماليك على اليمن نراهم يرسلون إلى أمير الحديدة محمد بن نوح ، يقولون له افسح الطريق للسفن التي كانت تحمل المؤن للأسطول المملوك فامتنع ، فحينئذ ضرب الماليك الحديدة بالدافع ، فقام أمير النحية الفقيه أبو بكر بن المقبول بفتح الطريق لهم لكي تمر منه المؤن (٢) ، ولم يستطيع الكردي الاستيلاء على عدن ، فلقد دافع عنها أميرها مرجان الظافري الذي هو من قبل عامر بن عبد الوهاب ، حتى وصلت إليه المساعدات ، وكان الكردي ينوي أن يجعل من عدن قاعدة حربية له ، قبل التوجه إلى المحيط الهندي ، فرفع الكردي الحصار عن عدن في رجب سنة

(١) الجزيرة ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٦١ .

— محمود حسن أحمد : التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ، ص

٦٠٨ (يذكر المؤلف أن هناك اتصالات شبيهة بين مرجان حاكم

عدن وسواريز قائد الأسطول البرتغالي عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، ولقد

رحب بالبرتغاليين الذين طلبوا منه ربابته يسيرون بهم إلى جده ،

فأجابهم لذلك ، ولكن الرياح حالت دون وصوله إليها) .

(٢) الديب ، عبد الرحمن : الفضل المزيدي ، ص ٣٥٩ .

٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، ثم رجع الى جده بعد أن عين الأمير برسباي على اليمن (١) ،
وغيره من الأمراء مثل الاسكندر ابن محمد . (٢)

وانتهى الأمر في اليمن بقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب ، واحتلال
المماليك صنعاء وتعز في سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، ويقال أن الكردي نازل بالقرب
من سواحل عدن سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، أسطول البرتغالي بقيادة البوكسيرك ،
واستطاع الحاق الهزيمة به . (٣)

- (١) البهراوى ، محمد : فتح العشمانين عدن ، ص ٥٠ .
(٢) ابن العماد الحنبلى ، ابن العماد عبد الحى : شذرات الذهب ، ج ٨ ص ١١٥ .
(يقول ان الكردي هاجم البرتغال واليمن في حدود سنة ٩٢١ هـ ولم
يشر الى المعركة الأولى بينه وبين البرتغاليين) .
— الطبرى ، محمد بن على : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٧٠ .
(يقول أن الكردي دخل الهند لدفع الافرنج وأن الافرنج تحصنوا ففى
القلعة تسمى كده ، وأن الكردي عاد بعدها وفتح اليمن دون الاشارة
الى معركته الأولى مع البرتغاليين) .
— العرشى ، حسين : بلوغ الغرام ، ص ٥٨ .
(يقول أن الكردي استجاب لطلب الامام شرف الدين امام الزيدية ففى
الهجوم على الدولة الطاهرية لما قام به سلطان الدولة الطاهرية من
ظلم من البلاد) .
— شرف الدين ، احمد حسين : اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل
الميلاد الى القرن العشرين ، دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة
مزينة بالصور والخرائط ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ،
ص ٥٤٠ .
— الخريوطى ، د . د . على حسنى . الاسلام في حوض البحر المتوسط ، ص ١٤١
(يقول أن المماليك فتحوا اليمن تأميناً لهم من الضغط البرتغالي دون
ذكر لما وقع بين الكردي وعامر بن عبد الوهاب) .
(٣) ماهر ، د . د . سعاد : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ١٣٢ .

ومهما يكن فإن الحروب الجانيية التي قامت بين الأسطول المملوكى والدولة الطاهرية باليمن ، قد أضعفت من قوة تلك الحملة الموجهة أصلاً لقتال البرتغاليين ، وكان على كل من حسين الكردي وسليمان الروسى وعلى عامر ابن عبد الوهاب أن ينظروا الى مصلحة الأمة الاسلامية بنظرة أوسع ، ولا يدخلون فى حرب لم يستفد منها الا البرتغاليون .

٦ — موقف العثمانيين من الخطر البرتغالى فى البحر الأحمر:

بينما كان الغزو البرتغالى على جنوب العالم الاسلامى ، المستهدف تخريب الأماكن المقدسة فى الحجاز ، كانت الدولة العثمانية تقوم حركة الجهاد الاسلامى فى شرق ووسط أوربا ، تفتح المدن وتهزم الجيوش الصليبية ، التى كانت تحاول أن تقف فى وجه نشر الدعوة الاسلامية فى أوربا ، ولقد استطاعت هذه الدولة الفنية أن تصل فى فتوحاتها الى قينا ، وتقدم المدون والمساعدة فى صد الهجوم الصليبي على شمال أفريقيا ، وامتد نفوذها الى حدود مراكش ، وكان من الضرورى أن يمتد النفوذ العثمانى الى كامل شمال أفريقيا ، لكى تطل على المحيط الأطلسى ، لتقطع الطريق على البرتغاليين الذين كانوا يعبرون عبر شواطئ أفريقيا الغربية الى جنوب العالم الاسلامى . (١)

ومنذ بداية الحروب بين الدولة المملوكية والبرتغاليين ، طلب الماليك من الدولة العثمانية مداهم بالأسلحة النارية ، لكى يستطيعوا حماية الأماكن المقدسة فى الحجاز . (٢)

(١) غيث ، فتحى : الاسلام والحبشة ، ص ١٥٨ .

(٢) البهكى ، عبد الرحمن : نفج المدود ، ص ١٩ .

ولقد أدرك السلطان العثماني بايزيد الثاني أن البرتغاليين سوف يحاولون الوصول إلى مكة والمدينة ، ولذلك وعد بارسال السلاح ومساعدة الدولة المملوكية .^(١)

وكانت الدولة العثمانية من أقوى الدول الإسلامية في ذلك الوقت ، حيث أنها بعد سقوط دولة المماليك ، وجهت مجهودها في حماية السواحل الإسلامية ومنها الحجاز وغيره من الأماكن الإسلامية ، وخاصة بعد أن تحالف الصفويين في فارس ضد الدولة العثمانية مع القوى الصليبية البرتغالية .^(٢)

وتجلت المساعدات العثمانية للدولة المملوكية بعد هزيمة المماليك في معركة ديو سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م ، حينما حاول الغوري بناء أسطول جديد ، وكان يحتاج إلى الخشب والحديد ، وقد فرضت البابوية تحريم بيعها للمماليك ، فحاول الغوري اللجوء إلى الهندية لمساعدته ، ولكنها اعتذرت عن ذلك ، فطلب الغوري من الدولة العثمانية زمن السلطان بايزيد الثاني المساعدات وقد استجابت الدولة العثمانية لذلك ، ففي شوال سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م ، وصلت إلى بولاق بمصر عدة سفن تحمل الكثير من المؤن والمكاحل والأسهم والبارود والحديد وكثير من الأموال مساعدة من الدولة العثمانية ، ولقد حاول الغوري أن يعطى الدولة العثمانية ثمنا لما قدمته ، فرفضت لأن هدف العثمانيين هو حماية الأماكن المقدسة .^(٣)

-
- (١) زغللول ، سعد : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ص ١١٢ .
 (٢) جمعة ، د . بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٩٢ .
 (٣) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢٨ .
 اليوزيكو ، د . توفيق : تجارة مصر البحرية ، ص ١٣٣ .

ولقد بعث العثمانيون أيضا بحوالى ألفين من البحارة العثمانية للسيـ
 المعاليك برياسة سليمان الروي^(١) ، ولكن العثمانيين الذين كان هدفهم نشر
 الاسلام في أوروبا ، حينما رأوا عجز المعاليك عن مقاومة البرتغاليين المستهدفين
 الاستيلاء على الأماكن المقدسة ، رأى السلطان العثماني سليم الأول أن يقسم
 بمهاجمة أنصار البرتغاليين في فارس ، ومن ثم الاستيلاء على الشام ومصر والحجاز
 من أيدي الدولة المملوكية ، التي كانت ضعيفة القوى نتيجة الصراعات الداخلية
 وحرمانها الخارجية خوفا من استلاء أحد القوتين الصفوية أو البرتغالية على البلاد
 المملوكية وغيرها من البلاد الاسلامية وبذلك يشكلون خطرا على الدولة العثمانية
 نفسها .

ولقد استطاع العثمانيون دخول تبريز في فارس عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م ، ثم
 اتجهوا نحو المعاليك وقضوا على دولتهم سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، ووصلوا السيـ
 سواحل المحيط الهندي ، لكي يتصدوا للبرتغاليين .^(٢)

وبعد خضوع الحجاز للدولة العثمانية سليما ، حينما بعث الشريف بركات
 ابن محمد حاكم الحجاز أبنة الشريف ابن نبي لمواجهة السلطان سليم خان فسيـ
 القاهرة سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، فقابله السلطان سليم بالعناية والرعاية واشركه مع
 والده في إدارة أسرة الحجاز .^(٣)

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٧٨ .

— صيرفي ، نوال : النفوذ البرتغالي في الخليج ، ص ١٠٨ .

— البهراوى ، محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٧ .

— ماهر ، د . سعد : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ١٣١ .

(٢) شاكر ، محمود : المسلمون في بورندي ، ص ٢٢ .

— الخريوطي ، علي : الاسلام في حوض البحر المتوسط ، ص ١٦٤ .

— سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٩٦ .

(٣) المعاصي ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٩٢ .

واتفقا على شروط تميز الحجاز في علاقته بالدولة العثمانية عن الولايات
التي خضعت لها مثل مصر والشام وغيرها منها تركت حكم الحجاز في أسرة الاشراف
آل قتاده الذين يقومون باختيار هذا الحاكم منهم وما على الدولة العثمانية
الا التصديق والاعتراف اضافة الى اعفاء الحجاز من التجنيد بل ترسل القوة من
الدولة العثمانية لمساعدة الحجاز ضد أى خطر وكذلك ترسل المساعدات المادية
والغذائية من الدولة العثمانية بدلا من اخذها من الحجاز الى آخر ذلك .

وطلب السلطان من حاكم الحجاز الشريف بركات محمد قتل حسين الكردي الوالى
المطوكى بجده لما قام به من فساد فى اليمن والحجاز (١) ومعت الأمير أسكندر
أمير طائفة الماليك باليمن بأن يقيم الخطبة للعثمانيين . (٢)

ولقد نفذ حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد طلب الدولة العثمانية
ضد الكردي نتيجة لاعماله البطشية فى الحجاز واليمن كما ذكرنا . (٣)

وفى أثناء خوض العثمانيون حربهم مع الماليك قام البرتغاليون بمحاولة
لغزو الحجاز فتصدى لهم الأمير سليمان الرومى ببقايا أسطول مصر ، وتمكنت القلاع
من المساهمة فى صد الهجوم البرتغالى على جده سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، وكان
قائد الأسطول البرتغالى ليموسوا ريز ، الذى انسحب الى مياه المحيط الهندى
بعد هزيمته . (٤) انظر ملحق رقم (٧) .

-
- (١) الحضرواي ، أحمد : الجواهر المعده ، ص ٥٢ .
(٢) الموزعى ، عبد الصمد : الاحسان فى دخول ملكة اليمن تحت ظل عدالة
آل عثمان (أو تاريخ الموزعى فى الدولة العثمانية) مخطوط ص ٧ .
(٣) الشيلى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٢٢٠ .
— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٣١ .
(٤) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠٢ .

ثم بعد ذلك في سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٦٩م ، أهدى السلطان العثماني
 سليم اهتماما بطريق التجارة بين الشرق والغرب ، فساعد في بناء أسطول كبير
 وبناء ترسانة ضخمة للسفن في القرن الذهبي في استامبول ، كما أعاد بناء
 الترسانات القديمة في غاليلوى ^(١) وسعى لاجتذاب أمراء جنوب الجزيرة العربية
 اليه في محاولة لفك الحصار البرتغالي عن العالم الاسلامي .

== ماهر ، د . سعاد : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ١٣٣ .

ANGELO PESCE: JIDDAH, 88.

(يقول المؤلف أن لموسواريز أغار على ميناء زيلع ونهبه وأحرقه في نفس

العام) .

(١) الشناوى ، عبد العزيز : الدولة العثمانية ، ج ٢ ص ٨٨٦ .

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية في تلك الفترة

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية فى تلك الفترة

١ - الحج والمردود الاقتصادى :-

كان لموسم الحج المتكرر كل عام ، كبير الأثر على الازدهار التجارى فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجده ، ولاد الحجاز بصفة عامة ، ولكن سيطرة الماليك على الحجاز ، جعلهم يفرضون الكثير من المكوس على الحجاج والتجار ، لجنى أكبر قدر ممكن من الأموال ^(١) ، خلاف ما كان سلاطين الماليك يفرضونه على التجار وغيرهم من الجوارين بمكة المكرمة من مكوس وأحكام ، ومن ذلك ما أمر به السلطان المملوكى برسبى سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م أن ينادى يوم عرفه أن من اشترى بضاعة من بضائع التجار وسافر بها الى غير القاهرة لعل دمه وماله للسلطان ^(٢) ، ما اضطر التجار أن يسافروا الى القاهرة مع الركب المصرى لتؤخذ منهم المكوس على بضائعهم وعند ما ثار السخط على هذه السياسة المملوكية البنية على الطمع ، من قبل الحجاج والتجار وأهل الحجاز وحكامه ومن بعض ملوك العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، مثل ملك العراق ، عندئذ أوعز السلطان المملوكى جقق الى بعض الفقهاء ، باصدار فتوى تؤيد أخذه المكوس ، فأصدر القضاة الأربعة بجواز أخذه لتلك المكوس فى سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م ، ولعل ذلك القرار الذى اتخذه الفقهاء يرجع الى خوفهم على مناصبهم ، وأن يعزلهم السلطان المملوكى منها ^(٣) .

(١) ابن فهد : عمر ، اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٦٤٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٤ .

() ابتدعت المكوس على الحاج فى مكة المكرمة زمن أميرها الشريف جعفر بن محمد ابن الحسين الذى تولى حكم مكة المكرمة سنة ٣٥٨ هـ لحاجة البلاد الى ما تنفقه ولم يعارضه الفاطميين ولم يمنعه العباسيين)

— السباعى ، احمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٩٢ .

ولكن عندما تولى زمام الحكم السلطان قايتباى المملوكى ، أراد أن يبدأ عهدہ فى الحكم المملوكى بصورة حسنة أمام العالم الاسلامى ، وخاصة وأن الدولة المملوكية كانت فى ذلك الوقت حامية الحرمين الشريفين ، فبدأ عهدہ بابطال بعض المكوس عن الحجاج والتجار فى موسم حج سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م ، وكسب ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم المكى الشريف بآب السلام . (١)

وما سبق نرى أن موسم الحج فى مكة المكرمة كان له كبير الأثر فى البيع والشراء ، لا رباط مكة بمينائها التجارى فى جده ، ذلك الميناء الذى كان من أهم الموانئ التجارية بين عدن والشام ، وبين الشرق وما يحويه من تجارة هامة وبين دول أوروبا ، بالإضافة الى الطريق البرى التجارى المار بمكة المكرمة . (٢)
انظر الطرق التجارية البرية والبحرية المارة بالحجاز ، ملحق رقم (٨) .
ولكن الخصومات التى كانت تحدث بين أشرف الحجاز فى بعض الأحيان ، بالإضافة الى قلة الموارد فى الجزيرة العربية عامة ، أدى فى بعض الأوقات الى الكثير من السلب وقطع الطريق على قوافل الحجيج والتى كانت فى نفس الوقت قوافل تجارية ، مما أدى الى فزع الحجاج فى بعض الأوقات وأحجم الكثير منهم عن تأدية هذه الفريضة . (٣)

ولقد كان لأشرف الحجاز نصيب وافر من أرباح التجارة والمكوس المفروضة على الحجاج والتجار ، وكان سلاطين الماليك كثيراً ما يطمعون فى حق الأشرف من الأرباح ، مثلما حدث فى سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م ، عندما بعث قايتباى الى

(١) السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٦٩ .

(٢) السيد ، رجب : عمر الفاروق ، المدينة المنورة اقتصاديات المكان ، السكان المورفولوجيه ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جده ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٣٩ .

(٣) البهراوى ، د . محمد : فتح العشمانيين عدن ، ص ٣٨ .

الشریف محمد بن بركات أمير الحجاز ، بأن الأرباح المتحصلة على البضائع الوافدة من اليمن ، من بضائع الهند تكون بالنصف بينه وبين الشریف ، ولم تجرب بذلك عادة من قبل ، حيث كانت جميع هذه الأرباح من نصيب شریف مكة ^(١) ، مما جعل الحجاج وسكان الحجاز يخافون ظلما يقع من الشریف محمد بن بركات عليهم ، لسد ما نقص من دخله الذى كان مهما له ولأشراف الحجاز ، لكن يستطيعوا الايفاء بالتزاماتهم المالية تجاه الدولة المملوكية ، ولم يكتف قايىباى بذلك بل أخذ يتوسع فى طعمه فتراه يقوم بفرض سعر للبضائع الوافدة من الهند غصبا ، كما احتكر لنفسه صناعة السكر والقص ، وتدخل فى كل شئ من فروع التجارة ، بعد أن انتزعتها من التجارة الكارمية ، مما أدى الى زيادة أسعار التوابل والسلع الشرقية عامة ^(٢) .

ولعل ما قام به قايىباى يعود الى ما كانت تواجهه الدولة المملوكية من ثورات داخلية من قبل المماليك أنفسهم ، وطلباتهم المالية الكثيرة ، بالإضافة الى الحروب التى كانت تخوضها الدولة المملوكية ضد الدولة العثمانية ، ومواجهتها لبعض الحملات الصليبية ضد موانئها فى البحر المتوسط ، ولكن هذه السياسة المملوكية تجاه الحجاز اعتدت لبعض الشئ ، بعد ما قام قايىباى بأداء فريضة الحج سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م ، فلقد رأى قايىباى أن يقوم بارضا الشریف محمد ابن بركات ، والتخفيف عن سكان الحجاز ، لما قد يكون رأيهم من حالة اقتصادية ليست مرضية ، فأنعم مرة أخرى على شریف مكة محمد بن بركات بجميع عشور اليماني بعد أن كان يأخذ منه النصف قبل ذلك ، وتصدق بالكثير من الأموال على فقراء

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية اليرام ، ج ٢ ص ٥٢٢ .

— الجزيرى ، عبد القادر : درر القوائد ، ص ٣٣٨ .

— العصامى ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٢) السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ .

(١) الحريميين الشريفيين والمجاورين في المدينتين المقدستين .

وعليه فان موسم الحج وقوافل الحجيج التي كانت تضم بين طياتها تجارة يقوم الحجاج بنقلها معهم من بلد انهم في شتى أنحاء العالم الاسلامي الى مكة والمدينة ، والعبادات التجارية التي تحدث في أثناء موسم الحج ، وما ينفقه هؤلاء الحجاج والتجار في الحجاز من أموال وصدقات ، بالإضافة الى ما يوقفه سلاطين الدول الاسلامية وكبار المحسنين في مكة والمدينة من أوقاف ، كانت من أهم مقومات الحياة الاقتصادية في الحجاز ،^(٢) وان تأثرت الحالة الاقتصادية في الحجاز بالحالة الاقتصادية للدولة السلوكية ، التي كانت تواجه كثيرا من المشاكل الداخلية والخارجية ، كما ذكرنا ، وكذلك تأثرت بالفتن التي قامت بعد وفاة الشريف محمد ابن بركات في سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، عندما قام ابناؤه الشريف محمد بن بركات ضد أخيه الشريف بركات بن محمد الذي تولى أمرة الحجاز بعد وفاة والده الذي عينه شريكا له في حياته تمهيدا للولاية بعده بعد وفاته فقام أولا الشريف هـزاع ابن محمد بنازعته السلطة ثم بعد وفاته تولى الشريف أحمد الجازاني بن محمد قيادة الثورة على أخيه الشريف بركات ثم تولى بعدهم قيادة تلك الثورة أخيههم وقبائل زعيد بالإضافة الى الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع ، وما صاحب ذلك من سلب لقوافل الحجيج وللمكة والمدن الأخرى إضافة الى مهاجمة المحامل القادمة

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية العرام ، ج ٢ ص ٥٢٣

— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤

— الرشيدى ، أحمد : حسن الصفا ، ص ١٤٧ .

— السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ .

(٢) السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٧١ .

— السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ج ١ ص ٣٢٢ .

من مصر والشام ، لعدم مساعدتهم أولهدهم فاثارة أضطراب الحالة الأمنية عامة بالحجاز لا جبار السلطة المملوكية على تأييدهم لتضمن مصالحها المادية والمعنوية في الحجاز .

٢ — الموانئ الحجازية والتجارة الدولية :

أ — نبذة عامة عن الموانئ الحجازية :

أن الباحث في النشأة الأولى للموانئ الحجازية ، على ساحل البحر الأحمر الغربي وتاريخها ، قد يجد صعوبة في ذلك ، وخاصة في فترة بحثنا هذا لأن مصادر التاريخ لم تذكر لنا إلا ما هو مهم من هذه الموانئ ، والمرتبط بتاريخنا بأحداث الحجاز وتجارته أو ما هو مرتبط بالحجيج القادم إلى مكة المكرمة ، أو إلى زيارة المسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وكان من أهم الموانئ في تلك الفترة ، ميناء جدة ، ثم ينبع ، ثم رابغ ، ولقد كانت هناك موانئ أخرى لا يتعدى تاريخها القرن الخامس الميلادي (١) .

ومنذ سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م ، عندما بدأ الغزو المغولي للدولة العباسية واستيلائهم على عاصمتهم بغداد ، نجد أن معظم طرق التجارة الآسيوية بين الشرق والغرب لم تبقى آمنة ، بسبب الحروب الدمرة التي قام بها المغول ، فأصبح طريق الخليج العربي التجاري غير آمن ، الأمر الذي شجع تحول الثقل التجاري ، عبر البحر الأحمر لما امتاز به من أمن ومعدا عن الاخطار المغولية ، وكان يسي في

(١) البرويهي ، د محمد احمد : الموانئ السعودية على البحر الأحمر ، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٠٣ ،

ذلك الوقت بحر الحجاز ^(١) ، مما أدى الى ازدهار التجارة في موانيه مثل ، جدة ، وينبع وجيزان والوجه والقنفذة ولم يكن البحر الأحمر قبل ذلك غير معروفا من ناحية أهميته التجارية ، فلقد اشتهرت بعض موانيه بظهور الاسلام ، ومن هذه الموانى الحار ^(٢) ، أولا ثم ينبع ثانيا في القسم الأوسط من الساحل أمام المدينة المنورة . والشعبية ^(٣) ، وجده مقابل مكة المكرمة ، لتكون منافذ بحرية تصل عن طريقها المعونات الاقتصادية التي تنقل عبر البحر الأحمر من مصر وغيرها الى الحجاز ، زمن الخليفة عمر بن رضى الله عنه ^(٤) ، واستمرت بعد ذلك موانى تستجذب على طريق المواصلات البحرية الموصلة بين طرق التجارة والحجيج ، وكان ضمن محطات الطريق

(١) ربيع : د . حسنين ، بحر الحجاز في العصور الوسطى ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الأول ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٤٠٧ .

— صيرفى ، نوال النفوذ البرتغالى في الخليج ، ص ٤٧ .

(٢) الرويش : محمد ، الموانى السعودية ، ص ١٠٥ .

(٣) الجار : هو مرسى قريب من جدة ترسى فيه المراكب الوارد من الديار المصرية ، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بأبن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ومعش الحجاز السمة تاريخ السبتمبر ، صححه وضبطه أوسكر لوفقرين ، الطبعة في مدينة ليندن ، مطبعة هيرل سنة ١٩٥١ م ، القسم الأول ، ص ٥٠ .

(٤) الشعبية : خور عظيم ومرسى قديم مقابل وادى المحرم وقد يرجع استخدامه الى ما قبل استخدام ميناء جدة .

— ابن المجاور : يوسف ، صفة بلاد اليمن ومكة ومعش الحجاز ، القسم الأول ، ص ٤٢ .

(٥) ابن فهد : محمد ، رسالة في فضل جدة وشئ من خبرها ، دراسة د . عبد المحسن مدعج المدعج ، مسئلة من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣١ ، الجزء الأول جمادى الأول شوال ١٤٠٧ هـ ، يناير يونيو ١٩٨٧ م ، ص ٢٠٠ .

— الرويش : محمد ، الموانى السعودية ، ص ٧٤ .

— بافاسى ، عبد الله : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير ١٤٠٠/٧٩ هـ ، ١٩٨٠/٧٩ م ، ص ٨٣ .

الموصله بين مكة المكرمة الى بلاد البحرين وغيرها . (١)

ولقد كان ميناء الجار معروفا قبل ظهور الاسلام في الجزيرة العربية ،
ومعد أن أصبح الميناء الرئيسى للمدينة المنورة اكتسب شهرة ، بحيث أصبح البحر
الأحمر يعرف ببحر الجار ، وكان مدينة أهله عامرة بالسكان ، ثم ضعف شأنه منذ
القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، (٢) ثم فى أواخر القرن السادس الهجرى
الثانى عشر الميلادى ، انتهى دور ميناء الجار ، وصار التجار والحجاج يركبون
البحر الى ميناء جدة ، الذى اشتهر معه فى ذلك الوقت ميناء ينبع الذى كان
معروفا منذ زمن بعيد ولكن لم يشتهر الا عندما اتخذوه الأتوميون ميناء للمدينة
المنورة . (٣)

ومن الموانى الحجازية على البحر الأحمر والتي ضعف شأنها بعد أن
أصبحت جدة وينبع هما الميناءان الرئيسيان فى الحجاز ، حلى وهى مدينة على

(١) القلقشندي ، ابى العباس أحمد بن على : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ج ٥ ص ٥٧ .

(٢) أبو اسحاق الحربى ، ابراهيم : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج
ومعالم الجزيرة العربية ، ص ٤٢٥ .

— الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥ .
— الحميرى ، محمد : الروض المعطار من خبر الأقطار (معجم جغرافى)
مع سرد عام ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، سنة
١٩٧٥ م ، ص ١٥٣ .

— الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ص ٤٧ .
— الرويش ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

ساحل البحر الأحمر ، بينها وبين مصيرة ثمانية أيام^(١) ، والسرير على ساحل البحر الأحمر ، بينها وبين مكة أربعة أيام^(٢) ، وميناء الخربة على البحر الأحمر^(٣) ، وميناء الخريقين ويقع بين مكة المكرمة والسرير على البحر الأحمر^(٤) ، وميناء الشقان هو ميقات أهل اليمن من البحر وهو موضع يقابل يللم^(٥) ، وميناء ساحل ثغر^(٦) . أنظر ملحق رقم (٩) عبارة عن خارطة توضح أهم الموانئ الحجازية على البحر الأحمر . وليس معنى ضعف شأن مثل هذه الموانئ هو أنها هجرت نهائيا ، فلقد كانت تستخدم في بعض الأحيان مثلما حدث سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، حينما جهز صاحب اليمن المنصور نور الدين جيشا كثيفا الى مكة المكرمة ، فلما علم بهم العسكر الذين بمكة كتبوا الى ملكهم في مصر يطلبون منه النجدة ، فبعث اليهم نجدة^(٧) .

-
- (١) أبي الفدا^١ ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٩٣ .
 — الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٧ .
 (٢) ابن حوقل ، أبي القاسم : صورة الأرض ، ص ٣٣ .
 — ابن الجاور ، يوسف : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ص ٥٣ .
 — أبي الفدا^١ ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٩٣ .
 — الحميري ، محمد : الروض المعطار ، ص ٣١٢ .
 — الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٣٧ .
 (٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ١ ص ٥٨٤ (حاشية) .
 (٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٠٢ (حاشية) .
 (٥) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٨٤ (حاشية) .
 وفي الجزء الثاني من نفس المصدر وفي الصفحة ٣٠٣ يذكر المؤلف أن هذا الميناء كان مستخدما في عهد أمير مكة المكرمة الشريف حسن بن عجلان وكانت تجلب اليه بضائع من الدول .
 (٦) ابن الجاور ، يوسف : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، القسم الأول ، ص ٤٤ (يعرف بشرم الجارية وما عرف الا أنه غاضته الحجاج) .

فلما علم بذلك عسكر اليمن أقاموا بالسرين وكتبوا الى المنصور في اليمن بذلك ،
فتجهز بنفسه الى مكة المكرمة في عسكر جرار . (١)

وهذا يدل على أن الموانئ الحجازية على البحر الأحمر ، لم تكن غير
معروفة ، ولكن بانتقال الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى دمشق ، ثم الس
بفداد ، أصبحت هذه الموانئ غير ذات أهمية ، الى أن كان حدوث الغزو المغولي
كما ذكرنا للدولة العباسية ، وأصبحت طرق التجارة المارة بالخليج العربي غير
مأمونة ، فعادت للبحر الأحمر أهميته التجارية . (٢)

بعد أحياء الخلافة العباسية في القاهرة على أيدي سلاطين الدولة
الملوكية التي استطاعت صد الهجوم المغولي على البلاد الاسلامية ، وقد نفوذها
الى الحجاز ، وبالتالي على طول ساحل البحر الأحمر من أيلة حتى عدن ، لتأمين
مرور القوافل البحرية ، وسفن الحجاج المارة بطريق البحر الأحمر . (٣)

وكانت السفن تخرج من عدن لتدخل البحر الأحمر الى عدة موانئ في
مثل جدة أو ينبع وذلك في موسم الحج أو بعده ، أو من عدن الى الموانئ المصرية
مثل الطور وعين اب والقصير والسويس . (٤)

ولقد حاولت الدول الاسلامية التي كانت لها السيطرة على الحرمين الشريفين
منذ الحروب الصليبية التي شنتها دول أوروبا ضد العالم الاسلامي ، ومحاولة

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٥٧ .

(٢) الرويشي ، محمد : الموانئ السعودية ، ص ١٧٨ .

(٣) الموزيني ، توفيق : تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي ، ص ٣٥ .

(٤) أمين ، محمد : تجارة البحر الأحمر ، ص ١٢٦ .

الصليبيين الوصول الى الحجاز لتخريب المدن المقدسة الاسلامية ، حاولت قسراً حظر على دخول البحر الأحمر بالنسبة للأوروبيين ، لحماية الأراضي المقدسة ، ولخشيتها من قيام تحالف صليبي بين دول أوروبا بلاد الحبشة المسيحية ، في حين كان يسمح بدخول بعض المسيحيين وخاصة الايطاليين ، بعد منحهم جوازات مرور ، لما كان قائم من علاقات تجارية بين دولة المماليك ، وبعض مدن ايطاليا مثل جنوة والنبدقية . (١)

وسنقوم في هذه الفقرة بذكر لبعض موانئ الحجاز الهامة ودورها التجارى في فترة بحثنا هذا .

ب — ميناء جدة :

كانت الشعبية ميناء مكة المكرمة قبل ظهور الاسلام بنوره على الجزيرة العربية واستمرت بعض الشيء بعد قيام الدولة الاسلامية الأولى ، الى أن كان عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى حول الامدادات الاقتصادية التى كانت تصل مكة من مصر الى ميناء جدة سنة ٢٦ هـ / ٦٤٦ م ، وذلك بناء على طلب سكان مكة المكرمة . (٢)

(١) امين ، محمد : تجارة البحر الأحمر ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن فهد ، محمد : رسالة فى فضل جدة وشي من خبرها ، ص ٢٠ .

— الرويش ، محمد : الموانئ السعودية ، ص ١٧٧ .

— السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩٢ .

(يقول المؤلف أن جدة لم تصبح ميناء مكة قبل القرن التاسع الهجرى ،

وهذا غير صحيح لأن جدة كما ذكرنا كانت ميناء مكة منذ سنة ٢٦ هـ) .

وكما أدى انتقال الخلافة الإسلامية الى دمشق وبغداد الى عدم شهرة الموانئ الحجازية أو غيرها في البحر الأحمر ، الا بعد أن اجتاحت المغول بغداد ، مما جعل التجار يفضلون نقل بضائعهم عبر طريق آمنه الى السواحل المصرية ، لتتقل منها الى دول أوروبا أو الى السواحل الشامية ، لتتقل منها كذلك الى الدول الأوروبية ، فكان أمامهم طريق البحر الأحمر ، الذي كان بعيدا عن الصراع والحروب التي اجتاحت البلاد الإسلامية من جراء الغارات المغولية ومن التتبع التاريخي لتطور مدينة جدة ، نجد أنها في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كما وصفها ابن جبير في رحلته ، بأنها قرية وأن أهلها ليسوا أغنياء (١) .

ثم في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، بعد أن أخذت التجارة تزدهر فيها ، نجد أن ابن بطوطة في رحلته يصفها ، بأنها بلدة قليلة السكان (٢) .

ثم بعد ذلك في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، وصفها أبو عبد الله محمد الحميري ، بأنها بلدة فخمة وأن أهلها مياسير (٣) وذلك لأن زدهار التجارة الشرقية العار بهما حيث كانت ميناء عظيمًا تصل اليها السفن من مصر واليمن (٤) .

(١) ابن جبير ، أبي الحسن محمد بن أحمد : رحلة ابن جبير رسالة اعتبار الفاسك في ذكر

الأثار الكريمة والفاسك (دار مكتبة الهلال ، بيروت ، سنة ١٩٨١ م ، ص ٤٧ .

(٢) ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر

للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ٢٤٢

(٣) الحميري : محمد ، الروض المعطار ، ص ١٥٧ .

(٤) القلقشندي : أبي العباس أحمد بن علي ، صبحي الاعشى ، ج ٤ ص

وربما يرجع سبب تأخر مدينة جدة في القرن السادس الهجري ، الثالث عشر الميلادي لسبب الحروب الصليبية التي اجتاحت العالم الاسلامي ، على أيدي الفزاه الغربيين . (١)

حيث نشطت التجارة في البحر الأحمر منذ العهد الفاطمي ، الذي كان في صراع مع الخلافة العباسية السنية في بغداد ، فلقد حاول الفاطميون تحويل تجارة الشرق من الخليج العربي الى البحر الأحمر ، لاضعاف الخلافة العباسية من الناحية الاقتصادية . (٢)

ثم ما تلبث ذلك من غزو مغولي للدولة العباسية كما ذكرنا ، أدى فلى النهاية الى تحويل التجارة من الخليج العربي الى البحر الأحمر ، وليس معسنى ذلك أن البحر الأحمر وموانيه كانت خالية من السفن التجارية أو من سفن الحجاج قبل ذلك ، فلقد كان طريقا سلوكا من مصر الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فلقد كان حجاج مصر والمغرب وغيرهم يصلون الى مدينة السويس في مصر ، وهي تطل على البحر الأحمر ، ثم يركبون البحر قاصدين شواطئ الحجاز ، وفي زمن الحروب الصليبية تعطل هذا الطريق ، فلقد سلك الحجاج طريقا آخر حيث كانوا يركبون النيل الى مدينة قوص ، ومنها يسلكون الصحراء الى ميناء عيذاب على الساحل الشرقي للبحر الأحمر والمواجه لمدينة جدة ، ثم يعبرون البحر الأحمر الى جدة . (٣)

(١) الرويش : محمد ، الموانئ السعودية ، ص ٢٥٦ .

(٢) ربيع : حسنين ، بحر الحجاز في العصر الوسطي ، ص ٤٠١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

وكانت عدن مركزا لتجمع تجارة بضائع الشرق الأقصى والهند وشرق أفريقيا ولقد اعتنت كل من الدولة الطاهرية والرسولية من قبلها في اليمن بالشئون التجارية ، وحسن معاملة التجار ، غير أن هذه السياسة تبدلت أيام الملك الناصر والملك المنصور زمن الدولة الرسولية ، إذ ظهرت المظالم ومصادرة الأموال ^(١) ، فنزل أحد قادة السفن التجارية سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م ، بسفنه من قاليقوت على الساحل الهندى الى جده مباشرة ، ولكن لم يجد مؤيدا له من عمال شريف نكسة المكرمة الذين استولوا على حمولة سفنه من البضائع بالسعر الذى حدوده ^(٢) فعاتب الملك الأشرف صاحب مصر الشريف حسن بن عجلان على ذلك ^(٣) .

حيث يقول المؤرخ نجم الدين عمر بن قهد عن أخبار سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م (وفيها قدم من كاليكوت من بلاد الهند ناخوذه اسمه ابراهيم ، فلما مر على باب المندب حوز الى جده بطراذه حنقا من صاحب اليمن لسوء معاملته التجار ، فاستولى السيد حسن بن عجلان على ما معه من البضائع فطرحتها على التجار بمكة ، ولم يعلم بأن مراكب الهند تعدت باب مندب عدن) ^(٤) .

ولقد حاول هذا التاجر أن يبيع بضائعه في سواكن في العام الذى يليه سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م ، ولكنه لقي نفس المعاملة التى لقيها من أشرف الحجاز ^(٥) .

(١) المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٣٤ .

— طرخان ، ابراهيم على : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ (يقول سنة ٨٢٦ والأصح ٨٢٥) .

(٣) ابن قهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٢ ص ٣٤١ .

(٤) ابن قهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٣ ص ٥٨٨ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ص ٥٩٧ .

— طرخان ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ٢٨٦ .

وفي سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م ، حاول هذا التاجر الوصول الى ينبع ، وكانت في ذلك الوقت تحت حكم نائب ملوكي الا أن شريف مكة على بن عنان الذي تولّى بعد الشريف حسن بن عجلان أخذ في ملاطفته حتى أرسى سفنه بجده ، فعامله الشريف على أحسن معاملة ^(١) ، بناءً على توصية السلطان الملوكي برسباي ، حيث أن سياسة الدولة الملوكية في ذلك الوقت كانت قائمة على تحطيم مركز عدن التجاري منذ ازدهار التجارة في البحر الأحمر ، وإحلال ميناء جدة مكانها ^(٢) .

وأخذت جدة في الازدهار ، وتأثر مركز عدن وغيره من الموانئ على البحر الأحمر مثل عيذاب والقصير من منافسة جدة ، ومنذ ذلك الحين أخذ المالكي بالاهتمام الزائد ببلاد الحجاز ، ذلك لأنها فضلا عن ما كان لها من مكانة روحية لدى المسلمين ، أصبحت مصدرا هاما للأموال بالنسبة لدولة المالكي ، حيث نشطت الحركة التجارية في البحر الأحمر وأصبحت السفن تحمل تجارة الشرق إلى أوروبا عبر مصر والشام وكلاهما تابع لدولة المالكي ^(٣) .

ولقد عمل المالكي على إبعاد نفوذ شريف مكة عن ميناء جدة ، وجعله تحت إشرافهم مباشرة ، وعينوا ناظرا عليها من قبل السلاطين المالكي ، وعملوا على أن يجعلوا سلطتهم عليه فعلية بدلا من أسمية ^(٤) ، علما بأن شريف مكة الحاكم للحجاز كان يأخذ نصف الأرباح التي تحصل على البضائع الواردة من الهند ،

-
- (١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٦٠٦ .
 طرخان ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المالكي ، ص ٢٨٦ .
 (٢) الشيق ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٣٤ .
 (٣) دسوقي ، محمد : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، ص ٤٠٩ .
 (٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٣٩ .
 — البيوزيكي ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٦٠ .
 — السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٤ .

وعرفت هذه الأرباح باسم الهندي ، تميزا لها عن رسوم التجارة المكية البريصة ،
التي عرفت باسم العدني ، والتي كانت جميعها من حق الاشراف . (١)

وكان يصل لميناء جدة في ذلك الوقت حوالي مائة سفينة مختلفة الأشكال ،
تؤخذ منها الرسوم وتحمل لحاكم مكة ، وكانت تلك الرسوم لا تقل عن
٢٠٠ ر ٢٠٠ دينار . (٢)

وعن كيفية نقل تلك البضائع الى مصر ، فقد كان التجار ينزلون بضائعهم
في جدة ، ومن ثم تتولى سفن صغيرة مهمة توصيلها الى السويس . (٣)

ولقد طمع المالكي في مشاركة اشراف الحجاز في الأرباح المتحصلة على
البضائع الواردة عن الطريق البري الى الحجاز والتي عرفت كما ذكرنا باسم العدني
والتي كانت من نصيب اشراف الحجاز ، كما حدث في عهد حاكم الحجاز الشريف
محمد بن بركات ، حينما طلب السلطان قايتباي المملوكي سنة (٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م ،
بأن الأرباح المتحصلة على البضائع الواصلة من اليمن من بضائع الهند ، تكون مناصفة
بينه وبين الشريف محمد ، حيث لم تجرى بها عادة لأنها من حقوق اشراف مكسة
المكسة . (٤)

-
- (١) أمين ، محمد : تجارة البحر الأحمر ، ص ١٣٢ .
(٢) زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .
— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٣٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .
(٤) ابن قهد ، عبد العزيز : غاية الرام ، ج ٢ ص ٥٢٢ .
— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .
— المعصامي ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٢٧٧ .

ولقد أحس قايتباى غضب الأشراف على الدولة المملوكية ، فتراجع عن قراره فى سنة ٨٨٤هـ / ١٤٢٩م ، ولقد مرت مدينة جدة بفترة اضطربت فيها أحسـوال التجارة نتيجة لصراع الأشراف أبناء محمد بن بركات على السلطة ، فتعرضت جـده وغيرها من المدن الساحلية الحجازية مثل ينبع للغزو والنهب من أطراف النزاع وغيرهم من العربان ^(١) التى كانت تهاجم جـده فى أيام الفتن ، فبعث السلطان المملوكى قانصوه الفورى الأمير خاير بك الكاشف سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م بقـوة عسكرية لمواجهة المتعربين على سلطة الشريف بركات بن محمد من بنى ابراهيم وزيد وأخيه حميـضه وغيرهم . ^(٢)

ثم بعد ذلك بعث بالأمر حسين الكردى متوليا على جـده لمواجهة المتعربين على سلطة الشريف بركات بن محمد ، بالإضافة الى مواجهة الخطر البرتغالى الذى أخذ يمتد الى البحر الأحمر ، بعد وصول البرتغاليين الى المحيط الهندى عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، فقام حسين الكردى ببناء سور حول مدينة جـده . ^(٣)

ولقد بلغت مدينة جـده فى ذلك الوقت مركز مرموقا بين الموانئ المطلة على البحر الأحمر حيث يقول المؤرخ جـار الله محمد بن فهد عن عدد المساجد التى تقام فيها صلاة الجمعة بمدينة جـده بأنها مسجدين ، أحدهما يعرف بمسجد

(١) الأنصارى ، عبد القدوس : تاريخ مدينة جـده ، ج ١ ص ٦٩ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الـرام ، ج ٣ ص ١٨٨ .

(٣) ابن فرج الشافعى ، عبد القادر أحمد بن محمد : السلاح والعدو فى تاريخ حـدة ، ص ١٧

— يعقوب ، أحمد محمد السلاح والعدو فى تاريخ بندر جـده ، ص ٨ .

(لم تشر المخطوطتين الى أن السور أنشئ أملا ضد البرتغاليين بل ضد

الأبنوس والآخريسى المسجد العتيق وتقام صلاة الجمعة فى مسجد ثالث فى أيام موسم الهندى . (١)

وهذا يدل على مدى الحركة التجارية فى تلك المدينة وبخاصة فى أثناء المواسم التجارية والدينية ، ونتيجة لتحول تجارة الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح ، أخذت جده فى التدهور الاقتصادى ، غير أن ارتباطها بمكة المكرمة حفظ لها بعض مكانتها لاستقبالها للحجيج القادمين الى مكة المكرمة . (٢) وقد يرجع ذلك التدهور الاقتصادى ايضا الى كثرة الضرائب التى فرضتها الدولة السلوكية على التجاره الواردة لذلك وغيره من العوائى ، بحيث أصبحت تلك الضرائب المثل عشرة أمثال . (٣)

ج - ميناء رابع
كما ذكرنا فإن البحر الأحمر كان يسمى فيما مضى ببحر الحجاز ، لأهمية العوائى الحجازية النطلة عليه ، وتعود تلك الأهمية لكون الحجاز يضم بين مدنه أقدس مدينتين اسلاميتين ، هما مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث كان الحجاج من مختلف أنحاء العالم الاسلامى يقصدون مكة فى كل عام لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبعد ازدهار التجارة فى البحر الأحمر أخذ المالكيك يطمعون فى دخول الحجاز المادى ، لما كان يعود عليهم من أرباح مالية من الضرائب التى كانت تجلب من التجارة الشرقية التى تفرضها حكومة الحجاز على تجارة الشرق الأقصى المارة بأراضيها وأيضا ما كان يفرضه المالكيك على هذه التجارة التى تمر بأراضيهم عندما كانت تتجه ناحية أوروبا .

== العمامسى ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج ٤ ص ٥٣ .

— الرويش ، محمد : العوائى السعودية ، ص ٢٥٩ .

(١) ابن فهد ، محمد : رسالة فى فضل جده وشي من خبرها ، ص ٢٠٠ .

(٢) الفاروق ، عمر : الحجاز المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ،

ص ٢٥٩ .

(٣) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٥ ص ٩٠ .

ولقد استفادت الدولة المملوكية وأمير الحجاز كثيرا من أرباح التجارة ، التي كانوا يجنونها من ميناء جدة إضافة الى موانئ أخرى ذات أهمية مثل ميناء رابغ ، وهي قرية صغيرة بينها وبين البحر مسافة بسيطة بها صهاريج غذية المياه ، ويزرع في أرضها بعض الحبوب والخضروات والحشائش . (١)

وتقع في الوسط تقريبا بين ميناء جدة وميناء ينبع وقريبه من ميناء الجبار المعروف قديما ، وبالإضافة لاهتمام الماليك بالطريق البحري عبر البحر الأحمر ، لما كان يدر عليهم من أرباح ، نجدهم أيضا يهتدون بطرق القوافل التي كانت تخترق الحجاز ، والتي كانت تمر برابغ . (٢)

فلقد كانت رابغ تمثل مجمع مواصلات يجمع ثلاث طرق قديمة أحدهما يتجه نحو الجنوب ويتفرع الى فرعين ، فرع يتجه الى مكة المكرمة ، والآخر الى جدة ، والثاني يتجه الى الشرق ويسمى بالطريق الفرعي ، ويتجه الى المدينة المنورة ، والثالث يتجه الى الشمال ويسمى بطريق الفاير ويتجه أيضا الى المدينة المنورة ومنه يتفرع طريق آخر الى ينبع . (٣)

ويتضح أن أهمية رابغ لا تعود لكونها من الموانئ على البحر الأحمر فقط ، إنما أيضا لكونها ملتقى طرق برية تجارية ، بالإضافة لكونها تمثل الميقات الديني لحجاج مصر وشمال أفريقيا القادمين في السفن التي تستطيع دخول هذا الميناء ،

(١) الرشيدى ، أحمد : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ،

تحقيق د . ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي بمصر ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٤٥ .

— الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١١ .

(٢) دسوقي ، محمد : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، ص ٤٠٩ .

(٣) الرويش ، محمد : الموانئ السعودية ، ص ٤٢٥ .

ثم ينزلون بها ويستقلون القوافل الى مكة المكرمة ^(١) مع غيرهم من الحجاج القادمين عن طريق البر مروراً ببلدة الجحفة التي كانت المقاتل للاحرام ^(٢) وهي تبعد عن رابع حوالى ستة عشر كيلومتراً الى الجنوب منها ، ولقد حافظت الدولة المملوكية على هيبتها على طول سواحل الحجاز ، لما كانت لها من قيمة تجارية بحرية أو برية ، بالإضافة الى محافظتها على طرق قوافل الحجيج القادمة من مختلف بلدان العالم الاسلامى .

د - ينبع :

لقد برزت أهمية ينبع عند ما تحولت اليها السفن من ميناء الجار ، وذلك فى العصر الأيوبي من القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ^(٣) ، وهى تعتبر محطة للحجاج السائرين بطريق البر وميناء يرسل سلاطين المماليك من مصر اليه السفن التى تحمل ما يحتاج اليه الحجاج ^(٤) .

وهى من الموانى التى أسهمت فى تجارة البحر الأحمر فى هذه الفترة وهو ميناء كبير ترد اليه السفن بالغالل كل سنة ^(٥) ، وتقدر قيمة تجارته كل عام بحوالى ٣٠٠٠ دينار ، وله أمير يتبع السلطان المملوكى فى مصر ، وأحياناً يفوض أمير الحجاز بتعيين أمير من قبله ^(٦) ، والملاحظ انها فى معظم الاحيان تابعة لحاكم مكة المكرمة أو أحد اقاربه .

-
- (١) البريشى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٤٣٢ .
 - (٢) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٥١ .
 - (٣) البريشى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٢٩٨ .
 - (٤) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨٩ .
 - (٥) أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٨٨ ، .
 - الحميرى ، محمد : الروض المعطار ، ص ٦٢١ .
 - الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤٤٨ .
 - (٦) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .
 - الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٣١ .

وكانت ينبع تستقبل الكثير من السفن التي تحمل الرجال والزاد للمدينة المنورة ، وما يحتاج اليه أمراء الحج ، فكانت محطة بحرية وهرية ضمن مجموعة محطات الطريق البرى البحرى ، الذى كان يربط تجارة الشرق الأقصى بمصر وأوروبا . (١)

وكان فى ينبع قلعة كبيرة بها المدافع والعسكر لحمايتها من السلب والنهب ، وقد يرجع تحصين ينبع الى خوف الماليك من أن يفكر البرتغاليون بعد غزوهم لجنوب العالم الاسلامى من النزول بها لتنفيذ أهدافهم العدوانية ضد الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة . (٢)

حيث أمر السلطان الفورى ببناء سور من جهة البحر على ساحل ينبع ، (٣) ووضع بها الامير المملوكى حسين الكردي منذ بداية الغزو الصليبي البرتغالى لبحار جنوب العالم الاسلامى بعض الوحدات من القوات المملوكية خوفا من نزول البرتغاليين بها . (٤)

وكانت ينبع فى ذلك الوقت تابعة لحاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات ، وبها شراعاتها من قبله الشريف يحيى بن سبع الذى تولى سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، (٥) بعد الشريف دراج الذى كان على قدر كبير من العقل والعدل ، وكان له موقف مشرف تجاه أمير المدينة المنورة الشريف حسن بن الزبير من آل نعيم ، الذى تجسراً

(١) الفاروق ، عمر : المدينة المنورة ، ص ٣٩ .

(٢) الرشيدى ، أحمد : حسن الصفا ، ص ٤٤ .

— الماوى ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٨١ .

(٣) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٩٥ .

(٤) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

(٥) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٨ .

باقتحام المسجد النبوي الشريف ، وأخذ ما في الحجرة النبوية من التحف والنفائس كما ذكرنا سابقا ، فعند ما علم بذلك الشريف دراج سار من فوره الى المدينة المنورة ، لحفظ الأمن حتى أتته المساعدات من شريف مكة محمد بن بركات .^(١)

وحينما قامت الفتنة والصراع بين أبناء الشريف محمد بن بركات على تولي الامارة في الحجاز ، حيث قاوم الشريف أحمد الجازاني أخاه الشريف بركات بعد موت أخيهما الشريف هزاع ، ولقى سائدة من بعض القوى في الحجاز مثل أمير خليص مالك روى ، وأمير ينبع الشريف يحيى بن سبع وغيرهم من الذين أثاروا الذعر والرعب داخل مكة المكرمة والحجاز عامة ، الى أن انتهى الأمر بقتل الشريف أحمد الجازاني ، واستيلاء الشريف بركات بن محمد على سلطة الحجاز من أخيه حمضه ، الذي تولى بعد وفاة أخيه الشريف أحمد ، إلا أن أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع استمر في عصيانه للشريف بركات بن محمد ، وأخذ يقطع طريق الحجاج ، ويقوم بنهب المدن ، مما اضطر السلطان قانصوه الغوري أن يبعث بحملة عسكرية سنة ٩١٢ هـ / ١٥١٥ م ، بقيادة الأمير خاير بك الكاشف ،^(٢) لمواجهة العصيان ضد الشريف بركات ، حيث أن الوقت لم يكن يسمح بمثل تلك الأمور ، لما كانت تواجهه الدولة المملوكية من التهديدات الصليبية ضد مكة المكرمة والمدينة المنورة على أيدي قراصنة البرتغال ، ولعل عصيان الشريف يحيى بن سبع يعود أصلا لعزلة من جهة السلطان المملوكي قانصوه الغوري ، وتولية هجار بن دراج امرئ ينبع ، ما جعله يثور ضد أمير الحجاز الشريف بركات ، وضد الدولة المملوكية ذاتها .^(٣)

(١) الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٥١ .

(٢) ابن قهذه ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ١٨٨ .

(٣) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٣ .

هذا وقد تلت حملة الأمير خاير بك الكاشف حملة الأمير حسين الكردي الذي كان الهدف من حملته في المقام الأول مهاجمة البرتغاليين ، وتحصين مدينة جدة ، بالإضافة الى وضع بعض القوات في ينبع للدفاع عنها في حالة هجوم البرتغاليين عليها وكان الغرض الثاني من حملته مهاجمة المتوردين على امرة الشريف بركات بن محمد ، والقضاء عليهم لما سببوه من اضطرابات في الحجاز للأغراض الشخصية ، كل هذه الأمور اضافة الى الغزو البرتغالي للمحيط الهندي ، أدى الى تقليل قيمة الموانئ الحجازية من الناحية التجارية في البحر الأحمر ،^(١) وبخاصة بعد أن استطاع قراصنة البرتغال أن يجبروا السفن التجارية على أن تسير عبر طريق رأس الرجاء الصالح الى أوروبا ، بدلا من المرور في البحر الأحمر أو من الخليج العربي عبر الأراضي الاسلامية ، بهدف القضاء على قوة المسلمين الاقتصادية ، بعد أن عجزوا عن احتلال جنوب العالم الاسلامي بالقوة العسكرية ، والاستيلاء على مكة والديانة وبيت المقدس من أيدي المسلمين .

وان كانت أهمية موانئ الحجاز قد تضررت بعض الشيء تجاريا بعد الفزو
البرتغالى لبحار جنوب العالم الاسلامى ، الا أنها احتفظت بمكانتها كموانئ تجارية
و دينية لاستقبالها للحجاج القادمين لأداء فريضة الحج عبر البحر الأحمر ، وخاصة
بعد أن استاع العثمانيون بعد المالك اغلاق البحر الأحمر فى وجه الفـــــــرــــاء
البرتغاليين .

(١) الأنصاري ، عبد القدوس : تاريخ مدينة جدة ، ص ٦٩ .

٣ - المنتجات الحجازية :

ليس صحيحا ما يقال أن الجزيرة العربية حتى القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى شبه مجهولة ، أو أنها قليلة العطاء الاقتصادى والتجارى ، (١) وذلك لأن مكة المكرمة والحجاز بصفة عامة وهوجزء من الجزيرة العربية ، مـسـن المناطق التى تهوى اليها أفئدة المسلمين من شتى بقاع العالم الاسلامى ، وخاصة فى موسم الحج المتكرر كل عام لأداء فريضة الحج ، وزيارة المسجد النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، ولذلك فهى أكثر البلاد نعما لكثرة الثـمـار والتجارة الواردة اليها ، فيباع فيها كل ما تهوى أنفس الناس اليه ، سواء من المواد الغذائية أو الحلى أو أنواع العطور والقماش وغير ذلك من أنواع البضائع ، ومـن المنتجات الحجازية الغذائية فى ذلك الوقت ، الفواكه الطازجة التى تجلب اليها من مدينة الطائف ، وكذلك من وادى نخلعوم الظهران ، (٢) المعروف حاليا بسـوـادى فاطمة ، والطائف التى تعتبر مزرعة تمد أهل مكة المكرمة بالثمار. ولحسن مناخه ووفرة المياه به أطلق عليه بعض الجغرافيين والرحالة ، الطائف بلاد الحجاز السعيدة كما هو اليمن السعيد . (٣)

(١) الصياد ، محمد : الرحالة الأجانب فى الجزيرة العربية ، ص ٤٤ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ .

— ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٢ .

— القلقسندى ، أحمد : صبح الاعشى فى صناعة انشاء ، ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٣) ابن حوقل ، أبى القاسم : صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٣٩ .

— أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٩٤ .

— القنابى ، مناحى ضاوى حمود : تاريخ الطائف قديما وحديثا . =

كذلك في النباتات التي اشتهرت بها الحجاز نبات البيلسان^(١) وهو من النباتات الطبية التي نالت شهرة واسعة في عالم العصور الوسطى^(٢) واشتهرت مكة المكرمة ايضا بتوفر نبات المن الذي يستخدم كنبات طبي^(٣) ونبات السنسلا المعروف باسم سنا مكة وهو من النباتات الطبية وهو نبات حجازي أفضله المكى^(٤) وغيرها من النباتات ، وايضا السواك المستخرج من شجر السواك المنتشر بالحجاز والذي حث الرسول على استعماله حيث قال الامام البخارى في صحيحه حدثنا عثمان قال : حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن حذيفة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاهه بالسواك^(٥) وهو مفيد طبييا ويستخدم في نظافة الأسنان ، وقتل الجراثيم ، والتمور الجيدة ، وجلود الدباغة الحيوانية ، واشتهرت مكة المكرمة أيضا بمنتجاتها الرعوية من لحوم وأغنام لجودة

= مطبوعات نادى الطائف الادبي ، ص ٣٣ .

— باقاسى ، عائشة : بلاد الحجاز في العصر الايوبي ، ص ١٠١ .

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٥٣٠ .

(٢) الحسن ، سعاد ابراهيم بن محمد : النشاط التجارى في مكة المكرمة

في العصر المملوكى ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م ، رسالة ماجستير ،

جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٥) البخارى ، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل ، : صحيح البخارى ،

الطبعة الاولى ———— ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ضبطه

وشرح ألقابه د . مصطفى ديب ، دار القيم ، بيروت . حديث رقم

٢٤٢ ، ص ١٩٦ .

مراعيها وطيب منتجاتها^(١) ولكن ضعف المردود الانتاجي للفلاحة والرعى ، أدى الى اشتغال قسم من أهالى الحجاز بالتجارة^(٢) ، وصيد البحر بالزوارق ، وزاولوا أعمالا موسمية فى موسم الحج ، مثل تأدية الخدمات اللازمة للحجاج^(٣) ، — من طوافه وأدله ومزورين وغيرها من الاعمال التى تعد من خدمات الحجاج ، اضافة الى التبادل الاقتصادى بطريق البيع والشراء ، وما شابه ذلك من الاعمال الموسمية ولقد ذكر لنا ابن جبير أن لمكة منتجات ، وأن أهل مكة يبادلون بمنتجاتهم بعض القبائل جهة اليمن بمنتجاتها ، حيث كانت هذه القبائل تجلب الى مكة فى أوقات معينه الحنطة والحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز ، فلا يبيعون منتجاتهم بالدينار ، انما بالأقمشة والحببات والشمل والأمتعة واللحف وما أشبه ذلك ، والتى كان أهل مكة يعدونها لهم^(٤) .

وتعد مكة المكرمة فى موسم الحج من أكبر الاسواق المتنوعة البضائع ، ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب ، فيباع فيها كل النفائس من الجواهر والياقوت والطيب ومن المنتجات الهندية والحبشية والعراقية واليمانية والخرسانية والمغربية^(٥) ، ويذكر أنه كان حول المسجد الحرام بمكة سوقا عظيمة يباع فيها من كل الأصناف^(٦) .

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ .

— ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٢ .

(٢) الماوى ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص

١٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

ثم بعد ذلك يذكر لنا ابن بطوطة أن بعض أبواب المسجد الحرام ، كان يسمى بأصحاب الحرف والصنع ، الذين كان يقع عليهم ، ومن تلك الأبواب باب الخياطين . (١)

ونذكر أن للبزازين والعطارين سوقا كبيرة عند باب بنى شيبة ، وكذلك نذكر أن بين الصفا والمروة سوقا عظيمة يباع فيها الحبوب واللحوم والتمر والسمن والفواكه . (٢)

ولقد اهتم المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد بأهل الصنائع والحرف فنجد ، يترجم لبعض أصحاب الصنع ، مثل أبي بكر عتيق بن بدر بن هلال العمرى نسبة الى عمل العمر ويصنعها وذلك في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، والعمر ما تغطى به المرأة رأسها . (٣)

ويذكر في سنة ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م . كيف كان الخياطين يجتمعون في المسجد الحرام حينما كانت كسوة الكعبة الشريفة تعمل على البيت الحرام . (٤)

ولقد اهتم نجم الدين عمر بن فهد بطوائف صناعات النسيج والبنايين والنجارين فنراه في سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م ، يترجم لمحمد الحريري المصري الذى كان يتولى حرفة بيع الكتب في مكة ، ويذكر ان بمكة سوقا للصاغة وسوقا لبيع الحرير وسوقا للعطارين عند باب النبی عليه أفضل الصلاة والسلام .

(١) القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٨٠ .

— ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

— السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٢٤ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٢٣ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ص ١٦٦ .

وهذا يعطينا صورة واضحة عن المستوى المترف الذى كان يحياه أهل مكة فى ذلك العصر ، ولقد كانت حرفة الصياغة متقدمة لديهم حيث نرى ناظر الحرم بيرم خجا فى سنة ١٨٥١هـ / ١٤٤٢م ، يعتمد على الصاغة من مكة فى طلى بـباب الكعبة وتحليته بالذهب ، وهذا وكانت هناك بعض الحرف الهامة ، كطائفة الخياطين والقباية والخبازين والسماطة والنحاسين والبزازين والأطباء (١) .

وفى أحداث سنة ١٩٢١هـ / ١٥١٥م ، عندما زار حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد سلطان مصر المملوكى الغورى ، تلبية لطلب الغورى الذى أراد تكريم الشريف بركات بن محمد الذى أكرم ولده وزوجته عندما قاما باداء فريضة الحج ، يذكر المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن فهد وصف استقبال الشريف عند عودته لمكة وكيف أن أهل مكة قسموا جماعات لاستقباله وذكر منهم أصحاب حرف مثل اجتماع أهل سوق الليل عند الخياطين ، وأهل سوقه وهى مكان تجارى ، والعطارون (٢) .

وهذا يدل على أن هناك منتجات حجازية تصدر الى خارج الحجاز عن طريق موسم الحج أو غيره من الأوقات عبر القوافل التجارية التى كانت تمر بالحجاز سواء عن طريق البحر أو عن طريق القوافل البرية ، وكان فى مدن الحجاز صناعات متنوعة ومن تلك المدن الطائف التى كان بها صناعة دبع الجلود والأسلحة والعطور وكان طيب الكعبة المشرفة يجلب أساسا من الطائف حتى العصور المتأخرة (٣) .

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٦٥ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٣) القزوينى ، زكريا : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٩٨ .

— القنابى ، مناهى : تاريخ الطائف ، ص ٣٦ .

٤ — الطرق التجارية البرية :

تعتبر مكة المكرمة والحجاز عامة ، مركزا من مراكز التجارة البرية والبحرية الواردة من الشرق ، والتي كانت تأتي إليها بطريق البر من عدن ، والبحر من عدن أو مباشرة من دول المحيط الهندي في ذلك الوقت ، ويعتبر الطريق التجارى البرى المار بها من آمن الطرق ، حيث كانت تحرسه قوات حكومة الحجاز على القبائل القاطنة على تلك الطرق ببذل المعطاء لشيخ القبائل والتأديب تارة أخرى إضافة الى القوة التي كانت ترافق حامل الحجاج التي ترافقها التجارة ، وكانت تنقل عليه السلع التجارية الخفيفة في حين كانت السلع الثقيلة تنقل بواسطة الطريق البحرى عبر موانئ الحجاز ، وكان يصل الى الحجاز سلع مختلفة من الهند والحبشة وشرق أفريقية ، كما كان يصلها أيضا سلع من أوروبا عن طريق مصر والشام ، ويصل مكة المكرمة في مواسم وصول سفن الهند الى عدن مالا يقل عن ٨٠٠٠٠ جمل ، يتوقف وصولها في معظم السنوات في موسم الحج ، وتستمر في سيرها الى دمشق والقاهرة ، وتعود بسلع تلك البلدان والغرب الأوروبى الى عدن ، لتنقل بدورها الى الهند . (١)

والى جانب مكة المكرمة كانت هناك المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ذات أهمية تجارية ، لموقعها على طرق التجارة البرية بين اليمن والشام ومصر ، والتي كانت في نفس الوقت طرقا يسلكها الحجاج القادمون الى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة لاداء فريضة الحج والعمرة والزيارة . (٢)

(١) زكى ، نعيم : طرق التجارة ص ١٣٨ .

— بابكر ، عمر : حزام الأمن العثمانى ص ١٢ .

— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٣٦ .

(٢) الجزيرى ، عيد القادر : دهر الفوائد ، ص ٤٤٠ .

— رجب ، عمر : المدينة المنورة ، ص ٣٩ .

أيضا كانت هناك مدينة الطائف وهي من أهم الممرات التي تمر عبرها القوافل التجارية من جنوب بلاد العرب الى شماله ومن العراق الى اليمن . (١)

وتعتبر الحجاز والجزيرة العربية بصفة عامة ذات أهمية تجارية ، لموقعها التجاري الذي كانت السلع الشرقية تمر به ، اما عن طريق القوافل البرية عبر الأراضي العربية من الجزيرة العربية ومنها الحجاز الى الدول المطلة على البحر المتوسط ،^(٢) لتصدر الى أوروبا ، واما عن طريق البحر الأحمر عبر موانئ الحجاز المطلة عليه ، لتحمل بعد ذلك بحرا الى موانئ مصر ، لتصدر الى أوروبا أيضا ، سوف نقوم بالقاء بعض الضوء على هذه الطرق التجارية البرية المارة بالحجاز ، والتي يذكرها المؤرخون على أنها طرق للحجيج .

واعتبار أن موسم الحج موسما دينيا يجمع بين مختلف أجناس المسلمين ، فانه كان في نفس الوقت موسما تجاريا ، لما كان يقوم به التجار من جلب بضائعهم معهم من البلد ان المختلفة لبيعها في ذلك الموسم ، وسنبدأ بذكر الطريق البري الذي كان يسلكه الحجاج والتجار بين الحجاز واليمن ، والذي يبدأ من تعز ثم البئر فوادى الحناء فيمر بزييد ثم جديدة زبيد فالمعازيه وانشال ثم القحمة وجازان والبياضة فحرض ثم يربحلى بنى يعقوب وترعة بنى حازم ثم الى ملتقى الواديين ثم الحسنة فيلطم من بئر على ومنها الى مكة المكرمة ، وينقسم هذا الطريق الى فرعين ،^(٣)

(١) صقر ، د . نادية حسنى : الطائف في العصر الجاهلي و صدر الاسلام ،

الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جدة ١٩٨١م / ١٤٠١هـ ، ص ٤٦ .

— القشاشي ، مناحي : تاريخ الطائف ، ص ٣٣ .

(٢) المعمرى ، أحمد حمود : عمان وشرقي أفريقيا ، ترجمة محمد أمين عبد الله ،

سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ص ٤٣ .

(٣) الجزيري ، عبد القادر : درر الغوائد ، ص ٤٧٠ .

أحد هما طريق جبلى يبدأ من الشحر على سواحل اليمن الجنوبية ، ويخترق الهضبة اليمنية ماراً بتعز واب وذمار وصنعاء وصعدة ، ومنها إلى مكة المكرمة ، وهناك طريقان ساحليان يمتدان على ساحل البحر الأحمر حتى جيزان ، أحدهما يبدأ من موانئ اليمن إلى جيزان ، والآخر يصل إلى جيزان مخترقاً تهامة ويمر بالمدينة الشامية مثل موزع وحيس وزبيد ومور ، ويلتقى بالطريق الساحلى عند جيزان ، ومن هناك يواصل الطريق امتداده على الساحل إلى جدة ، أو يتجه إلى الداخل حتى مكة المكرمة . (١)

هذا عن الطريق اليمنى الذى تصل منه التجارة القادمة من الشرق إلى الحجاز ، ثم تنقل إلى بلدان العالم الإسلامى فى الشام ومصر ، لتنتقل بدورها من هناك إلى دول أوروبا فى ذلك الوقت ، وخاصة الجمهوريات الإيطالية .

ومن الطرق التى تنقل منها التجارة الشرقية إلى أوروبا والتى تمر بالحجاز الطريق بين مصر والحجاز ، والذى كان يبدأ من مكة إلى القاهرة ويمر بالعديد من المحطات ، ومن تتبع ذلك الطريق بادئى من القاهرة ، نجد أنه يمر بمحطات منها البركة ثم السويس ثم نخل ثم ايلة ثم العقبة ثم حقل ثم مديس ثم مفارة شعيب ثم عيون القصب فالنبيك أو المويلحه ثم الازلم فالوجه ثم أكرى فالحوراء ثم نبط ثم ينبع ثم الدهنا فبدر ثم رابع ثم خليص ثم عسافان ثم بطن مر ، ومنها إلى مكة المكرمة ، وهناك طريق يتفرع من بدر إلى المدينة المنورة ، ماراً بذي حليفة فالمدينة المنورة . (٢)

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العشاقى الأول لليمن ، ص ٤٢ .

— صالح ، محمد أمين : تجارة البحر الأحمر فى عصر الماليك الجراكسة ،

الدار ، العدد الثانى ، للسنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ /

يناير ١٩٨١ م ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٧٣ .

بالإضافة إلى طرق أخرى منها ، الطريق الذى يمر بساحل نهر النيل إلى
قوص بصعيد مصر ، ثم يخترق الصحراء الشرقية حتى ميناء عيذاب المواجه لجسدة ،
ثم يمر بالبحر الأحمر حتى ميناء جدة أو العكس ، حيث يبدأ من ميناء جدة مسارا
بتلك المراحل حتى الوصول إلى القاهرة والطريق البحرى من ميناء السويس إلى كل
من جدة أو ينبع أو رابح (١) أو من جدة وينبع ورابغ إلى ميناء السويس.

(٢)
ولقد كانت كل من بدر ورابغ مناطق تجارية فى طريق الركب المصرى الشامى ،
والذى كان يضم بالإضافة إلى الحجاج التجارى أيضا ، ولقد اعتنت الحكومات التى
تولت السلطنة فى مصر بتأمين الطرق للذهاب والعودة فيها ، فبنو القلاع والحصون ،
لتصبح محطات لراحة القوافل ، ومراكز لتخزين المؤن ، ومن هذه القلاع قلعة

-
- السيوطى الحافظ ، جلال الدين : حسن المحاضرة ، ص ٣١٠ .
 - الجزيرى ، عبد القادر : دُرر الفوائد ، ص ٤٤٩ .
 - السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٣٥ .
 - عبد الرحمن ، عبد الرحيم : الحجازيون فى مصر ، ص ١٤٣ .
 - السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٥٨ .
 - جلال ، أمته حسنى محمد على : طرق الحج ومرافقة فى الحجاز فى العصر
الملوكى ٩٢٣/٦٤٨ ، رسالة جامعية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ /
١٩٨٧ م . ص ٣٢ .

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٧٣ .
- الشريف ، فريال : مكة المكرمة كما حلت فى كتب الرحالة المسلمين منذ
القرن السادس الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، رسالة
جامعية ، ص ٩٦ .

(٢) التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الاراضى الحجازية ، الإدارة ،
العدد الاول ، السنة الحادية عشر ، شوال ١٤٠٥ هـ / يونيو ١٩٨٥ م ،
ص ٨٨ .

عجروند بين القاهرة والسويس ، وقلعة نخل بين السويس والعقبة ، وقلعة الوجه على البحر الأحمر ، وقلعة المويح ، وقلعة الثور بين جدة والسويس لتستخدم من السفن في البحر الأحمر . (١)

ومن الطرق المهمة التي تربط الحجاز بغيره من البلدان ، الطريق البري الذي يربط بين الحجاز والشام والذي يبدأ من دمشق ثم الصينين قد رعا ومصرى ، فالزرقاء ، وزيزاب والكرك فالحما فمعان ثم العقبة . (٢) وكانت العقبة ملتقى طريق الحج والتجارة بين القادمين من الشام ومصر . (٣)

ثم يسير القادمون من الشام الى الحجاز على نفس محطات الطريق المصري الحجازي ، وكان هناك أيضا الطريق العراقي الى مكة المكرمة ، والذي يبدأ من بغداد ثم صرصر وفراشه وشط النيل والجله ثم بئر سلامة فالكوفه والقادسيه فالعذيب والرحبة وسلي وواقصه فخاديت وزرود ثم أجفر ومرشيت ثم فتن فتخت سليمان وحاج وبهرات وذات عرق ثم وادي نخلة ومنه الى مكة المكرمة . (٤)

ولقد استفاد أمراء الحجاز كثيرا من الطرق التجارية البرية المارة بالحجاز حيث كانت الأموال المتحصلة على البضائع الواردة الى مكة من العراق واليمن برا ، كانت من نصيب أمير مكة المكرمة خاصة ، وعرفت بالمعديني . (٥)

-
- (١) الماوي ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٩٤ .
 (٢) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٥٣ .
 (٣) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٣٦ .
 (٤) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٦٥ .
 (٥) القلقشندي ، أحمد : صبحي الأعشى ، ج ٤ ص ٢٧٦ .
 — المشيقي ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٠ .

ولذلك نجد المؤرخ عبد العزيز ابن فهد يقول في سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م ،
عند ما رسم سلطان الماليك قايتباي أن البضائع الواصلة الى مكة المكرمة من اليمن
تكون بينه وبين الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز مناصفة ، يقول المؤرخ لم
تجرى بذلك عادة من قبل . (١)

ولقد شهدت مكة في ذلك الوقت ازدهارا تجاريا نتيجة قدوم القوافل
الواردة من الشام واليمن ومصر والعراق ، بحيث كانت أسواق مكة المكرمة وجمدها ،
وغيرها من مدن الحجاز تحفل دائما بأنواع البضائع المختلفة ، الى أن حولت
التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح بعد وصول البرتغاليين الى جنسوب
العالم الاسلامي ، مما جعل الطرق التجارية البرية المارة بالحجاز لم تعد ذات أهمية
على مستوى التجارة العالمية . (٢)

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية العرام ، ج ٢ ص ٥٢٢ .

(٢) قلنجي ، قدرى : الخليج العربي ، ص ٣٥٦ .

• — أثر تحول التجارة العالمية عن البحار الإسلامية على الاقتصاد الحجازي :

يعتبر طريق البحر الأحمر التجاري من أكثر الطرق التجارية البحرية أهمية بين الشرق والغرب ، ومن أهم المدن التي خدمت التجارة على هذا الطريق ، الاسكندرية وميروت وحلب على البحر المتوسط ، بالإضافة الى القاهرة ومشرق والسويس والطور وجده وعدن على البحر الأحمر . (١)

ولقد كانت التجارة تنقل من ميناء عيذاب أو القصير أو السويس الى موانئ الحجاز في جده أو ينبع ، أو موانئ اليمن في المخا أو الحديدة ، أو من تلك الموانئ الى القصير وعيذاب (٢) والسويس .

ولقد كانت السفن التجارية تتجه من عدن الى داخل البحر الأحمر ، أو الى شرق إفريقيا ، حاملة البضائع الشرقية لتتقل بعد ذلك الى موانئ البحر المتوسط ، وتصدر الى أوروبا (٣) ولكن وصول البرتغاليين لطريق ينفذ بهم الى بحار جنوب العالم الاسلامي ، يقصد الهجوم الصليبي على مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والوصول بعد ذلك الى بيت المقدس في فلسطين ، والاستيلاء عليه ، جعل الدول الإسلامية في ذلك الوقت تقاوم تلك النوايا البرتغالية وخاصة دولة المماليك والدولة العثمانية ، مما جعل البرتغاليين يفكرون في استغلال الطريق البحري الذي وصلوا منه الى جنوب العالم الاسلامي ، بتحويل التجارة التي كانت تمر بأراضي الدولة الإسلامية

(١) زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٨٨ .

(٢) القلقشندي ، أحمد : صبحى الأعشى ، ج ٤ ص ٢٥٨ .

— عبد الرحمن ، عبد الرحيم : الحجازيون في مصر ، ص ١٤٤ .

(٣) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالي في الخليج ، ص ٤١ .

اليه ، ليتسنى لهم بذلك اضعاف العالم الاسلامى اقتصاديا والتالى الاستيلاء عليه حربيا ، ولاشك أن تحول التجارة الشرقية الى هذا الطريق قد أدى الى انهيار اقتصاديات البلدان الاسلامية فى اليمن وصر والتالى الحجاز ، ويدل على هذا أن سفن البندقية كانت لا تجد لديها المال الكافى لشراء التوابل المكسدة فى الاسكندرية سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، وفى سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، لم تجد هذه السفن فى الاسكندرية ما تحمله من التوابل ، وطبيعة الحال فقدت البندقية أهميتها التجارية فى أوروبا . (١)

وفقدت موانى الحجاز وطرقه التجارية البرية أهميتها ، مما أدى الى تدهور اقتصادى فى البلدان الاسلامية ، التى كانت تجنى الكثير من أرباح التجارة الشرقية المارة بأراضيها الى دول أوروبا ، التى تحولت بعد ذلك الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وأصبحت الموانى الحجازية قليلة الأهمية التجارية بعد أن كانت من كبرى الموانى التجارية .

حيث يقول المؤرخ جابر الله محمد بن فهد عن ميناء جدة وتجارته المزدهرة (يجتمع فيها من أطراف العالم والريح الشكور والمتجر المعمور من ديار مصر والفرب والهند واليمن والمعجم خصوصا من قيام موسم الهندى) . (٢)

وفى الحقيقة أن كثرت الضرائب التى فرضتها الدولة المملوكية على التجارة الواردة من الهند وجنوب شرق آسيا والشرق الاقصى الى الموانى المملوكية وفى الموانى الحجازية كانت عاملا ساعدا فى تحول تجارة الشرق الاقصى الى طريق رأس الرجاء

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٥٥ .

(٢) ابن فهد ، محمد : رسالة فى فضل جدة وشئ من خبرها ، ص ٢٠٥ .

الصالح ، لما وصلت اليه أسعار السلع الشرقية في الأسواق الأوربية من أسعار خيالية لا تطاق ذلك الضغط على التجار بتحويل سربضائهم الى ذلك الطريق مما أدى الى ضعف الموانئ الحجازية ومنها ميناء جدة ، حيث يقول المؤرخ ابنن اياس ان القائد المملوكي في جدة حسين الكردي كان يأخذ العشر من تجار الهند مثل عشرة أمثال فامتعت التجار من دخول بندر جدة وآل امرة الى الخراب. (١) إضافة الى الضغط البرتغالي المؤيد من بلاد اوربا .

ولكن الموانئ الحجازية لم تفقد اهميتها من كونها تستقبل الحجيج القادمين الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام .

(١) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٥ ص ٩٠ .

٦ — الصراع الصفوي المملوكي العثماني وأثره على الاقتصاد العجazy :

تعتبر الدولة العثمانية منذ نشأتها على يد عثمان بن أرطغرل ، من كبرى الدول الإسلامية التي خاضت الكثير من المعارك ، وحقت الكثير من الفتوح الإسلامية في القارة الأوروبية وغيرها من المناطق ، بهدف نشر الدين الإسلامي الحنيف ومحاربة أعدائه ، مع احتفاظ تلك الدولة ببعض العلاقات الحسنة مع جيرانها من الدول الإسلامية ، والتي لم تخلوا في بعض الأحيان من بعض المنازعات والخصومات والمعارك على منطقة الحدود فيما بينها وبين تلك الدول والامارات فلقد هاجم السلطان العثماني بايزيد الأول قيصريه سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م ، وكانت تحت الحماية المملوكية ، وعند ما أحس بالخطر المغولي ورأى أن يتحد مع الدولة المملوكية ضده ، بعث معندرا للسلطان المملوكي برقوق فقبل اعتذاره ، وفي سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م بعث بايزيد الأول الى برقوق يحذره من تحرك المغول بزعامته تيمورلنك ، وهذا يدل على التعاون الذي كان قائما بين الدولتين العثمانيـة والمملوكية في ذلك الوقت . (١)

ومما يدل على هذا التعاون ما قام به الخليفة المباسي في القاهرة المتوكل على الله حينما بعث تقليدا للسلطان العثماني بايزيد الأول سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م بناء على طلب من بايزيد الأول ، لكي يعطى دولته صبغة اسلامية معتددة (٢) ، ولكن

(١) متولى ، أحمد فؤاد : الفتح العثماني للشام ومصر وقد مات من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، ص ٤٠ .

— على ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .

(يقول المؤلف ، بعث بايزيد الأول الى السلطان المملوكي برقوق يحذره

من تيمورلنك سنة ٧٩٧ - وليس سنة ٧٨٦) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

— متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤٠ .

— لويس ، برنارد : استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ، ص ٣٠ .

العلاقات بين الد ولتين العثمانية والمملوكية توترت مرة أخرى في سنة ٨٠١ هـ / ١٤٠٠ م عند ما قام بايزيد الأول بالاستيلاء على ملطيه ، وكانت تابعة للسيطرة المملوكية — مما جعل السلطان المملوكي فرج يرفض أن يتحالف معه بعد ذلك ضد المغول ، مما مكن تيمورلنك من مهاجمة الد ولتين العثمانية والمملوكية ، وانزال الهزيمة بالمعاليك سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م وبالعثمانيين سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م . (١)

وظلت العلاقات العثمانية المملوكية بعد ذلك تربفترات من الهدوء والتوتر ففي عهد السلطان المملوكي المؤيد سيف الدين شيخ الممهورى مرت العلاقات بين الد ولتين بفترة من الهدوء ، حيث بعث السلطان العثماني محمد الأول يهنئ السلطان المملوكي بتوليته ادارة شؤون الدولة المملوكية . (٢)

واستمرت العلاقات الحسنة بين الد ولتين كذلك في عهد السلطان المملوكي برسباى ، الذى كانت علاقاته حسنة بالسلطان العثماني مراد الثانى ، لخوف الد ولتين من عدوة شاه رخ بن تيمورلنك لكل منهما ، حيث نجد مراد الثانى يبعث الى برسباى مهنا بانتصاره فى قبرص . (٣)

(١) المجامى ، محمد فريد : تاريخ الدولة الملية ، ص ١٤٦ .

— متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤ .

(٢) متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤ .

— على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المعاليك ، ص ١٦٢ .

وفي أول عهد السلطان العثماني محمد الثاني الفاتح كانت علاقاته بالعماليك حسنة ، فلقد بعث سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م للسلطان المملوكي اينال يبشره بالنصر الاسلامي الذي حققه بفتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، حيث بعث أيضا لبقية حكام المسلمين في ذلك الوقت . (١)

ولكن هذه العلاقات اضطربت بعد ذلك نتيجة لتدخل السلطان العثماني محمد الثاني في شؤون بعض الامارات الواقعة على الحدود فيما بين الدولتين العثمانية والمملوكية والتي كانت موالية للدولة المملوكية . (٢)

بعد أن استطاع تصفية الكثير من الامارات الاناضولية ، حيث ضم السـيـد ولته امارات كرمان وايدىن وهنتشا وطرايزون وسينوب . (٣)

- (١) آصاف ، عزتلو : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٦ .
 — على ، ابراهيم ، مصر في عصر دولة العماليك ، ص ١٦٢ .
 (٢) سرهنك ، اسماعيل : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر المحمية ، سنة ١٣١٢هـ ، ج ١ ص ٥٢٨ .
 — متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤ .
 — على ، ابراهيم : مصر في عصر دولة العماليك ، ص ١٦٢ .
 — دراج ، أحمد : جم السلطان ، ص ٢٠٣ .
 — عبد التواب ، عبد الرحمن : قايتباى المحمودى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٨م ، ص ١٣٩ .
 — زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٢٢٠ .
 (٣) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٦٩ .
 — دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

ولم يبق أمامه سوى بعض الامارات ومنها اماره قرمان و اماره ذى القادر
 الخاضعتين اسميا للدولة المملوكية .^(١) انظر ملحق رقم (١٠) عبارة عن خارطة
 توضح موقع الامارات الواقعة على الحدود فيما بين الدولتين العثمانية والمملوكية .
 ولقد أسس اماره ذى القادر زين الدين قراجا فى منتصف القرن الثامن
 الهجرى الرابع عشر الميلادى ، وكان الأمير عليها سنة ٨٥٢هـ / ١٤٥٣م الأمير
 سليمان بك قراجا ، الذى كان بينه وبين الدولة العثمانية مصاهرة ، حيث كان
 السلطان محمد الثانى متزوجا أخوته ، أما اماره قرمان أوغلو فتنسب الى زعيمها
 قرمان ، وكان الأمير ابراهيم حفيد علاء الدين قرمان هو الأمير عليها سنة ٨٥٢هـ /
 ١٤٥٣ م .^(٢)

هذا بالإضافة الى امارتين قويتين بأعلى العراق وقارس هما ، اماره الشاه
 البيضاء وتسمى الاق قيونلو ، والشاه السوداء ، وتسمى القره قيونلو ، وهما قبيلتين
 تركمانيتين ، وكان يرأس الشاه البيضاء التى كانت تنزل ديار بكر سنة ٨٥٢هـ / ١٤٥٣م
 جبهانكير ابن الأمير على بك ، الذى استطاع أخوه أوزون حسن اغتصاب الحكم منه
 فى تلك الامارة ، ويعتبر أوزون حسن من أقوى خلفاء تيمورلنك المعادى فى كشمير
 من الأحيان للدولتين العثمانية والمملوكية .^(٣)

(١) دراج ، أحمد : حج سلطان ، ص ٢٠٤ .

— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

— متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .

— على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .

— محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ١٣٩ .

— المحامى ، محمد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٧٢ .

(٢) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

(٣) المحامى ، محمد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٧٢ .

— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

أما قبيلة الشاه السوداء جنوب بحيرة وأن ، فكان الأمير عليها سنة ٨٥٢هـ / ١٤٥٣م جهان شاه ، وقد آلت أملاك هذه القبيلة للأمير أوزون حسن بعد أن استطاع الاستيلاء عليها سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م .^(١)

ولقد تدخل السلطان العثماني محمد الثاني في شئون إمارة قرمان بحجة حماية حقوق أبناء عمته ، وذلك عندما توفي أمير قرمان ابراهيم بك سنة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م والذي دفعته كراهيته للعثمانيين الى حرمان أولاده من زوجته الأميره نفيسه عمه محمد الثاني من حقهم في تولي الإمارة ، وفضل عليهم ابنه اسحق بك ، الذي فر بقية أخوته الى استنبول يطلبون المساعدة من السلطان العثماني ، فقام السلطان محمد الثاني سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م بالاغارة على قرمان وهزم أميرها اسحق بك ،^(٢) مما أغضب الدولة المملوكية ، وفي الحقيقة لم يكن سبب هجوم العثمانيين على إمارة قرمان هو وضع أمير موال للدولة العثمانية عليها فقط ، فهناك سبب آخر هو ما كان يقوم به القرمانيون من طعن العثمانيين من الخلف أثناء محاربتهم للدولة الأوروبية ، فلقد حث البابا كالكتس الثالث ريبوس الثاني ، وكذلك البنادقة أمير قرمان ابراهيم بك في الاشتراك معهم في حروبهم الصليبية ضد العثمانيين ، وأطلقوا على ابراهيم بك لقب قومان الكبير ،^(٣) وحينما لم تقدم الدولة المملوكية المساعدة للأمير قرمان

(١) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

(٢) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٧٢ .

— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

— دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

— على ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .

— متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤ .

(٣) دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

اسحق بك زمن سلطانها خشقدم ، التجاء لأمير قبيلة الشاه البيضاء أوزون حسن ،
الذى رأى فى مساعدته للأمير اسحق بك فرصة للعمل على زيادة رقعة امارته على
حساب العثمانيين والماليك . (١)

أما اماره دلفادار فلقد تدخل السلطان محمد الثانى فى شئونها عند ما
شب النزاع بين أمرائها على الامارة ، فناصر السلطان محمد الثانى شاه سوار على
أخيه بوراق الذى كانت تناصره الدولة المملوكية ، ولقد استطاع الأمير شاه سوار
بمساعدة العثمانيين الاستيلاء على اماره دلفادار ، ومن ثم أخذ يهاجم أطراف
الدولة المملوكية . (٢)

ونتيجة لهذا التدخل العثمانى فى شئون امارتى دلفادار وقرمان ، بالإضافة
الى أمور أخرى منها مناصرة الدولة المملوكية لجم ابن محمد الثانى الذى نازع أخيه
بايزيد الثانى السلطة فى الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان محمد الثانى ،
والذى حينما لم يستطع الانتصار على أخيه بايزيد الثانى التجأ الى السلطان
المملوكى قايتباى ، الذى حاول الاصلاح بين الأخوين على أساس تقسيم السلطة
بينهما فى الدولة العثمانية ، الا أن السلطان بايزيد الثانى لم يوافق على ذلك ،
فأخذ السلطان قايتباى يمد جم بالمال والجند لحرب أخيه ، ولكن جم لم يستطع
احرار نصر على أخيه بايزيد الثانى ، فالتجأ الى فرسان الاسبتارية بجزيرة رودس ،
سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٨٢ م بقصد العبور منها الى أوروبا لاعداد جيشا لمحاربة أخيه
بمساعدة أخواله المجرىين . (٣)

(١) نراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

(٢) محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ١٣٩ .

(٣) البكرى الصديقى ، محمد بن محمد : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية . =

ومن تلك الأمور أيضا ، رفض السلطان المملوكى قايتباى السماح لبايزيد
الثانى اصلاح بعض القنوات بمكة المكرمة . (١)

ولعل ذلك يرجع لخوفه من نشر النفوذ العثمانى فى الحجاز الذى كان
حكامه يرتبطون بعلاقات حسنة مع العثمانيين ، ومن تلك الأمور تهان السلطان
المملوكى قايتباى فى أمر هديه مرسله من بعض أمراء الهند الى السلطان بايزيد
الثانى ، ان استولى عليها نائب السلطنة المملوكية فى جده ، وبعث بها السلطان
قايتباى فى مصر . (٢)

== مخطوط ، ص ١٢ .

— ابن طولون ، شمس الدين محمد : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ
مصر والشام) حققه وكتب له المقدمة والحواشى والهارس محمد مصطفى
وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي
وشركاه ج . م . ع ، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ، ج ٢ ص ٤٧ .
— ايكاريوس ، يوحنا أفندى : قطف الزهور فى تاريخ الدهور ، الطبعة الثانية ،
بيروت ، سنة ١٨٨٥ ، ص ٢٦١ .
(أشار الى حرب بايزيد الثانى مع المماليك سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م ، ولم
يذكر الخصومة التى قامت بين جم وبايزيد الثانى على السلطة وأنها
السبب فى تلك الحرب) .

- دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢١٣ .
- متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .
- المعامى ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٠ .
- (١) على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

ولعل من أهم هذه الأسباب التي أدت إلى العداء الذى قام به—— بين
الدولتين العثمانية والمملوكية ، هو التدخل العثماني في شئون الامارات السنية
كانت تخضع اسميا لحكم الماليك ، ومناصرة السلطان قايتباي لجم بن محمد الثاني
ضد أخيه السلطان بايزيد الثاني ، ولقد حاول الخليفة العباسي في القاهرة المتوكل
سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م أن يقوم بدور الوساطة في اصلاح ما قسد في العلاقات بين
الدولتين ، فبعث برسالة الى السلطان العثماني لتهدئة العداء ، كما أرسل تقليدا
للسلطان بايزيد الثاني بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحه الله على
يده من البلاد غير الاسلامية . (١)

اضافة الى أن السلطان العثماني بايزيد بن محمد الفاتح قام بإداء فريضة
الحج سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٨٢ م ، وهي السنة التي تولى فيها حكم الدولة العثمانية
ما جعل علاقته بحاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات تتسم بالود والصفاء ، بالاضافة
الى ارتباطه بعلاقات حسنة مع حكومة الحجاز فأخذت الوفود فيما بينهما فمنها الوفد
الحجاز الذي ترأسه خطيب الحرم على محيى الدين عبد القادر الطبري الذي لقي
اكراما عظيما ثم ذهب شاعر البطحاء الذي احسن وفادته السلطان . (٢) ما جعل
الدولة المملوكية تخشى على علاقتها بالحجاز من التطور في العلاقات العثمانية ،

(١) على ، ابراهيم : مصرفي عصر دولة الماليك ، ص ١٦٢ .

— محمود ، عبد الرحمن : قايتباي ، ص ٢١ .

— على ، ابراهيم : مصرفي عصر دولة الماليك ، ص ٦٨ .

— متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤ .

— اليمنى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .

(٢) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

الحجازية فأخذ تكيل العداء للدولة العثمانية حيث صادف كل تلك الأمور التي حدثت بين الدولتين العثمانية والمملوكية ، ظهور الشاه اسماعيل الصفوى فى فارس سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م والذي كان والده حيدر متزوجا من ابنة يعقوب بن أوزون حسن ، الذى كان متوليا أمره قبيلة الشاه البيضاء فى ذلك الوقت . (١)

وكان والد حيدر يدعى جنيد ، من المشايخ ببلاد فارس ، وله الكثير من الأتباع والمؤيدين ، فخشى منه زعيم قبيلة الشاه السوداء جهان شاه على امارته فطرده منها ، فتوجه جنيد الى ديار بكر وهى تتبع قبيلة الشاه البيضاء وزعيمها حينئذ عثمان بك بن قتلن بك جد أوزون حسن ، فلما التجأ جنيد لقبيلة الشاه البيضاء صاهره أوزون حسن وزوجة ابنته التى ولدت له ابنة حيدر والد اسماعيل ، ثم بعد أن زالت اماره الشاه السوداء على يد أوزون حسن ، عاد جنيد الى موطنه أربيل والتي كانت تحت اماره الشاه السوداء ، وحينما توفي أوزون حسن وتولى اماره الشاه البيضاء ابنه يعقوب ، زوج ابنته من حيدر بن جنيد فولدت الشاه اسماعيل الصفوى . (٢)

هذا ولقد قتل جنيد سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م فى احدى المعارك التى كانت بينه وبين الامارات المجاورة ، فتولى مكانه ابنه حيدر ، الذى أخذ يجمع الجموع والأعوان من حوله فبعث شروان شاه أمير شروان الى الأمير يعقوب بن أوزون حسن يخبره بالتحالف الناس حول حيدر ، فبعث الأمير يعقوب الى حيدر ينضمه من أن يجمع الجموع من حوله ، فأبى أن يطيع أمر الأمير يعقوب ، عند ذلك اتفق الأمير يعقوب مع أمير شروان على قتال حيدر ، وتمكن من أسر ابنه اسماعيل ، فلما توفى

(١) الشيللى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

الأمير يعقوب سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م حدث نزاع بين أبنائه على الإمارة ، مما مكّن أبنائهم حيدر ومنهم اسماعيل على الهروب ^(١) والاختفاء .

ولقد اختبأ اسماعيل في بيت رجل يسمى نجم زركر في بلاد لاهجان الكثيرة الغرو الضالة ، وفي فترة اختبائه اسماعيل هذه تعلم مذهب الرقض ^(٢) ، في حين كان أبوه على مذهب أتباع السنة ، وخرج اسماعيل من لاهجان سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م ، بعد التفاف أتباع أبيه حوله ، واستطاع هزيمة إمارة شروان التي قاتلت والده ، ثم قاتل مراد بيك بن يعقوب أمير الشاه البيضاء فهزّمه ، واستمر في هجماته حتى استطاع الاستيلاء على تبريز واذريجان وغاند والمراقين ^(٣) .

ومما سبق ذكره يتضح أن لامارة الشاه البيضاء دورا كبيرا في المساعدة على حماية الصفويين في الفترة التي صاحبت ظهور مبادئ الرافضية ، الشيعة (الاثناعشرية) في فارس ، فلذلك خاض العثمانيون ضد الشاه اسماعيل الصفوي الحرب ، لما قام به من نشر للمذهب الشيعي ^(٤) ، وأظهر الرقض في بلاد فارس وغيرها من المناطق ، ووضع التاج الأحمر على رؤوس عسكره ^(٥) .

-
- (١) الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .
 (٢) الرقض : معناها التشيع على مذهب الاثناعشرية .
 (٣) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
 (٤) الشناوي ، عبد العزيز : الدولة العثمانية ، ج ١ ص ١٨ .
 (٥) الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .
 () يقول أن أول من وضع التاج الأحمر على رؤوس جنده ومعناها اظهار الرقض هو الشيخ حيدر والد اسماعيل الصفوي .
 — البكري ، محمد : المنح الرحمانية ، ص ٢٦ .

وكان لظهور سلالة شيعية قوية في فارس ، وتركزها في المنطقة الغربية قرب الحدود العثمانية ، كان بمثابة اقامة الحواجز بين الدولتين العثمانية والصفوية وهي حواجز العقيدة والخوف من الأطماع السياسية وكان كل من السلطان العثماني والشاه الصفوي في نظر الآخر ملحدًا وغاصبا لا يطاق (١) .

فلما تولى زمام الحكم في الدولة العثمانية السلطان سليم الأول ابن بايزيد الثاني نجده يأمر بقتل أخوته حتى لا يكون له منازع في الحكم ، ولكن استطاع أبناؤه أخيه أحمد الفرار ، فالتجأ أحدهما وهو الأمير مراد الى بلاد فارس ، والأخسر وهو الأمير علاء الدين الى سلطان مصر المملوكي فأنصوه الفوري ، ولقد أبى كل من سلطان المماليك والشاه الصفوي تسليمهما الى السلطان سليم الأول ، فكان ذلك ، مدعاه للحرب بينه وبينهم (٢) .

وفي الحقيقة لقد كان السلطان العثماني سليم الأول مهتما بتحركات الصفويين قبل أن يتولى السلطنة العثمانية ، لما كانوا يقومون به من نشر للذهب الشيعي ومن نشاط سياسي داخل هضبة الاناضول ، وذلك حينما كان سليم الأول أميراً على طرابزون في عهد أبيه ، فبعث الى والده ينبهه لذلك ، فلم يهتم والده بايزيد الثاني للأمر (٣) .

(١) لويس ، برنارد : استنبول وحضارة الامبراطورية ، ص ٣٩ .

(٢) المحاسي ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٨ .

— سرهنك ، اسماعيل : حقائق الأخبار ، ص ٥٢٥ .

— أفندي ، يوحنا : قطف الزهور ، ص ٢٦٢ .

(٣) فؤاد ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٨٩ .

ولقد سعى الشاه اسماعيل الصفوى لدى حكام الدول المحيط بالدولة العثمانية لتكوين اتحاد ضد الدولة العثمانية ، وساعده في ذلك أنه وجد نفس الرغبة لدى سلطان الماليك قانصوه الغورى في مصر . (١)

وقد يرجع التعاون الذى قام بين كل من الماليك والصفويين ضد الدولة العثمانية الى رغبة الماليك فى الحد من السيطرة العثمانية على طرق تجارة الرقيق التى كانت تطلق رواجاً من ناحية سلاطين الماليك ، والتى استطاع العثمانيون سد الطريق أمام هذه التجارة سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦١م فى عهد السلطان محمد الثانى ، الذى تم له الاستيلاء على الامارات التركمانية فى شمال العراق وأرمينيا مثل إمارة طرابيزون وكرمان ودلفادر ومرعش . (٢)

وحيال ذلك جمع سليم الأول رجال الحرب والوزراء والعلماء فى الدولة العثمانية سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م وذكر لهم أن الجهاد ضد الزنادقة يعنى بهم الشاه اسماعيل ودولته واجب دينى . (٣)

-
- (١) جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٧٦ .
 (٢) حتى ، فليب : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ترجمة د . أنيس مزينة ، دار الثقافة ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م ، ص ٢٢٧ .
 — زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٢٢٠ .
 — اليوزيكى ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٣٠ .
 — الاسكندري ، عمرو أ . ج . سفر : تاريخ مصر الى الفتح العثمانى مع نبذة من أخبار الأمم التى ارتبطت بمصر الى ذلك العهد ، مطبعة المعارف بمصر ، سنة ١٢٣٣ - ١٩١٥ ، ص ٢٦٨ .
 — ماجد ، عبد المنعم : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٢٥ .
 — العرينى ، السيد الباز : الفارس المملوكى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس سنة ١٩٥٦ ، ص ٤٨ .
 (٣) جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٧٨ .

ومن ثم خرج بجيشه قاصداً حرب الصفويين ، ونتيجة للتعاون بين الصفويين
والمماليك بعث السلطان المملوكي قانصوه الغوري الى امرائه في الشام بمنع القوافل
التجارية من الذهاب بالميرة والمؤن الى الجيش العثماني . (١)

ولقد وقعت الحرب بين سليم الأول واسماعيل الصفوي في صحراء جالديران
سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٤ م ، والتي انتهت بهزيمة الشاه اسماعيل الصفوي . (٢)

-
- (١) البكري ، محمد : الفتح الرحمانيه ، ص ١٦ .
— العمري العثماني ، أحمد : ذخيرة الأعلام تاريخ أمراء مصر في الاسلام ،
مخطوط ، ص ١٤٤ .
— البحراوي ، محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٨٦ .
— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٥٢ .
— جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٢٨ .
— زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٣١ (يقول المؤلف أن الغوري لزم
الحياة) .
- (٢) بكري ، حسين بن محمد بن الحسن الديار : تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس ، مؤسسة
شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت ، سنة ١٢٨٣ ، ج ١ ص ٣٩ .
(يقول أن المعركة وقعت سنة ٩٢٠ هـ) .
— يوسف ، عزتو : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ١٥٣ (يقول أن المعركة
وقعت في سنة ٩٢٠ هـ) .
— المحامي ، محمد : الدولة العلية ، ص ١٩٠ .
— جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٢٨ .
— زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٣١ .
— الماوي ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ،
ص ١٨٠ .
— علي ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المماليك . ، ص ١٦٢ .
— دسوقي ، محمد : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، ص ٤١٦ .

ثم بعد ذلك قامت الدولة العثمانية بمهاجمة الدولة المملوكية لأسباب عدة ،
منها كما ذكرنا التحالف الذى قام بينها وبين الدولة الصفوية فى فارس ضد الدولة
العثمانية . (١)

ومن هنا محاولة العثمانيين الوصول الى البرتغاليين فى جنوب العالم
الاسلامى بعد عبورهم لطريق رأس الرجاء الصالح ، لمحاربتهم نتيجة للتحالف
الذى تم بينهم وبين الصفويين ضد الدولة العثمانية ، ذلك التحالف الذى تقوم
فيه البرتغال بمدد الصفويين بالمعونات الحربية والخبراء ، ومدد هزيمة الصفويين
أمام العثمانيين نجد هم يتنازلون للبرتغاليين عن هرمز على أمل قيام البرتغاليين
بتزويد الصفويين بالسفن ، لمد نفوذهم نحو البحرين والقطيف فى الجزيرة العربية . (٢)

وأمام هذا النشاط البرتغالى من الجنوب والصفوى من الشرق وضعف
الدولة المملوكية لم يكن لدى العثمانيين سوى السيطرة على الاراضى المملوكية قبل تمكين
الخطر البرتغالى وللمحافظة على قدسية مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتان استهدف
البرتغاليون فى ما يسمى بكشوفهم الجغرافية غزوها . (٣)

وبخاصة بعد هزيمة الماليك فى موقعة ديو البحرية سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م ،
فرأى سليم الأول مهاجمة الدولة المملوكية ، وكان انتصاره على السلطان قانصوه
الغورى الذى قتل فى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م فى معركة مرج دابق بالشام ، ثم على

(١) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٢ .

— فؤاد ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٧٤ .

(٢) بابكور ، عمر : حزام الأمن ، ص ٦١ .

— صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ١٥٢ .

(٣) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب ، نجد ، ص ١٦٦ .

السلطان طومان باى الذى تولى بعد الفورى فى معركة الريدانية سنة ٩٢٣ هـ /
(١)
١٥١٧ م فى مصر .

- (١) الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائرة ، ج ١ ص ٢٠٨ .
- الحنبلى ، ابن الفلاح : شذرات الذهب ، ج ٨ ص ١٠٢ .
- الشيلى ، محمد : السنا الباهر ، ص ١٩١ .
- ابن ظهيره : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة ، مركز تحقيق التراث ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٥٢ .
- بكرى ، حسين : تاريخ الخميس ، ص ٣٩٠ .
- البكرى ، محمد : المنح الرحمانية ، ص ١٦ .
- السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٦٥ .
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٥٠ .
- الشرقاوى ، عبد الله بن حجازى : تحفة الناظرين فىمن ولى مصر من الولاة والسلاطين على هامش كتاب أخبار الأول فىمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، ص ٢٢١ .
- الاسحاقى المنوفى ، محمد عبد المعطى بن أبى الفتح : أخبار الأول فىمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، سنة ١٢٩٦ ، ص ٢١١ .
- قلعجى ، قدرى : الخليج العربى ، ص ٣٧ .
- يوسف ، عز تلو : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٥٤ .
- الشناوى ، عبد العزيز : الدولة العثمانية ، ج ١ ص ١٩ .
- حتى ، فليب : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٧ .
- البحرأوى ، محمد : فتح العثمانيين ، عدن ، ص ٨٧ .
- طلس ، محمد : عصر الانحار ، ص ٧٦ .
- سعداوى ، نظير حسان : دولة البرين والبحرين ، ص ١٦٢ .
- لويس ، برنارد : استنبول وحضارة الامبراطورية ، ص ٤٠ .
- سليم ، محمد رزق : عصر سلاطين المالك ، ص ٦١ .
- الماوى ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٨٠ .
- عنان ، محمد : مصر الاسلامية ، ص ١٤٧ .

وبهنا من كل ما سبق أثر تلك الحروب التي وقعت بين الدولة المملوكية
والعثمانية والصفوية على الاقتصاد الحجازي وغيره من اقتصاد المناطق الواقعة
تحت السيطرة المملوكية ، فكما ذكرنا استطاعت الدولة العثمانية قفل الطريق أمام
تجارة الرقيق التي كان المماليك يعتمدونها الدعامة الوحيدة التي يركز عليها
السلطان المملوكي ضد الفئات الأخرى من المماليك ، ما زاد في سعر هؤلاء
المماليك في وقت كانت فيه الدولة المملوكية في حاجة ماسة إلى الأموال لمواجهة
ثورات المماليك الجلبان ، بسبب تأخر استلامهم لرواتبهم ، وما تواجهه الدولة
المملوكية من غزو برتغالي استحوذ على معظم تجارة الهند وأرباحها ^(١) ، والتي كان
المماليك يستفيدون منها كثيرا ، ما جعل هؤلاء المماليك يقومون بفرض اتاوات على
الناس في أرزاقهم ووظائفهم وفائض أوقافهم . ^(٢)

واستحدثوا سياسة الاحتكار في الزراعة والتجارة ، لتغطية نفقاتهم
وحملاتهم الحربية ، ما أدى إلى قيام ثورات في مختلف الولايات المملوكية ، نتيجة
لما يلاقه سكانها من اضطهاد مملوكي ، أو لعدم مقدرة الدولة المملوكية على السيطرة
وقمع الحركات الداخلية في بعض الولايات ، نتيجة الصراع على السلطة فيها ، كما
حدث في الحجاز حيث نجد الفوري سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥ م يقوم بإعداد ثلاث
حملات بحرية ، أحدهما لمحاربة البرتغاليين في المحيط الهندي ، والثانية لضرب
المفسدين في ينبع من منطقة الحجاز ، والثالثة إلى الكرك لاختاد الثورات بها . ^(٣)

(١) العريني ، السيد الباز : الفارس المملوكي ، ص ٦٦ .

(٢) سعداوى ، نظير : دولة البرين والبحرين ، ص ١٦٠ .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٦٠ .

هذا بلاضافة الى المكوس والضرائب التى فرضها المعاليك على التجار
والحجاج القادمين الى بلاد الحجاز ، ولقد عبر المؤرخ نجم الدين عرين فهد
عن ذلك الوضع بقوله : (فان المعاد لم تزل من قديم الدهر فى الجاهلية والاسلام
ان الملوك تحمل الأموال الجزيلة الى مكة المكرمة لتفرق على اشرافها ومجاوريهـا
فانعكست الحقائق وصار المال يحمل من مكة ويلزم اشرافها بحمله) (١)

ويقول ابن اياس أن الكردى القائد الملوكي بجده كان يأخذ العشر من
تجار الهند المثل عشره أمثال فامتعت التجار من دخول ميناء جده وآل أمره
للخراب . (٢)

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٣ ص ٦٢١ .

(٢) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٥ ص ٩٠ .

الفصل الرابع

الأوضاع الاجتماعية والعلمية في تلك الفترة

الفصل الرابع

الوضع الاجتماعي والعلمية في تلك الفترة

١ - التركيب الاجتماعي لسكان الحجاز وأثره في العادات والتقاليد الاجتماعية :

تعتبر الحجاز من المناطق التي تتنوع فيها الأجناس المختلفة ، التي كانت تؤلف المجتمع الحجازي في ذلك الوقت ، وبخاصة في أهم مناطقه مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة جدة والطائف . فلقد كان المجتمع المكي في ذلك الوقت يتكون من الأشراف وهم أمراء الحجاز في ذلك الوقت ، وهم من أبناء قتادة بن ادريس الحسني وكانت امرتهم تتراوح بين حكم مكة المكرمة والمناطق التابعة لها وتمتد أحيانا إلى المدينة والمناطق التابعة لها وإلى جيزان جنوبا وإلى تربة وحرّة البقوم شرقا وذلك حسب قوة الشريف الذي يحكم مكة وضعفه ، كذلك من المجتمع الحجازي في ذلك الوقت القواد ، مثل القواد العمرة والحميضة وهم من الموالى ، فالعمرة ينسبون إلى عمر بن أبى مسعود مولى الشريف أبى سعيد بن على بن قتادة أمير مكة المكرمة ، أما القواد الحميضة فينسبون إلى حميضة بن أبى نسي الأول أى مواليه ، ومن القواد أيضا أفراد ولاؤهم لأفراد وليسوا بجماعات مثل سعيد بن جبروه وسعيد البليني وشكر وزير الشريف حسن بن عجلان وديد بن شكر وزير الشريف بركات وبقيّة الأشراف الذين ينسبون إلى فروع أخرى غير فرع الشريف قتادة . ومن ضمن المجتمع الحجازي والمكي فسي ذلك الوقت ، الأجناد وهم جماعة المماليك المقيمين في مكة المكرمة وهم الذين كان السلطان المملوكي يوسلهم لخدمة المصالح المملوكية في الحجاز والمحافظة على تدعيم الحاكم في مكة ، وكان لهم دور كبير في الاضطرابات التي تحدث بالحجاز ، ثم كان هناك العلماء الذين يكونون جزءا من المجتمع في ذلك الوقت ، ولقد كان لهم — ولا العلماء الكثير من التلاميذ الذين تخرجوا على أيديهم ، ولقد كان لهم دورا كبيرا في الحياة العلمية في ذلك الوقت ، وكان هناك التجار أيضا ، الذين كانوا يكونون جزءا من المجتمع الحجازي ، فلقد ازدهرت التجارة في ذلك الوقت بعد تحوّل

تجارة الشرق من ميناء عدن الى ميناء جدة في الحجاز ما أدى الى ظهور طبقة فسي المجتمع المكي والحجازي تهتم بأمور التجارة ، كذلك كان في الحجاز المجاورون الذين كانوا يقضون فترة من حياتهم في المجاورة بحكة أو المدينة المنورة تقريبا لله أو للمجاورة كاملة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة للعبادة وطلب العلم والتعليم ثم الاستقرار ، وضمت طبقة المجاورين جنسيات مختلفة منهم العلماء والتجار (١) .

ومنهم أيضا من تخلف في فترة الحج والعمرة لقلعة مابيد من أموال تساعد في العودة أو لطلب الرزق في الأماكن المقدسة وعلى مر القرون ازداد الفرياء الوافدون زيادة كبيرة وقل عدد أهلها الأصليين . بالنسبة الى الوافدين والمقيمين فيها (٢) .

كذلك كانت هناك طبقة الطواشية (أغوات الحرمين) الذين يقومون بخدمة الحرمين الشريفين ، وأول من استخدمهم لذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي (٣) .

هذا بالإضافة الى سكان مكة المكرمة الأصليين ، وهم قلة من بطون قريش التي بقيت بمكة المكرمة (٤) .

وبالإضافة الى أهل الجهات الموالية لمكة مثل قبائل بجيلة وزهران وغامد وبالحارث وحرب وعتيبة وثقيف وبنو سليم وجهينة وهذيل وكنانة وغيرهم من القبائل الحجازية .

وكثرت في المدينة المنورة الجنسيات الاسلامية المتنوعة سواء من داخل

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٥٢ .

(٢) السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .

(٣) باقاسي ، عائشة : بلاد الحجاز في العصر الايوبي ، ص ١١٢ .

(٤) ان عادة الخصاء معروفة وشائعة في كثير من البلاد التي فتحها المسلمون في عهد الفتوح الاسلامية والشرعية الاسلامية لا تقر مبدأ الخصاء الا للضرورة .

(٥) السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٤ .

— السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج٢ ص ٣٢٣ .

الحجاز أو من خارجه فى حين كان سكانها من الأوس والخزرج قلة . (١)

كذلك كانت جدة فى ذلك الوقت تضم فئات عديدة ومختلفة من أبناء العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، مثل الاحباش واليمنيين والهنود والترك والشاميين والمصريين . (٢) اضافة الى السكان الاصليين سواء من بنى هاشم وقريش عامة وغيرهم من القبائل الحجازية .

ولقد امتزجت هذه الاجناس المتنوعة فيما بينها بالزواج والمعاشرة لتكسبون مجتمعا واحدا يربط فيما بينه روابط الأخوة الاسلامية ، بغض النظر عن اللهجات المتنوعة والألوان المختلفة قال تعالى فى كتابه الكريم : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . (٣)

وفى الحقيقة هذا التنوع البشرى فى المجتمع الحجازى بصفة عامة كان له كبير الأثر فى العادات والتقاليد التى سادت ذلك المجتمع ، فلقد كان يحلب اليه أبناء الأمة الاسلامية المترامية الاطراف كثيرا ما كان يسود مجتمعاتهم من عادات وتقاليد مختلفة ، مما جعل المجتمع الحجازى كثير المظاهر الحضارية والاحتفالات الدينية والعلوم بمختلف انواعها من دينية وتاريخية وحضارية وللمجاورين أثر فعال فى صبغ مكة المكرمة وغيرها من مدن الحجاز بهذا المزيج من العادات والتقاليد (٤) ومن العادات السائدة فى المجتمع الحجازى والمكى خصوصا فى ذلك الوقت

(١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢١٨ .

(٢) ششه ، نوال سراج : جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى السادس عشر

الميلادى ، رسالة ماجستير مطبوعة ، الطبعة الاولى ، مكتبة الطالب

الجامعى ، مكة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٠١ .

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣) .

(٤) المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٧ .

الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، حيث كانوا فى ليلة الثانى عشر من ربيع الاول من كل عام يقومون بزيارة مكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسوق الليل بمكة المكرمة^(١) والقيام بالعمرة الرجبية ، تأثرا بالمجتمعات المجاورة فى بعض الاقطار الاسلامية واحتفالهم بالسابع والعشرين من رجب ، وهى ذكرى اتمام عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بناء الكعبة سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م.^(٢) والاحتفال بليلة النصف من شعبان ، حيث يبادرون الى أعمال البر من طواف وصلاة واعتبار^(٣) ومن المظاهر الدينية لديهم تعدد الاثمة فى الصلوات الخمس بالمسجد الحرام.^(٤) وكان أهل مكة المكرمة يحتفلون ببعض الاصلاحات فى المسجد الحرام ، ويحتفلون بأبنائهم عند اتمام حفظ القرآن الكريم ، ويحتفلون عند تولي سلطان جديد من مصر أو عند تولي حاكم جديد بمكة المكرمة وكانت تقام العرضة.^(٥) وكان يحتفل بقدوم محمل الحاج المصرى ، وكان المكيون يهتمون بحفلات الزواج ، وكان الزواج يكثر بعد موسم الحج ، ويعملون عقد النكاح بالمسجد الحرام^(٦) وكان أكثر لباسهم يغلب عليه اللون الأبيض ، ويستعملون الطيب ويكثر السواك^(٧) وكما ذكرنا فان اندماج ابناء الكثير من الشعوب الاسلامية بالمجتمع

- (١) ابن ظهيرة ، محمد : الجامع اللطيف ، ص ٣٢٥ .
— القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ١٤٧ .
(الاحتفال بالمولد النبوى من العادات التى انتقلت الى مكة من الفاطميين الشيعة فى مصر وعدت البلاد الاسلامية وهى من الأمور المبتدعة لـ... يعطها السلف الصالح)
- (٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٦٧ .
— ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٣ .
(عمرة رجب والاحتفال بالسابع والعشرين من رجب وهى ذكرى اتمام عبد الله ابن الزبير بناء الكعبة هذه عادة بدأها عبد الله بن الزبير حين اتسم ببناء الكعبة سنة ٦٤ هـ)
- (٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٥ .
- (٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٦٧ .
— ابن ظهيرة ، محمد : الجامع اللطيف ، ص ٢١٣ .
— ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٠ .
(تعدد الاثمة فى الصلوات الخمس بالمسجد الحرام عادة قائمة منذ القرن السادس الهجرى ولا يعلم من احدثها ولا متى وهى بدعة مقوته)
- (٥) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج ٣ ص ٧٩ .
- (٦) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٦٧ .
— ابن المجاور ، يوسف : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، القسم الاول ، ص ٦ .
- (٧) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ .

الحجازى أدى الى ازدهار الحركة التجارية والاقتصادية. ^(١) وأكسبه عادات وتقاليد مختلفة سلبية او ايجابية.

ولكن لكثرة من جاور بمكة سواء لفرض دينى أو تجارى او للاستقرار وطلب الرزق ، أدى الى ضيق أهل الحجاز لأن هؤلاء المجاورين كانوا يأخذون معظم الصدقات التى كانت ترد الى الحجاز عن طريق المحمل الشامى والمصرى وغيرها من الصدقات . وكانت موارد الحجاز الاقتصادية بيد الاشراف ، مثل عشور مراكب التجارة والمكوس ^(٢) والمواريث الحشرية وما يهدى اليهم من سلاطين البلاد الاسلامية ، وكانوا ينفقون من ذلك على القادة والعبيد وما كانوا مكلفين به من قبل السلطة من الانفاق على المحمل المصرى : ^(٣)

وما سبق يتضح لنا أن تنوع الهجرات الى الحجاز جعل هناك الكثير من الطباع التى اندمجت سويا مكونة الكثير من العادات والتقاليد والاحتفالات والمناسبات وكان له تأثير على اللغة فى ذلك الوقت ^(٤) . واستد تأثيرها الى الوقت الحاضر .

(١) عبد الرحمن ، عبد الرحيم : الحجازيون فى مصر ، ص ١٤٢ .

(٢) ما يؤخذ من ضرائب على التجارة .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٥٢ .

— طلح ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٩٤ .

(٤) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .

٢ - الناحية العلمية في الحرمين الشريفين وأثر المجاورين في ذلك :-

كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أول معلم يعلم المسلمين تعاليم الدين الاسلامي الحنيف في مكة قبل الهجرة النبوية الشريفة في دار الارقم ، ثم بعد فتحه لمكة المكرمة أصبحت بمسجد ها الحرام مركز نور واشعاع لمدرسة علمية ثانية للمدرسة الاولى التي تأسست في المسجد النبوي بعد هجرة المصطفى الى يثسرب وظل المسجد الحرام مركزا مهما لنشر العلوم حتى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وما بعده من قرون ، ولم يكن العلماء الذين يدرسون فيه جميعهم يتقاضون مرتبا من الدولة ، وانما كان علمهم في سبيل الله سبحانه وتعالى . وكان الطالب عند ما يستوعب درس شيخه يقوم بمنحه اجازة ^(١) ، في حين كانت هناك بعض حلقات الدروس في المسجد الحرام كانت بها دروس يقررها بعض الأمراء أو التجار من المسلمين ويقومون بدفع أجر معلوم للشيخ الذي يدرسها مثل الدرس السندي قرره يلبغا الخاصكي أحد ماليك السطان الناصر محمد بن قلاوون ، فلقد قرر درسا في الفقه الحنفي في سنة ٥٧٦٣هـ / ١٣٦١م ، ودرسه الشيخ محمد الصاغانى ^(٢) ، والدرس الذي قرره شاه شجاع بن محمد بن ملك شيراز ^(٣) ، فلقد قرر درسا فسي الحديث ومن تولى تدريسه الشيخ على الفوى المتوفى سنة ٥٧٨١هـ / ١٣٧٩م ، والدرس الذي قرره بدر الدين الخروسي أحد تجار الكارم بمصر . وتولى تدريسه الشيخ علي بن محمد الحسيني ، والدرس الذي قرره بشير الجندار أحد أمراء الماليك بمصر ، ودرسه القاضي جمال الدين بن ظهيرة والقاضي أحمد العقيلي الملقب بمحب الدين النويري ^(٤) سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م ، والدرس الذي قرره السلطان المملوكي قايتباي في مدرسته بمكة سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م ودرسه الشيخ البرهان بن ظهيرة ^(٥) .

(١) أن يجيز الشيخ لطالب لديه تدريس كتاب معين أو مسمع عنه في عدة مؤلفات

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٣ ص ٢٩٦ .
- المصدر السابق ، ج٤ ص ٦١ .

- عبد الله ، عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م ، ص ٤٢ .
(٣) سلطان بلاد فارس ، توفي سنة ٧٨٧هـ .

(٤) ابن تفرى بردى ، يوسف : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج١ ص ٣٤ .
ترجمة رقم ١١٧٢ .

(٥) عبد الله ، عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٢ .

(٥) القزى ، نجم الدين : الكواكب السائرة ، ج١ ص ٢٩٧ .

ويعتبر القرن الثامن والتاسع الهجرى الرابع عشر والخامس عشر الميلادى من

قرون النشاط فى العلوم الدينية والأدبية واللغوية والفلسفية والشعر والحكمة وغيرها من العلوم (١) فى الحجاز وغيرها من مناطق العالم الاسلامى ، حيث حظيت الحياة الثقافية بالحجاز باهتمام الحكام المسلمين خصوصا فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكذلك السلاطين المالكي لما ظهر فى أول عهدهم من اهتمام بالعلم والعلماء وتخصيص الأوقاف وما يتحصل منها للاتفاق على القائمين بأمور الثقافة الاسلامية والعلوم الدينية . (٢) بالإضافة الى موسم الحج الذى يعتبر مؤتمرا اسلاميا يلتقى فيه ابنا العالم الاسلامى ومنهم العلماء ، فيتدارسون فيما بينهم الأمور الدينية ويأخذون عن بعضهم البعض الحديث والتفسير والفقه والعربية ويعود أكثرهم الى بلادهم وقد استفاد ، بينهم ، يطيب لبعض منهم البقاء بمكة المكرمة ، أو المدينة المنورة ويدرسون ويدرسون ، ويطمثون الى جوار الحرمين الشريفين جوار الله سبحانه وتعالى . (٣)

وعليه فلم تقتصر فائدة الدروس التى كانت تلقى بالمسجد الحرام والمسجد النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام على المكيين أو الحجازيين أنفسهم ، بل نهل منها علماء من شتى بقاع العالم الاسلامى . (٤)

ويعتبر أكثر المجاورين بالأراضى المقدسة من العلماء بالإضافة الى قلة من

- (١) المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٦ .
 — سبيع ، عبد العظيم عبد العزيز : حاضر العالم الاسلامى ، الطبعة الاولى ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ٩٦
 (يقتصر المؤلف على النشاط العلمى على حد القرن الثامن الهجرى ثم يقول تلى ذلك فترة ركود علمى) .
 (٢) التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الاراضى الحجازية ، ص ٩١ .
 (٣) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٣ .
 (٤) عبد الله ، عبد الرحمن : تاريخ التعليم ، ص ٤٣ .

الذين نفوا من مصر أو كبار التجار أو غيرهم ممن تخلف في الحج والعمرة ، وتعود جنسيات هؤلاء العلماء وغيرهم من المجاورين الى جنسيات متنوعة فمنهم المصريون والشاميون وهم الأغلبية لكون الممالك حكام مصر والشام لهم علاقات مميزة مع الحجاز اضافة الى العراقيين والمفارية والينيون وهم قلة .^(١)

ولقد كان الاهتمام بالحرمين الشريفين وعلمائهما ومجاوريهما وتشجيع العلوم بمختلف أنواعها من اهتمامات الحكام المسلمين في ذلك الوقت ، فلقد ارسل السلطان مظفر شاه سلطان الكجرات في ذلك الوقت وكان حسن الخط مصحفا الى المدينة المنورة^(٢) قام بخطه ، وعندما قام السلطان الملوكي الظاهر بيبرس بالحج سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م ، قام بزيارة المسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وتصدق على المجاورين به وبالمسجد الحرام وفرق كساوى على أهل الحرم وغسل الكعبة .^(٣) هذا مما يدل على حبه للخير ، وعندما قام الأمير سلاار كافضل السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالحج سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، قام باكرام المجاورين وأوفى عنهم ديونهم ، وأعطى لكل واحد منهم مئونة سنة وفرق على جميع أهل مكة والمدينة الصدقات .^(٤) كذلك عندما حج الأمير بشتاك سنسنة

-
- (١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٣٠
 — العبيكان ، طرفة عبد العزيز : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٩٩ .
- (٢) النهروالى ، قطب الدين : البرق اليماني في الفتح المشاني ، ص ١٢ .
- (٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٩٧ .
- التهامي ، محمد : الاصلاحات الملوكية في الأراض الحجازية ، ص ٩٠ .
- (٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ١٣٩ .
- التهامي ، محمد : الاصلاحات الملوكية في الأراض الحجازية ، ص ٩٠ .

٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ، فرق الأموال على المجاورين وعلى أهل مكة^(١) تقرباً إلى الله
بإكرام سكان الأراضى المقدسة .

ولقد كان سلاطين الماليك في مصر دائماً يعطون على راحة سكان الحرمين
الأصليين والمجاورين ، ويقدمون لهم المساعدات المالية^(٢) . ومن أشهر الذين
جاوروا بمكة المكرمة في ذلك العصر للتعليم أو طلباً للعلم ومنهم على سبيل المثال
الشيخ محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي الأصل الذي نهل العلم من الكثير من
علماء مكة في ذلك الوقت وأحازوا له التدريس والفتوى . توفي سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م بمكة
المكرمة^(٣) والشيخ أحمد بن علي بن عمر الكلاعي الحميري الشوائطي نسبة إلى بلدة
شوائط قرب تعز باليمن الشهير بالمقرى والذي قرأ على يد الكثير من علماء مكة المكرمة ،
والذي توفي بمكة المكرمة سنة ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م . والشيخ محمد بن عبد الرحمن
السخاوي الذي له مؤلفات عديدة منها ترجمة ابن حجر ، والضوء اللامع في أخبار
القرن التاسع ، وتحرير الميزان ، وعدة القارى ، والسامع في ختم الصحيح الجامع ،
وغنية المحتاج ، وتوفي في مكة المكرمة أو المدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م^(٤) ،
والشيخ حسين بن مضر الدين البلخي البهاري الذي توفي بمكة المكرمة سنة

-
- (١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٢١٢ .
- التهامي ، محمد : الاصلاحات السلوكية في الأراضى الحجازية ، ص ٩٠ .
(٢) العبيكان ، طرفة : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة ، ص ٢٠٢ .
(٣) ابن فهد الهاشمي ، عمر : معجم الشيوخ ، تحقيق وتقديم محمد الزهبي ،
مراجعة وقابله على الأصل حمد الجاسر ، دار اليمامة ، المملكة العربية
السعودية ، ص ٦١ .
- المشيقي ، إبراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٩ .
(٤) ابن فهد ، عمر : معجم الشيوخ ، ص ٦٢ .
(٥) الغزى ، نجم الدين محمد بن أحمد : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة
تحقيق د . جبرائيل سليمان جبر ، دار النشر محمد أمين دحج وشركاه
بيروت ، لبنان ، ج ١ ص ٥٣ .

سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م^(١) والشيخ بدر الدين أحمد بن محمد العمرى الكازرونسي
 نزيل مكة المكرمة^(٢) والشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عياش الشهير بابن عياش
 زين الدين الدمشقي الأصل جاور بمكة مدة طويلة وتصدى لتدريس الطلبة في الحرمين
 وصار شيخ الاقراء الذي توفى بمكة المكرمة سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م^(٣) والشيخ^(٤)
 محمد بن عبد الله بن بها^(٥) الدين الطبرى خطيب مكة المتوفى سنة ٨٣٢هـ / ١٣٣١م
 والشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة قاضى مكة وخطيبها ومفتيها المتوفى بمكة
 المكرمة سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م^(٥) والشيخ محمد بن أبى بكر عبد الله بن ابراهيم
 رضى الدين ابو عبد الله المسقلاني شيخ الحرم ومفتيه المتوفى بمكة سنة ٩٦٥هـ / ١٢٩٥م^(٦)
 والشيخ محمد بن عبد الله جمال الدين بن فهد قاضى مكة ومفتيها المتوفى سنة
 ٨٣٥هـ / ١٣٣٥م^(٧) والشيخ محمد بن محمد بن حسين بن على بن ظهيرة كمال
 الدين ابو البركات بن ابى السعود قاضى مكة المتوفى سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م^(٨) وغير
 هؤلاء الكثير خاضعة من العوائل التى اشتهرت بمكة المكرمة فى ذلك الوقت بالعلم

-
- (١) الحسنى ، الشريف عبد الحى بن فخر الدين : نزهة الخواطر وبهجة
 السامع والنواظر ، الطبعة الثانية ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
 بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ج ٣ ص ٦١ .
- (٢) الهاشمى ، محمد جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن فهد : تحفة اللطائف
 فى فضائل الخبر بن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد سعيد
 جمال ، محمد منصور الشقعا ، نادى الطائف الادبى ، ص ١٤٩ .
- (٣) المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٠ .
- (٤) ابن تغرى بردى ، يوسف : الدليل الشافى ، ج ٢ ، ترجمة ٢٢١٨ ، ص ٦٤٥
- (٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ترجمة ٢٢١٩ ، ص ٦٤٥ .
- (٦) المصدر السابق ، ج ٢ ، ترجمة ٢٢٢٠ ، ص ٦٤٥ .
- (٧) المصدر السابق ، ج ٢ ، ترجمة ٢٢٢١ ، ص ٦٤٦ .
- (٨) المصدر السابق ، ج ٢ ، ترجمة ٢٢٩٦ ، ص ٧٠١ .

والافتاء أمثال آل فهد والتويرى والطبرى ، والكثير من العلماء الذين جاؤوا فـى
مكة المكرمة والمدينة المنورة لفرض مجاورة المدينتين المقدستين أولاً ، وللإفادة
والاستفادة من التدريس والعلوم التى كانت تدرس بالمسجد الحرام بمكة والمسجد
النبوى بالمدينة المنورة ثانياً ، ومن المجاورين كذلك جماعة من غير العلماء منهم ،
محمود بن أحمد القاوانى من إقليم جيلان المطل على بحر قزوين الذى حج فـى
شبابه وأقام فى مكة المكرمة فترة من الزمن ثم انصرف الى التجارة فى الخليج العربى ،
ومنهم قائم الغفيه الطاهرى الذى كان قائد جند المماليك المرابطين بمكة المكرمة ،
ومنهم شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن وكيل وتاجر السلطان المملوكى
قايتباى فى الحجاز ، وشاد عمائر الأمير سنقر الجمالى ، ومنهم ابراهيم بن النعم
عبد الكريم بن عمر الدمشقى ثم القاهرى المندى أقام بمكة المكرمة والمدينة المنورة وكان
من التجار . (٤)

وبهنا من ذكر هؤلاء المجاورين الأثر العلمى والاجتماعى الذى كان لهم فى
الحياة العامة فى الحجاز فى ذلك الوقت من نظمهم لكثير من العلوم والعادات
والتقاليد الى الحجاز ، وما كان لهم من دور فى ازدهار العلوم وكذلك التجارة
والصناعة والبناء فى بلاد الحجاز ، اضافة لما كان لعلماء الحجاز وتجارها الاصليين
من دور فى الحياة العلمية والتجارية فى بلاد الحجاز .

(١) الحميدان ، عبد اللطيف : مكانة السلطان أجود بن زامل الجبرى فـى
الجزيرة العربية ، ص ٥٧ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٢٢١ .

(٣) النهروالى ، قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ج ٣ ص ٢٢٥ .
(سنقر الجمالى ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكيم الدين أبو السعادات
ترقى حتى عمل الشاديه على عمائر السلطان بمكة والمدينة واضيفت اليه
الحسبه بمكة) .

— السخاوى ، محمد : الضوء اللامع ، ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٤) السخاوى ، محمد : الضوء اللامع ، ج ١ ص ٦٩ .

٣ - المدارس والبيوت العلمية في تلك الفترة :

لم تخل بلاد الحجاز في تلك الفترة من المدارس والبيوت العلمية التي أسهمت كثيرا بجانب التدريس بالمسجد الحرام والمسجد النبوي في تخريج أجيال من العلماء الأفاضل . وكانت هذه المدارس مدارس مجانية يساهم في إقامتها المجتمع الاسلامي ، فلقد تنافس السلاطين والامراء والتجار في انشاء هذه المدارس ورصدوا الأراضى والممتلكات للانفاق عليها ، ووزعوا الأرزاق على الطلاب والمعلمين لسد مطالبهم في الحياة .^(١)

ومن هنا نشأ نظام الأوقاف التي يحبسها القادرون على المدارس على مر العصور الاسلامية تمكينا لها من أراء رسالتها ، ثم انفصلت المدرسة عن المسجد بعد أن كانت المدارس الاولى ملحقة بالمسجد الحرام وغيره من المساجد .^(٢)

ولعل الظروف التي مرت على العالم الاسلامي قبيل بسط النفوذ العثماني على معظمه من غزو صليبي برتغالي استهدف تخريب الاماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز ، وحينما عجز عن تحقيق أهدافه اتجه نحو اضعاف العالم الاسلامي اقتصاديا ، كل ذلك كان له أثر على سير الحياة العامة ليس في الحجاز فقط انما في سائر البلاد الاسلامية وليس صحيحا ما يقال أن المالك وصراهم على السلطنة قد فرض التخلف الذي تعرض له العالم الاسلامي في ذلك العهد .^(٣)

(١) ساعاتي ، د . يحيى محمد سود : الوقف ونبيه المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي ، الطبعة الاولى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٦ .

عبود ، د . عبد الفتى : دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

ولكن يمكن القول أن صراع المماليك وثوراتهم قد أوجد الفرصة للبرتغاليين وغيرهم من الصليبيين لكي يصلوا الى جنوب العالم الاسلامي ، ويتمكنوا من تهديد سبيل التجارة الاسلامية بما فيها البحر الاحمر ومن خلاله هددت الاماكن المقدسة فمس مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بلاضافة الى ما أحدثه هذا الصراع على السلطة من ثورات ومنازعات بين المماليك أضعفهم داخليا ، وانعكس ذلك سلبا على البلاد ذات الصلات المميزة بالدولة المملوكية ، وادى ذلك الى اهمال الشؤون الداخلية في دولة المماليك ، وضياع تجارة الشرق الأقصى من ايديهم ، التي كانت تعود عليهم بالكثير من الموارد تنعكس على الناحية العلمية ، وحينما نذكر المدارس في المنطقتين المقدستين ، نجد أن المدارس كانت بها منذ فترة قديمة ، كما ذكر تقى الدين الفاسي في كتابه " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " ومنها : مدرسة الطوك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن اوقفها قبل سنة ٥٧٧٠هـ / ١٣٦٨م^(١) ويذكر المؤرخ محمد بن أحمد المكي المعروف بالصباغ في مؤلفه تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والذي كان حيا سنة ١٢٤٣-١٣٢١هـ الموافق ١٨٢٧ - ١٩١٢م وان هذه المدرسة تعرف في زمانه باسم ابن عباد الله^(٢) وتقع هذه المدرسة شرق المسجد الحرام ومدرسة بدار

(١) الفاسي ، أحمد بن علي الحافظ ابن الطيب تقى الدين : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ص ٣٢٨ .

— ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٣٠٩ .

(٢) الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام ،

ص ١٥٥ .

— ساعاتي ، يحيى : الوقف وبنية المكتبة العربية استيطان للمورث الثقافي ،

ص ١٩٠ .

(ذكر المؤلف ان تاريخ وقضية هذه المدرسة هو سنة ٥٧٦٨هـ / ١٣٦٦م وان

وقضيتها على الفقهاء الشافعية)

— العبيكان ، طرفة : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع

والثامن للهجرة ، ص ٥٦ .

(ذكرت المؤلفة ان هذه المدرسة اوقفت قبل سنة ٥٧٧٠هـ / ١٣٦٨م ، وابتدأ

التدريس بها سنة ٥٧٧٠هـ / ١٣٦٨م وهذا أقرب للصواب) .

المجلة في الناحية الشمالية من المسجد الحرام ولا يعرف تاريخ وقفيتها ولا من أوقفها ، ويذكر أن الأمير ارغون النائب عمل فيها درساً للحنفية قبل سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م أو بعد ها^(١) ويعرفها الصباغ بأنها تعرف في عهده باسم مدرسة عبد الباسط وان وقفيتها كانت على أئمة مقام الحنفى^(٢) وكانت هناك مدارس في الناحية الغربية من المسجد الحرام منها ، مدرسة الأمير فخر الدين الشلاج أمير مكة من قبل (زمن الدولة الرسولية باليمن)^(٣) ويذكر الصباغ انها كانت تعرف في عهده باسم دار السلسلة وقد أوقفها الأمير فخر الدين نائب عدن على مكة المكرمة على علماء الحنفية سنـة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م ، على باب العمرة^(٤) ومدرسة الطك المجاهد صاحب اليمن من جنوب المسجد الحرام وتاريخ وقفها في ذي القعدة سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ، على الفقهاء الشافعية^(٥) ويذكر الصباغ انها كانت تعرف بسكنها قضاء مكة^(٦) ومن المدارس بمكة المكرمة أيضا مدرسة الطك المنصور غياث الدين ابن المظفر أعظم شاه بن السلطان اسكندر شاه صاحب بنجاله جنوب المسجد الحرام ، ويرجع انشائها الى سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م ، أو في سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م^(٧) حينما أوفد مبعوثه ياقوت السلطاني لمكة المكرمة لانشاء مدرسة على المذاهب الأربعة وأشتري حديقتين بوادي مر (وادي فاطمة) وأوقفها للانفاق على المدرسة وأوقف عليها أيضا دار تقابلها تعرف بدار أم هاني .

-
- (١) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ج١ ص ٣٢٨ .
 - (٢) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٥ .
 - (٣) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ج١ ص ٣٢٨ .
 - (٤) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٥ .
 - (٥) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ج١ ص ٣٢٨ .
 - (٦) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .
 - (٧) يذكر المؤرخ أن تاريخ وقفيتها هو سنة ٧٣٥هـ (الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ج١ ص ٣٢٨)

ومن المدارس مدرسة ابن علي بن أبي زكريا جنوب المسجد الحرام وتعرف بمدرسة أبي طاهر المؤذن وتاريخ وقفها سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م^(١) ومدرسة الأرسوفى قرب باب العمرة وهو العفيف عبد الله بن محمد الأرسوفى أوقفت سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م^(٢) ومدرسة أبي حسن الحداد المهدي قرب المدرسة السابقة وتعرف بمدرسة الاشراف للأدلة^(٣) لاستيلائهم عليها وتاريخ وقفها ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م على المالكية^(٤) ومدرسة النهاوندى بقرب الموضع الذى يقال له الدريبة.

ونذكر المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد المدارس التى كانت قائمة فى عهده ومنها المدرسة الكبرى التى أنشأها السلطان شهاب الدين أبوالمغازى أحمد شاه سلطان كبرجه فى الهند على باب الصفا فى دار كانت ملكا للسيد بركات بن حسن ابن عجلان فى سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م وعين لها الشيخ جمال الدين عبد الواحد المرشدى مدرسا ، والمدرسة الباسطبة نسبة لزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش فى سلطنة الأشرف برسباى على باب المجنة سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م ، والمدرسة الزمامية التى أنشأها الطواشى خشدق الزمام ، ومدرسة فى رباط رامشت أنشئت سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م حينما أمر ناظر الحرم بربدك التاجى باصلاح رباط رامشت وجعله رباطا ومدرسة ، ومدرسة صاحب كتابية غياث الدين محمد شاه التى أنشئت فى سنة

(١) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٢٨ .

— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٣ ص ٥٤ .

() يقول المؤرخ ان هذه المدرسة تعرف فى عهده باسم بيت ورثة الشيخ

اسماعيل الزمزمى)

— طلحس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٢٠٢ .

() يقول انشئت سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م) .

(٢) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢٨ .

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢٨ .

— الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٥ .

— السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٥ .

— السباعى ، محمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٢٩ .

— العبيكان ، طرفة : الحياة العلمية والاجتماعية ، ص ٩٦ .

٨٦٦هـ / ١٤٦١م وكان الناظر عليها الخوaja سراج الدين عمر بن الظاهر ، ومدرسة
الأشرف قايتباى التى أمر بإنشائها سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م وعمرها له الخواجا
شمس الدين عمر بن الزمن وشاد عمائره الأمير سنقر الجمالي (١) . يلاضافة الى المدارس
القديمة التى أنشئت قبل عهد ابن فهد ومنها ، المدرسة الشراعية بباب السلام
وقام باصلاحها ناظر الحرم سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م ، والمدرسة العطيفية التى أصلحت

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج٤ ص ٨٢ .

- النهر والى ، قطب الدين : الاعلام باعلام البيت الحرام ، ج٣ ص ٢٢٥ .
- الطبرى ، على : الأرج السكى فى التاريخ المكى ، ص ١٦ .
- العصامى ، عبد الملك : سبط النجوم العوالي ، ج٤ ص ٤٤ .
- الطبرى ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .
- الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦ .
- ابن الفتح ، محمد : أخبار الأول فىمن تصرف فى مصر من أسباب
الدول ، ص ٢٠٨ .

- ابن طولون ، شمس الدين : مفاكهة الخلان ، ص ٣٣ .
- المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٤ .
- اليوزيكى ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٢٩ .
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج١ ص ٣٢٨ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .
- محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢٠٦ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٢٠٢ .
- شكرى ، د . محمد أنور : لوجان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان
سليمان القانونى فى قسم الحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات
الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، مكة المكرمة ، مطابع دار الثقافة ،

١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٣٩ .

- ابن دهيث ، عبد اللطيف عبد الله : المكتبات الخاصة فى مكة المكرمة ، —

سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م ، والمدرسة المجاهدية والمدرسة الأفضلية التي للم
تنزل نصيبا في الاصلاحات في ذلك الزمن . اضافة الى
مدرسة السلطان احمد شاه سلطان الكجرات التي أنشأها بحكة المكرمة وعرفت بالمدرسة
الكتابية . (٢) ومدرسة للسلطان مظفر الكجراتي أنشأها في مكة المكرمة أيضا . (٣) وكانت
آخر مدرسة انشئت بحكة المكرمة في عهد الماليك تلك المدرسة التي أنشأها السلطان
المملوكي قانصوه الغوري سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م . (٤) ولم تخل المدينة المنورة من
المدارس في ذلك الوقت ومن أهم مدارسها ، مدرسة السلطان المملوكي قايتباي
الذي قام بإنشائها بعد الحريق الذي لحق بالمسجد النبوي الشريف على صاحبه
افضل الصلاة والسلام سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م (٥) وكان المشرف على بنائها الخواجا
شمس الدين بن الزمن ، ولم تكن الدراسة قاصرة في ذلك الوقت على المسجد الحرام
والمسجد النبوي الشريف والمدارس التي ذكرناها ، بل كان هناك دور بارز لبعض
البيوت العلمية التي قصرت همتها على العلم ، ومن أشهرها آل ظهيرة وآل الطبري

الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بحكة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

ص ١٢ .

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٨٢ .

(٢) النهروالي ، قطب الدين : البرق اليماني في الفتح العشاني ، ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٤) المشيخ ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٥ .

(٥) الحنبلي ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٨ ص ٧ .

— ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، ج ٣ ص ١٩٦ .

— عبد المعطي ، محمد : أخبار الأول ، ص ٢٠٩ .

— النهروالي ، قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ج ٣ ص ٢٢٩

— البيوزيكي ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٢٩٠ .

— محمود ، عبد الرحمن : قايتباي ، ص ٢٠٦ .

وآل فهد وآل الفاسي وآل الثويري وآل المرشدي وآل الصاغاني ، إضافة إلى مجلس الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز في ذلك الوقت ، والذي كان يعتبر تـمـدـد وة لكبار العلماء (١) .

ولقد اشتهر من آل ظهيرة في هذا العهد ، محمد أبو السعود وإبراهيم وجمال الدين محمد بن عبد الله وصلاح الدين وعبد القادر عفيف الدين ، كما اشتهر من آل الطبري شيخ الاسلام إبراهيم بن محمد بن إبراهيم والشيخ رض الدين وقاضي مكة نجم الدين وزين الدين وشهاب الدين وأم سلمة بنت المحب الطبري وأحمد بن العليف وأحمد الحرازي وأحمد علاء الدين وتقي الدين محمد الفاسي والشيخ نجم الدين بن فهد وابنه عبد العزيز والشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي وعالم مكة الشيخ محمد بن الفقيه وإمام الحنابلة محمد بن عثمان البغدادي وشهاب الدين بن البرهان وعبد الله بن عمر الصوفي وشهاب الدين أحمد ابن علي وعبد الحق اليسنباطي وعبد الكبير الحرازي والسيد محمد الخطاب (٢) .

وكان من هؤلاء العلماء والمشايخ من جمع بين العلم والافتاء والقضاء والنظر في شئون الحرم وغير ذلك من الأمور ، ومن النماذج لترجمات بعض هؤلاء العلماء ترجمة الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي أبو اسحاق برهان الدين قاضي مكة ولي قضاءها نحو ثلاثين سنة ومولده ووفاته فيها كان شافعيًا انتهت إليه رئاسة العلم في الحجاز ورحل إلى مصر مرتين (٣) .

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٦١ .

— المشيخ ، إبراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٦ .

(٢) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج١ ص ٣٢٧ .

(٣) الزركلي ، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من

العرب والمتبصرين والمستشرقين ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للطالبيين

بيروت ، ١٩٨٠ م ، ج١ ص ٥٢ .

ومنهم أيضا الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب المرشدي المولود سنة ١٢٧٣هـ / ١٣٧١م الذي جلس لتدريس العلم في المسجد الحرام وأخذ عنه النجم عمر بن فهد^(١) والشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم الثويري المكي المولود سنة ١٢٢٢هـ / ١٣٢٢م الذي تولى القضاء بمكة والخطبة في المسجد الحرام وتوفي سنة ١٢٨٦هـ / ١٣٨٤م^(٢) وهذه الترجمات تبين لنا مدى ما كان هؤلاء العلماء يتمتعون به من العلم والمعرفة. هذا وكان للنساء دور بارز في إثراء الحركة العلمية في مكة المكرمة بخاصة والحجاز بصفة عامة ، ومن هؤلاء ست قريش فاطمة بنت محمد بن محمد بن فهد ، ورقية ابنة عبد القوى المكي ، وست الأهل ابنة عبد الكريم ابن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي ، وزينب بنت محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي ، ومريم بنت أحمد بن محمد الأذري ، وستية بنت محمد الدمياطي ، وغديجة بنت محمد بن الحسن القسطلاني ، وحسن ابنة محمد بن حسن السعدي المكي^(٣) إضافة الى ما اشتهر من بيت الطبري من عالقات يزيد عدد هن على اكثر من خمسين عالمة منهن الشيخة علماء بنت محمد بن أحمد إبراهيم الطبرية محدثة سمعت طلحي عتيها الفاطميتين أم الحسن وأم الحسين ابنتي أحمد بن الرضى وروى عنها النجم ابن فهد وتوفيت بمكة سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م^(٤) ولقد ساهم الماليك في نشر وازدهار الثقافة الاسلامية بالحجاز نتيجة لاهتمامهم بالعلماء والمعلمين ، وتخصيص أموال الأوقاف المختلفة للانفاق عليهم ، فضلا عن توفير الكتب بوجه عام^(٥) كغيرهم من قادة الامة الاسلامية على مختلف العصور ، وما تجدر به الإشارة ان هناك مكبات قام بتأسيسها بعض السلاطين والأمراء والتجار ومنها ، مكتبة الامير شرف الدين التي تأسست سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م ، وكان بمكة المكرمة مكتبة تعرف بخزانة الكتب المالكية كان تأسيسها في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي^(٦) ، وفي سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م أنشأ الملك الأفضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رباطا في مكة المكرمة أوقف فيه نقاش من الكتب وعندما أسس السلطان شرف الدين اقبال الشرايبي العباسي المدرسة

(١) المشيخ ، إبراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٤) كحالة ، عمر رضا : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، مؤسسة الرسالة ، ج ٣ ص ٣٣٢ .

(٥) التهامي ، محمد : الاصلاحات المملوكية في الاراض الحجازية ، ص ٨٤ .

(٦) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٢ ص ٤٨٨ .

— ابن دهيث ، عبد اللطيف : المكبات الخاصة في مكة المكرمة ، ص ١٠ .

(٧) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٢ ص ٥٦٦ .

الشرابية بمكة سنة ١٢٣٣هـ / ١٢٣٣م جعل بها في سنة ١٢٤١هـ / ١٢٤٣م مكتبة كبيرة ، وفي أواخر القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي أوقف الشيخ عبد الله بن أبي بكر الكردي المتوفى سنة ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م بعض الكتب للرباط الذي أسسه ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين ، وأوقف الشيخ أحمد بن سليمان التروجي المتوفى سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م ، بعض الكتب للرباط البخوزي بمكة المكرمة قبل وفاته كتباً كثيرة ، وأنشأ السلطان شاه شجاع ملك بلاد فارس رباط في مكة ثم أوقف فيه سنسنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م كتباً كثيرة . وخلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي كانت توجد بمكة المكرمة مكتبة العالم تقي الدين الفاسي ، وكذلك المكتبة التي أنشأها قايتباي مع مدرسته سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م ، بالإضافة إلى مكتبات مشاهير العلماء في ذلك الوقت .^(١)

(١) ابن دهيث ، عبد اللطيف : المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، ص ١٠٠ .
 - البركاتي ، د . ناصر عبد الله سلطان : التطور التاريخي لمكتبة الحرم
 المكي الشريف ، مجلة العصور ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، ص ١٠٠ .

٤ — الحج وأثره الدينى والاجتماعى :-

الحج ركن من أركان الاسلام ، وهو من أقدم العبادات التى عرفتها الانسانية منذ أن أوحى الله سبحانه وتعالى إلى أبى الأنبياء ابراهيم صلوات الله عليه وأقام له أول بيت وضع للناس على أساس التوحيد لله سبحانه وتعالى . وكان المسلمون فى سبيل أدائهم لهذا الركن لا يبالون بالصعاب فى البحر والبر فى سبيل نيل ثواب الله سبحانه وتعالى . قال تعالى فى كتابه الكريم : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) (١)

وقد فضل الله سبحانه وتعالى البلاد المقدسة التى يفد إليها جميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لأداء هذه الفريضة الاسلامية . ويعتبر الحج مؤتمرا اسلاميا ، يلتقى فيه أبناء هذه الأمة كل عام ، يتدارسون فيه العلوم الدينية والدنيوية ، وأحوالهم الاسلامية بصفة عامة . وقد حرص الماليك فى مصر والشام كغيرهم من الدول الاسلامية بأمور الحجاج القادمين الى مكة المكرمة ، من تنظيم قيام ركوب الحج من مصر والشام وفق مراسيم خاصة ، والقيام بالاصلاحات والتسهيلات للحجاج على امتداد الطريق فى الأراضى الحجازية ، من توفير الأمن والحماية لركب الحج ، القادم من تلك المناطق ، وحفر الآبار لتوفير المياه عصب الحياة ، والاهتمام بالأسواق التى تمدهم بالمؤن وما يحتاجون اليه ، والقيام بالاصلاحات فى الحرم المكي والمسجد النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وتخصيص الأوقاف للانفاق على القائمين بأمور الحرمين الشريفين . (٢) إلا أن الحالة الأمنية لم تكن مستقرة على الدوام بسبب ما كان يتعرض له الحجاج فى بعض الأوقات من غارات القبائل على طول الطريق الى الحجاز عند تأخر اعطياتهم من قبل حاكم الحجاز ،

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧) .

(٢) التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الأراضى الحجازية ، ص ٨٤ .
 (لم يقتصر عمل الاصلاحات والتسهيلات على طول امتداد الطريق من البلدان الاسلامية الى الأراضى المقدسة على دولة دون أخرى ، فقلقد حرصت معظم الدول الاسلامية التى كانت باسطة سيطرتها على منطقة المقدسات الاسلامية فى مكة والمدينة على عمل الاصلاحات والتسهيلات للحجاج القادمين لأداء الفريضة)

أو عندما يحدث صراع بين الأشراف الذين كانوا يتولون المصلحة على الحجاز في ذلك الوقت ، مثلما حدث سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م عندما نهب عرب حرب الحاج الشامي أشاء عودتهم من الحج بالقرب من وادي مر الظهران ، فبعث الشريف محمد بن بركات بعض جنده الذين استطاعوا رد كثيرا من الأموال لأصحابها . (١)

ومثلما حدث سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م عندما هاجم الشريف أحمد الجازاني الحاج الشامي اثر خلافه مع أخيه الشريف بركات بن محمد أمير الحجاز على السلطة ، وكذلك مهاجمته الحاج المصري الذي كان تحت حماية أخيه الشريف بركات لخلعة الأمن في الحجاز وذلك من باب الضغط السياسي على أخيه الشريف بركات .

وبينما في هذه النقطة أن نتحدث عن الأثر الديني والاجتماعي الذي كان يتركه موسم الحج ، ليس في الحجاز فقط بل في جميع أرجاء العالم الاسلامي ، من ازدهار للعلوم الدينية نتيجة لتدريس العلماء المسلمين لأمر الدين حينما يلتقون في موسم الحج ، وما يتركه من آثار اجتماعية على أبناء الأمة الاسلامية من اختلاط في العادات والتقاليد الاجتماعية وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم :

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم) (٣)

ولقد اعتنت الدول الاسلامية في ذلك الوقت بتنظيم شؤون المعامل التي كانت تسير الى البلاد المقدسة في موسم الحج وغيره من المواسم ، وكان المحمل يترأسه أمير وتسير الأمور داخله على حسب الوظائف والرتب التي كان يشتملها (٤) ولقد كانت تقام الاحتفالات بقدوم المحمل الى الاراضي المقدسة (٥) ، بالاضافة الى

-
- (١) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٤ .
 - (٢) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٤ .
 - (٣) سورة الحجرات ، الآية (١٣)
 - (٤) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ١١٧ .
 - (٥) القلقشندي ، احمد : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٧٦ .

الاحتفالات الدينية الأخرى مثل احتفالهم بالعمرة الرجبية^(١) وعمرة الأكمة^(٢) وغسيل
الكعبة المشرفة^(٣) والاحتفال بليلة النصف من شعبان^(٤) والاحتفال بقدوم شهر
رمضان المبارك^(٥).

(١) ابن حبير م الرحلة ، ص ٩٥ .

(٢) — المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) — المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٤) — المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) — المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

٥ - شئون الحرمين الشريفين :-

كان الماليك في ذلك العهد يشرفون بالنظر على شئون الحرم المكي والمدني ، عن طريق احتفاظهم بحامية عسكرية في مكة المكرمة الذي أصبح رئيسها يشرف على شئون الحرم في بعض الأحيان ^(١) ففي سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٤٨م كان ناظر الحرم بيوم جحا ، ثم عين بعده الأمير برديك ناظرا للحرم ، ^(٢) في سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٥٠م ، وفي سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٥٤م ورد مرسوم من مصر يتضمن أن تكون نظارة المسجد الحرام للشيخ الخطيب برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة عوضا عن الامير طوغان شيخ الذي تولى قبله ^(٣).

ويتضح لنا أن الدولة الملوكية كانت تعين على نظارة الحرم مشايخ وعلماء من مكة المكرمة ترى فيهم اخلاص العمل لله سبحانه وتعالى . وكانت هناك مناصب أخرى بالحرمين الشريفين مثل القضاة والشيخة والخطابة والامامة والمؤذنون ومنصب شيخ الخدم بالحرمين الشريفين ^(٤).

ولقد اعتنى الماليك ببعض الاصلاحات في الحرمين الشريفين لهسداف المحافظة بعلاقاتهم المميزة بالاماكن المقدسة بالحجاز وصفتهم محيين الخلافة

-
- (١) عبد الله ، عبد الرحمن : تاريخ التعليم ، ص ٢٥ .
 - (٢) القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٢ .
- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٣٢٠ .
 - (٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٢٦٢ .
- أبي المحاسن ، جمال الدين : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٩٣ .
- النهر والي ، قطب الدين : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ج ٣ ص ٢٢٠ .
- السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٤١ .
 - (٤) المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

الاسلامية في القاهرة بعد سقوطها في بغداد على أيدي التتار ، ومن اصلاحاتهم في ذلك العهد ، ما قام به السلطان خشقدم من ارساله للحرم المكي منبرا من خشب ليخطب عليه بمكة المكرمة سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م^(١) وفي سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م عمر الأمير شاهين الجمالي شاد المئذنة بالمسجد الحرام الجانب الشمالي من المسجد الحرام .^(٢)

وفي سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م أصلح خشب المسجد الحرام بالرواق الشرقي ، وغير رخام الحرم الشريف من داخله وخارجه وأصلحت الشقوق التي بين أحجار المطاف .^(٣)

وفي سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م أجرى الخواجا شمس الدين ابن الزمن بعض اصلاحات بحدار الكعبة المشرفة .^(٤)

ومما عمره السلطان المملوكي قانصوه الغوري بالحرم المكي ، باب ابراهيم بمقعد كبير وجعل علوه قصرا ومن جانبه مسكنين وسبوتا معدة للكرام حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ، ورم الحجر وفرغ منه سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م . ولم يخل المسجد النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام من اصلاحات فلمسا حدث به حريق في شهر رمضان سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م بسبب صاعقة في وقت مطر ،

(١) المنحاري ، على : منائح الكرم ، ص ١٥٠ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٨٠ .

— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٦ .

(٣) — ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٨٠ .

— القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٣ .

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٤ ص ٨٠ .

(٥) القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٤ .

نزلت على المئذنة فأحرقتها وأحرقت سقوف المسجد الشريف ، قام السلطان المملوكي قايتباي بتجديده . (١)

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الدولة المملوكية بشئون الحرمين الشريفين وحرصها على محاولة الاصلاح في المسجد بين الحرام بمكة والتبوى بالمدينة المنورة لكسب سمعة بذلك لدى العالم الاسلامي .

(١) السيوطي ، الحافظ جلال الدين : تاريخ الخلفاء ، ص ٥١٦ .

— ابن الحسين ، يحيى : غاية الاماني ، ص ٦١٢ .

— النهر والي ، قطب الدين : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ج ٣ ص ٢٢٩

(يقول كان الحريق في سنة ٨٨٩ هـ)

— سليم ، محمود : عصر سلاطين المماليك ، ص ٥٥ .

٦ - الأربطة وأثرها الاجتماعي :-

حرص سلاطين وأمراء وأغنياء العالم الاسلامي في ذلك الوقت على اقامة الأربطة لسكنى المنقطعين والمتعبدين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وأوقفوا عليها أوقافا كثيرة ، ومن الأربطة في مكة المكرمة كما ذكرها الحافظ ابن الطيب تقي الدين أحمد بن علي الفاسي ، رباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ، ولا يعرف من أوقفه الا أنه كان موقفا في سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ م^(١) ورباط قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي الملاصق للرباط السابق^(٢) وتاريخ وقفيته سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ، ويزيد المؤرخ محمد بن أحمد المكسي المعروف بالصباغ الذي كان حيا سنة ١٢٤٣ - ١٣٢١ هـ / ١٨٢٧ - ١٩٠٣ م ، القول بأن باب رباط قاضي القضاة عند باب المسجد الحرام المعروف بباب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان هذا الرباط ورباط السدرة استبدلها السلطان المملوكي قايتباي وبني محلها رباطه جهة المروة^(٣) ومن الأربطة رباط عند باب المسجد الحرام المعروف بباب الجنائز - باب النبي - ويعرف باسم القيلاني لسكناه به ، وتاريخ وقفه سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ، أوقفه على الصوفية الواصلين لمكة المكرمة والمقيمين والمجتازين من عرب وغيرهم^(٤) ومنهم رباط الامير اقبال الشرايبي وزير المستنصر العباس عند باب بني شيبه بالمسجد الحرام ، وتاريخ عمارته ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م^(٥) ورباط أم الخليفة العباسي الناصر ، ويعرف بالمطيفيه لأن الشريف عطيفه أمير مكة كان يسكنه وتاريخ وقفه سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وقف على الفقراء الصوفية^(٦).

(١) الفاسي ، تقي الدين أحمد : شفاء الغرام ، ج١ ص ٢٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٣٠ .

- ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٢ ص ٥٤٢ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٨٤ .

- الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .

(٤) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ص ٢٣٠ .

(٥) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٣٠ .

- الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ص ٢٣٠ .

- ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٢ ص ٥٤٩ .

ورباط الحافظ أبى عبد الله بن منده ملاصق لزياده دار الندوة ويعرف باسم
 رباط البرهان الطبرى ، أوقفه على القادسين من اصبهان أربعين يوما وعلى سائر
 الناس عشرة أشهر وعشرين يوما .^(١) ويزيد المؤرخ محمد الصباغ ان باب الرباط
 المذكور يخرج الى السويقة .^(٢) ومنها رباط الشيخ ابى حفص عمر بن عبد المحيى
 العياشى قرب الرباط السابق ، ورباط الشيخ جعفر قرب سويقة ، ورباط عند زياده
 دار الندوة أيضا يقال له رباط الفسقايع ، وتاريخ وقفه سنة ٩٢٢هـ / ١٠٩٨م ، أوقفه
 قهرمانه الخليفة العباسى المقتدى على المنقطعين من الأراذل^(٣) ويذكر المؤرخ
 محمد الصباغ أن تاريخ وقضيت الرباط السابق يرجع الى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م ومنها^(٤)
 رباط قرب الرباط السابق يقال له رباط صالحة لا يعرف تاريخ وقفته . ولا من أوقفه .^(٥)

ومنها بالحانب الشمالى من المسجد الحرام ، رباط يعرف برباط القزوينى
 كان موجودا فى أثناء القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى ، ورباط قبالة
 الرباط السابق يقال له رباط الخاتون ويعرف بابن محمود ، وتاريخ وقفه سنة
 ٥٧٧هـ / ١١٨١م ، وقف على الصوفية من العرب وغيرهم ، أوقفته الشريفة فاطمة بنت
 الأمير أبى ليلى محمد بن أنوشروان الحسنى .^(٦) ومن الأريطة أيضا رباط الزنجبيلى
 عند باب العمرة وتاريخ وقفته سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، ومنها رباط الخوزى بباب
 ابراهيم ، أوقفه الأمير قرامر بن محمود بن قرامر الأقدرى الفارسى على الصوفية
 الغرباء والمتجربين ، وتاريخ وقفته ٦١٧هـ / ١٢٢٠م .^(٧) ويقول المؤرخ محمد
 الصباغ ان تاريخ وقفته سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م .^(٨)

-
- (١) الفاسى ، احمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 (٢) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .
 (٣) الفاسى ، احمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 — ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٢ ص ٤٨٩ .
 (٤) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .
 (٥) الفاسى ، احمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 (٦) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٢ ص ٥٤٤ .
 — الفاسى ، احمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 (٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 (٨) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٠ .

ومنها رباط رامشت عند باب الحزوة من المسجد الحرام ، ورامشت هو
 الشيخ أبو القاسم واسمه ابراهيم بن الحسين الفارسي ، أوقفه على جميع الصوفية
 الرجال دون النساء من سائر العراق ، وتاريخ وقفه سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م^(١) ويقول
 المؤرخ محمد الصباغ أن تاريخ وقفه سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م^(٢)

ومنها رباط الشريف حسن بن عجلان حاكم الحجاز ، وتاريخ وقفه سنة
 ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م^(٣) ، ومنها رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلج
 قرب باب الحزوة ، وتاريخ وقفه سنة ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م ، موقوف على الفقهاء
 المنقطعين بمكة المكرمة ، ومنها رباط قبالة باب أجياد بالمسجد الحرام قام بإنشائه
 وزير مصر تقي الدين عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبي شاكرو سنة ٨١٥ هـ /
 ١٤١٢ م ، ومنها رباط السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس قبالة باب الصفاء
 بالمسجد الحرام ، ويقال له رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهي الطبيب ، وتاريخ
 وقفه سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ، وهو وقف على الأعاجم دون الهنود .

ومنها قرب الرباط السابق رباط يقال له رباط البانياسي ، وتاريخ وقفه
 سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، أوقفه الأمير فخر الدين أيار بن عبد الله البانياسي على
 الفقهاء . ومنها الرباط المعروف برباط العباس المسمى ، وكان مطهره عمله الملك
 المنصور لا جين المنصوري والذي عمله رباط الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومنها
 كذلك رباط الشيخ أبي القاسم بن كلاله بالمسمى ، وتاريخ وقفه سنة ٦٤٤ هـ /
 ١٢٤٦ م .

ومنها رباط بالمسمى يقال له رباط التميمي أوقفه الشيخ أبو العباس ويقال
 أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمي الميرني الفنجيـري ،

(١) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 — ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٢ ص ٥٠٤ .
 (٢) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .
 (٣) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
 — ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج ٣ ص ٤٢٣ .

أوقفه على الفقراء من العرب والعجم على أن يكونوا من أهل الخير والدين والفضل سنة
(١) ١٢٢٣هـ/م. ويقول المؤرخ محمد الصباغ ان تاريخ وقفه سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م. (٢)

وبأعلى مكة المكرمة عدة أربطة ، منها رباط علي بن أبي بكر بن عمران العطار
المكي ، أوقفه سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م ، ورباط يعرف برباط ابن ساحه لسكناه به
قرب المجزرة على يمين الذهاب الى المعلاء ، أوقفه الامير قايمار عبد الله السلطاني
سلطان الروم والارمن أبي الفتح قليج بن ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان
السلجوقي على المجاورين والمقيمين بمكة ممن هم على مذهب الامام
أبي حنيفة سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ومنها بأعلى مكة ثلاثمائة
ربط يقال لها ربط الأخطاطي ، بعضها وقف على النساء الحنفية من المجاورات
والقادات ، ومنها وقف على أهل مدينة اخلاط ، وبعضها وقف في سبعة
٥٩٠هـ/١١٩٣م ، وبعضها في سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م ، ومنها رباط يقال له رباط
الوتش ، ورباط العطية بن خليفة المطايرن أحد تجار مكة المكرمة ، كذلك يوجد
بزقاق الحجر بمكة المكرمة رباطان ، أحدهما رباط المقر ابراهيم بن محمد الاصبهاني
أوقفه على الفقراء المجاورين بمكة من العرب والعجم سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، والثاني
رباط السيد أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبري ، موقوف على المساكين
سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ، وتوجد بسوق الليل عدة أربطة ، منها رباط يقال له رباط
سعيد الهندي لسكناه فيه ، ومنها الموضع الذي يقال له بيت الموننين وأوقفه
الأمير قرامر بن محمود بن قرامر الأقدري الفارسي ، وتاريخ وقفه سنة
٦١٢هـ/١٢٢٠م ومن الأربطة الموضع الذي يقال له زاوية ام سليمان ، وتاريخ وقفه
سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، وبجياذ عدة أربطة منها رباط الزيت لا يعرف تاريخ وقفه .
ورباط غزي أوقفه على بن محمد المصري على الفقراء من أي جنس سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م
ورباط يعرف برباط الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ،

(١) الفاسي ، احمد : شفاء الغرام ، ج١ ص ٣٣٠ .

(٢) الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .

وتاريخ وقفته سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م ، ورباط بقرب الرباط السابق أنشأة الشريف حسن بن عجلان سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م ، وكذلك رباط بنت التاج ، وهو وقف على النساء الصوفيات والمجاورات . ورباط المسكنة . ومن الأربطة بالحزامية ، رباط الدمشقية ، وقف على الصوفية وتاريخ وقفته سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م ، ورباط الزندي الذي أوقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزندي على أهل سادة زندي ، ورباط السبتية الذي كان موجودا سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م ، ورباط بنت الحرابي ، ورباط الوراق ، ورباط القاضي جمال الدين علي بن عبد الوهاب الأسكندري على فقراء العرب ، أوقفه سنة ٦٠٤هـ / ١٢١٧م ، ومن جهة الشبيكة والمسفلة ، ورباط ابن قتيبية ويقال له رباط العفيف وهو الأرسوفي ، وشريكه فيه القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني ، تاريخ وقفته سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، ورباط الطويل ، ورباط الجبهة وهي الادركرية جهة الطواشي فحات زوج الملك الأشرف اسماعيل بن الفضل ملك اليمن ، وتاريخ وقفه ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م ، وكذلك رباطان قرب الموضع الذي يقال له الدريبه ، أحدهما رباط ابن السوداء ، تاريخه ٩٠هـ / ١١٩٣م والثاني رباط ابن غنيم ، أوقفه السلطان الملك العادل ملك

(١)

الجبيل والغور والهند محمد بن أبي علي ، سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م .

ويذكر المؤرخون المعاصرون لفترة بحثنا هذه الأربطة التي أنشئت في عهدهم والتي بقيت من الأربطة السابقة ، فيقول المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد ، عن

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .

— الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٦ .

(يتوقف المؤلف عند ذكر رباط التميمي . ويذكر أن الفاسي ذكر أربطة المعلا والمسفلة والشبيكة ومزقاق الحجر . غير أنه يذكر أن معظم تلك الأربطة كان في زمانه غير معروفة) .

الأريطة في عهده ، منها رباط أوصى بإنشائه القائد شكر وزير الشريف حسن وابنه الشريف بركات قبل وفاته ، وأوقفه سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م ، ورباط أوقفه كاتب السر الزين أبو بكر بن مزهر بباب الصفا سنة ٨٧١هـ / ١٤٦٦م ، ورباط أنشأه ابن الزمن للسلطان قايتباي جهة المروه سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م .^(١)

وهناك أريطة انشئت قبل هذه الفترة ، منها رباط الموفق ، ورباط السدرة ورباط راشت .^(٢) ومن الأريطة أيضا في ذلك الوقت ، رباط النساء بالسفلة ، ورباط ربيع بجيان ، ورباط الشريف محمد بن بركات^(٣) ورباط القائد بديد بالسوق الصغير ورباط الظاهرية بالسوق الصغير ، ورباط بعلجد قرب باب ابراهيم بالمسجد الحرام

- (١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٨٤ .
 — الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائرة ، ص ٢٩٧ .
 — ابن الفلاح ، عبد الحى : شذرات الذهب ، ج٨ ص ٧ .
 — السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٥٣ .
 — الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ الحكى ، ص ١٥ .
 — النهروالى ، قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ج٣ ص ٢٢٥ .
 — القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٣ .
 — العصامى ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج٤ ص ٤٤ .
 — محمود ، عبد الرحمن : قايتباي ، ص ٢٠٦ .
 — السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٥ .
 — السباعى ، احمد : تاريخ مكة ، ج١ ص ٣٢٨ .
 (٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٨٤ .
 (٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، ج٢ ص ٥٩٩ .
 — الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ الحكى ، ص ١٥ .
 — الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .
 — محمد ، عبد الهادى : الدر الفاخر ، ص ٤١ .
 — العصامى ، عبد الملك : سبط النجوم ، ج٤ ص ٢٧٩ .

ورباط الشريف حسن بن عجلان بالسوق الصغير ، ورباط السيد بركات بن محمد^(١)
 ورباط السيد شولق بالشبيكة ، ورباط السلطان محمود قريب باب العمرة بالمسجد
 الحرام ، ورباط الزمامية شمال المسجد الحرام^(٢) بالإضافة الى الرباط الذى
 أنشأه أمير الحاج المصرى فائق سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٦م^(٣) ورباط البعدانى
 الذى أقامه الملك الظافر سنة ١٢٠٢هـ / ١٨٩٦م^(٤) ورباط أنشأه أحمد شاه
 شهاب الدين أبوالمغازى صاحب كبرىج وما والاها من بلاد الهند^(٥) ولم تقتصر
 اعمال البركة المكرمة والمدينة المنورة بل كذلك كان هناك رباطا فى جده ينسب
 لابي هريرة رضى الله عنه^(٦) ولعل تلك التسمية ترجع الى التيمن باسم ذلك
 الصحابى الجليل رضى الله عنه .

ولم يكن دور هذه الأريطة مقتصرا على السكنى فقط ، فلقد كان يقطنها
 أناس من أفاضل العلماء فى ذلك الوقت ، وطلبة العلم وخاصة من الذين أتسوا
 مكة المكرمة والمدينة المنورة للمجاورة وطلب العلم ، فلقد كانت تجمع بينهم السكنى

-
- (١) الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ المكي ، ص ١٥ .
 - العصامى ، عبد الملك : سبط النجوم العوالى ، ج ٤ ص ٢٩٢ .
 (٢) الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ المكي ، ص ١٥ .
 (٣) الرشيدى ، احمد : حسن الصفا ، ص ١٤٦ .
 (٤) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيدي ، ص ٢٣٥ .
 (٥) السخاوى ، : الضوء اللامع ، ج ١ ص ١٩٤ .
 (٦) الحميرى ، محمد : الروض المعطار ، ص ١٥٧ .

والالفة والمحبة والاخوة الاسلامية ما جعل هناك نوعا من الترابط الاجتماعى ، نتيجة للتكافل الاجتماعى الذى أدى الى بناء مثل هذه الأريطة من قبل الملوك والامراء والتجار والأفنيا ، طلبا للثواب من الله سبحانه وتعالى ، وتشجيعا للعلم والعلماء ، وتهيئة السبل أمامهم لنيل العلم والاستفادة من علماء العالم الاسلامى ، الذين كانوا يجتمعون سنويا فى موسم الحج لتدارس أحوال المسلمين والافادة والاستفادة من غيرهم .

٧ — اقامة السبل لخدمة الحجيج وطلاب العلم :

تعتبر السبل والعياء بصفة عامة من أهم الضروريات والخدمات المقدسة للحجيج وطلاب العلم وأهل البلاد ، ومن السبل في مكة المكرمة في ذلك الوقت سبيل عطيه بن ظهيره شمال مكة ^(١) ، وسبيل قاسم الزنكي عند مسجد الراية ^(٢) ، وسبيل السيد ه أم الحسين بنت القاضي شهاب الدين الطبري بالمسعى ^(٣) ، وسبيل لابن بعلجد عن عين بازان عند منارة باب على بالسجد الحرام ^(٤) ، وسبيل الشريف حسن بن عجلان برباطه ^(٥) ، وسبيل لأم سليمان بالمعلاة ^(٦) ، وسبيل أنشأه القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م بالمعلاة ^(٧) ، وكذلك سبيل لعطيه المطير ^(٨) ، وسبيل جهة منى للشريف حسن بن عجلان أنشأه سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م ^(٩) ، وسبيل الست بطريق منى ^(١٠) ، والست هي أخت

-
- (١) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
 — الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٩ .
 (٢) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
 (٣) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
 — الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٩ .
 (٤) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
 (٥) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
 — الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٩ .
 (٦) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
 — الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٩ .
 (٧) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
 (٨) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
 (٩) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
 (١٠) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
 — الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٩ .

الناصر حسن صاحب مصر أنشأته سنة ١٢٦١هـ / ١٢٥٩م ، وسبيل المعلم عبد الرحمن ابن عقبة المكي قرب منى ، وسبيل بمنى أيضا لعطيه الطير ^(١) ، وشمال مكة المكرمة مما يلي التنعيم عدة سبل ، منها سبيل الزنجيلي وتاريخ عمارته ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م ^(٢) . وسبيل بنت القاضي عبد الرحمن بن عقبة المكي ، وسبيل أنشأته السيدة زينب بنت القاضي شهاب الدين الطبري سنة ١٢٦٥هـ / ١٢٦٢م ، وسبيل الملك المنصور صاحب اليمن ، وسبيل الجوخى بناء المقتدر العباسى سنة ٨٠٢هـ / ١٢٩٩م ، وسبيل عمره الشهاب المكين ^(٣) .

ولقد اهتم سلاطين وطلوك وأمراء العالم الاسلامى وأغنياء بتوفير السبل للحجاج وطلاب العلم فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وعلى طول الطريق البرى من الحجاز الى بلدان العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، فلقد اهتم المالكي بمصر بتوفير المياه لشرب الحجيج ، حيث نجد أنه فى سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م فى عهد السلطان المملوكى جقمق عمر ناظر الحرم بير خوجا عين حنين ، وأصلح مجاريها ورمها على نفقته ^(٤) .

(١) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

— الصباغ ، محمد : تحصيل الغرام ، ص ١٥٩ .

(٣) يقول بعد هذا السبيل سبيل المكين ، ويقول الفاسى أن المكين

عمر وسبيل الزنجيلي سنة ٨٠٨هـ () .

(٤) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .

(٤) شكرى ، د . محمد : لوحان أثريان ، ص ١٥ .

كما قام السلطان قايتباى المملوكى بإرسال الأمير سنقر الجمالى سنة ٨٧٥هـ / ١٤٢٠م ، وأمره بإصلاح عين عرقات بعد أن كان ماؤها قد انقطع لتربة مائة عمام ، وبني بجوار مسجد الخيف سبيلا وعمر بركة خليف على نفقته . (١)

ومن أعمال الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز فى ذلك الوقت سبيل بالنوريه من طريق وادى مر الظهران ، وسبيل بطريق جدّه ، (٢) عند بئر شمس .

ويذكر لنا المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد السبل التى أنشئت فى ذلك العهد وهى ، سبيل الخواجا شهاب الدين أحمد الكواز بالأبطح ، أنشئ سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م ، وسبيل بالمعلاّه للأمير مقل القديدى ، أنشأ سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م ، وسبيل الخواجا أحمد بن العاقل ، أنشأ سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م ، وسبيل الشيخ موسى بن عبد السلام الزمزمى فى طريق منى ، أنشأ سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م ، وسبيل الخواجا بدر الدين الطاهر ببنى ، أنشأ سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ، وسبيل

- (١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٤٠٦ .
 — ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٥٦ .
 — الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٦ .
 — الصيرفى ، على بن داود الجوهري : أبناء البصر بأبناء العصر .
 تحقيق وتقديم د . حسن حبشى : إرالفكر العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٢٠ ص ٢٤٦ .
 — بكرى ، حسين : تاريخ الخميس ، ص ٣٨٨ .
 — محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢٠٥ .
 — السليمان ، على : العلاقات التعجازية المصرية ، ص ٢١٨ .
 (٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٨٥ .
 — الظهيرى ، محمد : اتحاف فضلا الزمن ، ص ١٣٤ .
 — السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٥١ .
 — المعاصى ، عبد الملك : سبط النجوم العوالى ، ج ٤ ص ٢٢٩ .

الشيخ أبوبكر الشحرى بنى أيضا ، والسبيل الذى أنشأه يرمحجا ناظر الحرم
سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م ، ^(١) وسبيل السلطان قانصوه الغورى بباب ابراهيم بالمسجد
الحرام ، ^(٢) وكان السلطان قانصوه الغورى قد بنى بركة وادى بدر وآبار فى طريق
الحج سنة ٩١٢ هـ / ١٥١١ م . ^(٣)

ولقد أصلح الغورى عين عرقه قبل ذلك فى سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م ، بعد
أن كان قد أصلحها قبله السلطان قايتباى ، وتمت عمارة عين عرقه على يد الأمير
خاير بك ، ^(٤) بالإضافة الى اصلاحات قام بها السلطان غياث الدين سلطان البنغال
على عين زبيده ، ^(٥) التى كانت زوجة الخليفة العباسى هارون الرشيد قد قامت
ببنائها فى سنة ١١٩٤ هـ / ١٨٠٩ م . ^(٦)

وبالإضافة الى السبل كانت توجد بمكة المكرمة وآبار ، ويقال أن مجمل
ما احتوى عليه سور مكة من الآبار ثمانية وخمسون بئرا . ^(٧)

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٤ ص ٨٥ .

(٢) الطبرى ، على : الأرج السكى ، ص ١٦ .

(٣) بكرى ، حسين : تاريخ الخميس ، ص ٣٩٠ .

— العصامى ، عبد الملك : سطر النجوم ، ج ٤ ص ٥٣ .

(٤) السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٦١ .

— شكرى ، محمد : لوحان أثريان ، ص ١٥ .

(٥) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(٦) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٧ .

— شكرى ، محمد : لوحان أثريان ، ص ٩ .

(٧) الصباغ ، محمد : بتحصيل الغرام ، ص ١٥٨ .

وكان لا اهتمام الملوك والسلاطين والأشراف والأغنياء بالعالم الاسلامي ففى ذلك الوقت بتوفير الماء الصالح للشرب لحجاج بيت الله الحرام والمقيمين فى مكة من طلاب العلم والمجاورين كبير الأثر فى خدمة الحجيج ، وساعدة طلاب العلم على نيل علومهم فى راحة ويسر ، الأمر الذى شجع على تزايد اعداد الحجيج والمعتمرين للاماكن المقدسة والمجاورة بها لتوفير ما يصبون اليه من راحة وطلب العلم على يد مشائخها والمرتادين من علماء الامة الاسلامية .

الخاتمة

ما سبق عن تاريخ منطقة الحجاز في الفترة من سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م الى سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، يتضح لنا أنه مر بفترتين سياسيتين ، الأولى في عهد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ، التي امتازت بالهدوء السياسي والأمن والتوسع لسيطرة الشريف محمد بن بركات على مقاليد الأمور في البلاد ، وذلك نتيجة تصرفه السليم في ادارة شئون البلاد على الصعيد الداخلي والخارجي ، وكذلك تصرفه السليم تجاه الدولة المملوكية التي كانت لها السيادة الاسمية على الحجاز ، بحيث كان يرضى الأطماع المملوكية ببذل العطايا والأموال لتلك الدولة على شكل هدايا في حين كان يحافظ لها على السيادة الاسمية على الحجاز ، وأن لم يخل عهده من بعض الفتن التي استطاع السيطرة عليها قبل استفحالها ، مثل خروج وزيره بديد عليه سنة ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م ، وخروج أخيه الشريف علي عليه سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م ، وخروج الشريف رميثة بن أبي القاسم عليه أيضا سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م ، ولكن الشريف محمد بن بركات استطاع بذكائه وحسن تصرفه في معالجة الأمور بحكمه مكنته من البقاء على سلطة الحجاز ، واستطاع أن يقض على تلك الفتن ويبقى مدة طويلة في الوقت الذي أظهرت الدولة المملوكية اطماعها المادية من جمع الأموال لخزينة تلك الدولة .

لقد مارس الشريف محمد بن بركات كامل صلاحياته من سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م بتدعيم من الدولة المملوكية له وفي الحقيقة تعتبر فترة تولي الشريف محمد بن بركات حكم الحجاز من أهدأ وأطول الفترات بالنسبة لغيره من الأشراف الذين تولوا السلطة في الحجاز .

أما الفترة السياسية الثانية التي مرت بالحجاز في فترة بحثنا هذا فكانت فترة مضطربة ، مما أثر على سكان الحجاز والمجاورين بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك على الحجاج ، وذلك حينما تولى الامارة الشريف بركات بن محمد بعد وفاة والده الشريف محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧ م ، بحيث كان مشاركاً لأبيه في أمرة الحجاز منذ سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٣ م ، فلقد خرج عليه أخوه الشريف هزاع بن محمد الذي طلب التأييد من الدولة المملوكية بمصر ، ولكن السلطان المملوكي رأى عدم تأييده لخوفه من خروج الشريف بركات بن محمد على السيادة المملوكية على الحجاز الذي قد يحرمها من مكاسب مادية ومعنوية لما يتمتع به الشريف بركات من خبره سياسيه وقوة شخصية وشعبيته لدى السكان ولكن الشريف هزاع لقي مؤيِّداً له في سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠ م عندما أيداه الأمير المملوكي قانصوه المحمدي الذين عين أميراً على الشام من قبل السلطان المملوكي قانصوه الغوري ، نتيجة حقد ه على الشريف بركات بن محمد الذي لم يلتفت اليه سابقاً عندما قدم الحجاز مطروداً من السلطان طومان باي .

وفي الحقيقة ما كان الشريف هزاع يسيطر على الحجاز لولا موافقة الدولة المملوكية التي وافقت على تأييده والاعتراف به وارسال الخلع له قدم لها من أموال ، في حين كانت تلك الدولة تظهر أنها تنوى الصلح بين الأخوة من أبناء الشريف محمد بن بركات .

وتذكر لنا بعض المصادر أن السلطان المملوكي الغوري قد أيد صراحة الشريف هزاع على سلطة مكة المكرمة ^(١) واستمر الوضع عدائياً بين الشريفين بركات

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية الغرام ، ج ٣ ص ١٠٣ .

وهزاع الى أن توفي الشريف هزاع سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م ، لتبدأ فترة صراع أخرى بين الشريف بركات وأخيه الشريف أحمد الجازانى الذى تولى بعد أخيه الشريف هزاع حكم مكة المكرمة ، وكمادة الدولة المملوكية كانت تيمت بالمراسيم والخلع للشريف الذى يستولى على السلطة بالقوة العسكرية ويدفع أكثر قدرا يمكن من الاموال لها فبعثت بها للشريف أحمد لأخذ السلطة بالقوى العسكرية ودفع أموال وهدايا للدولة المملوكية بغض النظر عما سببه ذلك الصراع من اضطراب داخل الحجاز ، ولقد مر الصراع بين الأخوين بركات وأحمد بالكثير من المعارك والاضطراب فى الحجاز ، ولم تقف الدولة المملوكية عند تأييدها للشريف أحمد بل قبضت على الشريف بركات وأخذته الى القاهرة سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م لتأمن جانبه على سيادتها الاسمية ، وجعلت البلاد بيد الشريف أحمد وأنصاره مثل الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع ، ومالك ابن روى الزبيدى من أهل خليص ، ولكن الشريف أحمد قتل فى المسجد الحرام سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م على يد جماعة من الترك المقيمين بمكة المكرمة وقد يكون قتله بايحاء من الدولة المملوكية لخوفها زيادة نفوذه ولتعيين أخيه الشريف حميضة على الحجاز ، وفى ذلك الحين استطاع الشريف بركات الفرار من سجنه بالقاهرة ، الى الحجاز ، وتمكن من استعادة سلطته بالحجاز ، ووصلته المراسيم المملوكية بالتأييد والاعتذار عن ما حصل له وقد يكون ذلك لخوفها من أن يثير الشريف بركات مشاكل ضدها ويسبب لسمعته كحامية للحرمين الشريفين وخاصة فى تلك الظروف التى تمر بها الدولة المملوكية فى حين لم تكن تلك الدولة تستطيع أن تقاوم الشريف بركات لما كانت تواجهه من مشاكل داخلية وخارجية فى ذلك الوقت .

ومن تلك الأمور يتضح لنا مدى ما وصلت اليه السياسة المملوكية تجاه الحجاز من اثاره الفتن بين أشرف الحجاز لى تستطيع بسط سيطرتها على تلك المنطقة وخاصة بعد ازدهار موانئ الحجاز التجارية بعد أن أصبح البحر الأحمر الطريق الذى تسلكه بضائع الشرق المارة بمصر والشام ، لتتقل بدورها الى أوروبا ، وما كانت

تجنیه الدولة المملوکیة من أرباح هائلة من تلك التجارة .

وباستعراض علاقات الحجاز الخارجية بالقوى الاسلامیة فی ذلك الوقت ، اتضح أن للحجاز علاقات مشتركة تقوم على روابط الأخوة الاسلامیة والمصالح المشتركة والتجارة المتبادلة بينها وبين كل من اليمن وشرق الجزيرة العربیة والعراق والدولة العثمانیة ، وغيرها من الدول .

ولكن تلك الفترة منیت بالفتوح الصلیبی البرتغالی لمواهل بحار جنـوب العالم الاسلامی فی آسیا وأفريقيا فی محاولة صلیبیة لغزو الحجاز فی أهم منطقتین فی العالم الاسلامی مكة المكرمة والمدینة المنورة للقضاء على الاسلام والمسلمین .

فلقد تعرض العالم الاسلامی فی تاریخہ لحقد وکراهیة من القوى الصلیبیة فی العالم تستهدف القضاء على ذلك الدین القيم ، وما یدل على حقد هم على الاسلام قول البوکرك نائب الملك البرتغالی فی الهند فی خطبه ألقاها على رجاله ، قوله بأنه سيقدم خدمة جليلة الى الله بطرد العرب من هذه البلاد ، واطفائه شعلة محمد صلى الله علیه وسلم بحيث لا یندلع لها هنا بعد ذلك لهیب ، وأنه على یقین أن مكة والقاهرة ستصبحان أثر بعد عين . (١)

ولقد سمی هذا الاعتداء بالكشوف الجغرافیة وهل كانت تلك الاماکن غیر معروفة لیکشفوها ویأتوا بجديده؟ مع أن هدفه الحقیقی هو ضرب الاسلام والمسلمین ، ولقد كانت هناك محاولة للتحالف بین البرتغالیین والأحباش على البلاد الاسلامیة ،

(١) سعداوی ، د . نظیر : دولة البرین والبحرین ، ص ١٦٢ .

ولكن اختلاف المذهب المسيحي بين الدولتين أوجد نوع من الحذر بينهما ، فلقب كانت الحبشة تتبع الكنيسة العرقية في مصر والبرتغال تتبع الكاثوليكية الخاضعة للبابا في روما ، وكانت البرتغال تنوى ادخال المذهب الكاثوليكي الى الحبشة ، وحينما عجزت البرتغال عن تحطيم القوى الاسلامية في المحيط الهندي نرى أنها تفرض على التجارة الشرقية سلوك طريق رأس الرجاء الصالح بدلا من الطريق المار بالدولة الاسلامية لكي تستطيع اضعاف العالم الاسلامي اقتصاديا وبالتالي تستطيع السيطرة عليه حربيا ، فقاومت الدولة المملوكية ذلك النفوذ البرتغالي بمساعدة تهاالقوى الاسلامية التي تعرضت للهجمات الصليبية عن طريق ارسال الأمير حسين الكردي القائد المملوكي لمحاربة البرتغاليين بوصفها حامية الحرمين الشريفين في ذلك الوقت ، .

ولكن استطاع البرتغاليون الحاق الهزيمة بالقوات المملوكية في معركة ديو البحرية في المحيط الهندي سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م ولكن المماليك استطاعوا اعادة بناء أسطولهم مرة أخرى بمساعدة من الدولة العثمانية التي كانت على خلاف مع الدولة المملوكية ولكنها رأت أن ذلك واجبا عليها لمحاربة الصليبيين .

وحاولت الدولة المملوكية محاربة الصليبيين البرتغاليين مرة أخرى ولكن نجد أن ذلك الأسطول بدلا من أن يهاجم البرتغاليين يقوم بالاشتياك مع الدول الإسلامية الطاهرية باليمن لعدم تقديم تلك الدولة المساعدات للأسطول أثناء رحلته المستهدفة منها ضرب القوى الصليبية البرتغالية ، لخوف الطاهريين من أن تقديم مساعدتهم للأسطول يعنى خضوعهم للدولة المملوكية .

وفي الحقيقة كان على الدول الاسلامية في ذلك الوقت وخاصة المملوكية والطاهرية مراعاة الظروف التي يمر بها العالم الاسلامي ، والاتحاد لمواجهة الغزو الصليبي بدلا من أن يترصد كل منها بالآخر ، وكان على الدولة الطاهرية تقديم كل

ما أمكن من المساعدات لتدعيم الأسطول المملوكى لمواجهة البرتغاليين المستهدفين
تخريب مكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة والعالم الاسلامى بصفة عامة ومنه الدولة
الطاهرية .

أيضا كان على الدولة الصفوية أن تهاجم البرتغاليين بدلا من أن تتعاون
معهم ضد الدولة العثمانية الاسلامية التى استطاعت أن تقضى على الدولة المملوكية
والتي أخذت على عاتقها نشر الاسلام فى أوروبا فى ذلك الحين ، مما أعطى البرتغاليين
فرصة لتثبيت وجودهم فى المحيط الهندى ، فلو كانوا وجدوا الدول الاسلامية
متضامنة فيما بينها لما استطاعوا احراز أى نصرا ضد المسلمين .

اما الناحية الاقتصادية فى الحجاز فى تلك الفترة والمتمثلة فى الحج
ومردوده الاقتصادى على الحجاز ، و دور الموانى الحجازية فى التجارة الدولية التى
من أهمها ميناء جدة وينبع ورابغ وغيرها من الموانى الحجازية التى أسهمت بدور
كبير فى التجارة العالمية فى ذلك الوقت .

وأیضا ما لعبته الطرق التجارية البرية التى كانت تمر بالحجاز ، وتوصل
اليه سلما مختلفة عن طريق عدن والشام والعراق وبصرى ، وخاصة فى موسم الحج ،
حيث كان الحجاج ومنهم تجار يأتون الى مكة المكرمة محملين ببضائع مختلفة من
بلد انهم ويقومون ببيعها لتها ببضائع البلاد الأخرى .

ولكن بعد تحول التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح نجد أن
الحجاز وغيرها من مناطق العالم الاسلامى تتأثر كثيرا فى ذلك الوقت ، ولسولا أن
موانى الحجاز تستقبل الحجاج سنويا لفقدت أهميتها نهائيا كموانى ، مما أثر على
الاقتصاد الحجازى بصورة كبيرة ، ومن الأمور التى أثرت على الاقتصاد الحجازى أيضا

الصراع الذى دار بين كل من الدولة المملوكية والصفوية والعثمانية بسبب الصراع على مصالحهم السياسية ، حيث تمكنت الدولة العثمانية من قفل الطريق الذى كانت الدولة المملوكية تستقدم منه الماليك الجلبان من أواسط آسيا الى مصر ، وهم يكونون عنصرا مهما فى الدولة المملوكية ، مما أوجد نوعا من العلاقات المضطربة بين الدولتين العثمانية والمملوكية ، اضافة الى التعاون القائم بين الدولتين الصفوية والمملوكية ضد الدولة العثمانية التى كانت على خلاف مع الدولة الصفوية نتيجة لاختلاف المذهب والاختلاف فى السياسة ما أدى لمواجهة بين العثمانيين والصفويين سنة ٩٢١هـ / ١٥١٤م وانتصار العثمانيين على الماليك والقضاء على الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م .

ولعل هذا الصراع يفسر لنا طمع الدولة المملوكية لجمع الأموال وإثارة الفتن والمنازعات بين أشراف الحجاز للحصول على أكبر قدر من الأموال لمواجهة الفتن والمعارك التى كانت بينها وبين الدولة العثمانية وغيرها .

ولقد عبر المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد عن ذلك الوضع بقوله :
(فان العادة لم تزل من قديم الدهر فى الجاهلية والاسلام ، أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة الى مكة لتفرق فى أشرافها ومجاوريتها ، فانعكست الحقائق وصار المال يحمل من مكة وأهلها) (١) .

ولقد أستمعرت بعد ذلك التركيب الاجتماعى لسكان الحجاز وما كان سائدا من عادات وتقاليد كانت تجلب اليه من أنباء الأئمة الاسلامية التى تغيد الى مدنه وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة اضافة الى عادات وتقاليد الحجاز العامة .

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، ج ٣ ص ٦٢١ .

ثم تطرقنا الى الناحية العلمية في الحرمين الشريفين وأثر علماء الحجاز والمجاورين في مختلف العلوم في تلك الفترة حيث كانت الحجاز ملتقى كثير من علماء العالم الاسلامي يدرسون ويدرسون ويطمأنون الى جوار بيت الله الحرام .

حيث نشأت المدارس والبيوت العلمية في تلك الفترة مستعرضين بتظرة عامة شئون الحرمين الشريفين والاصلاحات في المسجد الحرام والمسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام .

واستعرضنا الأربطة المقامة في كل من مكة والمدينة وأثرها على الناحية الاجتماعية والعلمية في ذلك الوقت حيث كان يسكنها الكثير من طلاب العلم من مختلف أجناس العالم الاسلامي حيث حرصت الدولة المملوكية ومن قبلها ، وكثير من أغنياء العالم الاسلامي على توفير سبل الراحة والمعيشة لطلاب العلم والمنقطعين من حج وعمره والمجاورين والمنقطعين للعبادة في مكة المكرمة والمدينة المنورة فقاموا بإنشاء الكثير من الأربطة والسبل خدمة لطلاب العلم والحجيج .

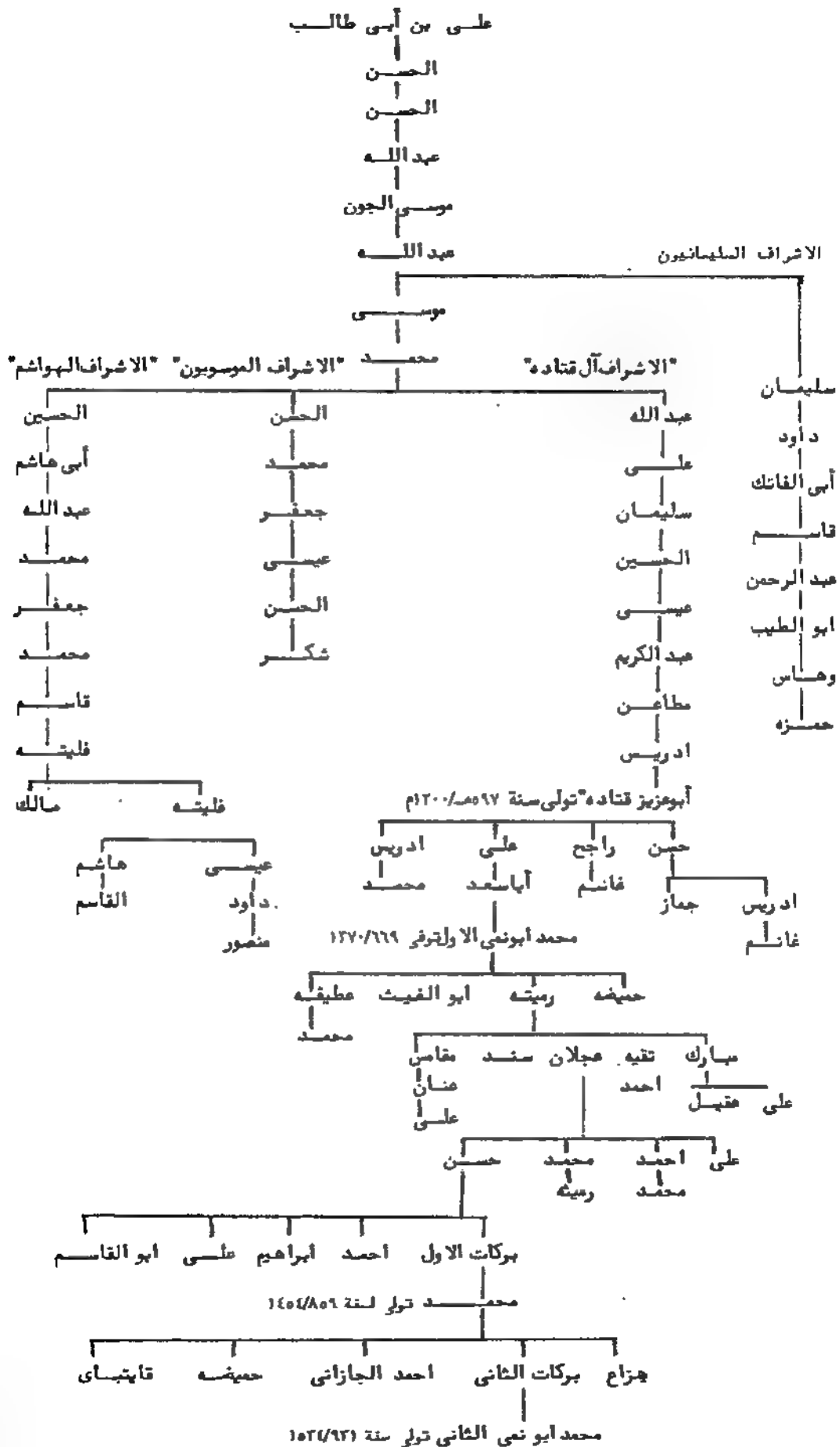
أسأل الله أن أكون قد وفقت في استعراض أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية في تلك الفترة بهدف ايضاح جزء من تاريخ تلك المنطقة العزيزة على كل المسلمين لما تضمه من مقدسات في أقدم وأطهر بقعتين على وجه الأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة .

والله من وراء القصد أنه حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

المؤمنين

ملحق رقم (١)

" صورة توضيحية تبين تسلسل نسب أسر الاشراف التي حكمت مكة المكرمة في ذلك الوقت وهم الاشراف الموسويين و الاشراف السليمانيون و الاشراف الهواشم و الاشراف آل قتاده " .



ثم انحصر حكم مكة المكرمة في أبناء الشريف محمد ابو نعي الثاني حيث تداول الحكم في ابناءه أولا آل زهد وآل بهركات ثم بعد ذلك في آل عين من العبادلة.

نص رسالة السلطان العثماني محمد الفاتح الى شريف مكة يشره بفتح
القسطنطينية .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . أدام الله طو المقر الكريم
السيد السندي الشريفي الأشرفي الأكرم الأعلى الأورعي الأمامي الهامى الواحدى
الامجدى العالمى العالى الأعظمى الأولوى الأعلى العلوى المشيدى المؤيدى
النصيرى الظهيرى الظاهرى الطاهرى على قواعد الموسم والحرمين ، حامى مشاهد
البقاع الشريفة والعروتين ، مؤسس مواسم العظمة والجلال ، مؤكد معاهد المقاصد
والآمال ، مطلع لوايع العز والتمكين ، مظهر آثار الملك والدين ، قلدة أكباد
الرسول زبدة أحفاد البتول ، أمير المسلمين وولى المؤمنين ، خلاصة أولاد شفيع
المذنبين ، وهو السيد الشريف والقلم المنيف سلطان بيت الله تعالى شرفه الله
وحواليه ، علاء الدولة والبلدة والدين السيد الأحسبى العجلانى الحسنى ، زاد الله
تعالى سعادته وأدام سيادته ولا خلا فى دولة لا تنهدم دارها ونعمة لا تنفصم
آثارها ، ولا زالت أسباب مودته ومحبه مؤكدة وعقود موالاته وهمة منتظمة منضدة مدى
الدهور والأعوام ، بحرمة سيد الأولين والآخرين . وبعد : فقد أرسلنا هذا الكتاب
مبشرا بما رزق الله لنا فى هذه السنة من الفتوح التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ،
وهي تسخير البلدة المشهورة بقسطنطينية الملاصقة بمرج البحرين ، وفى مقابلتها
مدينة أخرى موسومة بفيلطة ، وفى جانبها الشرقى بلدة أخرى معلمة بأسكسدار ،
أما الأولى فكأنها شعبان له سبع رؤوس من قتلها المشتهرة وتلك القل سبسع رواس
شامخات حصينة رفيعة مهيأة بأمر الله عز وجل لمقر الخلافة الاسلامية ومرزوقة لنا
بتقدير الحكم السبحانية ولا شك أنها سلطان البلاد . والآخران من جنبيها يميننا
وشمالا كخادمين فى طرفى السلطان ، فلما توجهنا وعزمنا عليها هجم علينا الكفار
الملوءة فيها خارجا وداخلا ، وحابوا معنا ، فقام المحاربة بيننا وبينهم قريـنب

شهرين بعد اباثهم عن اعطاء الجزية الشرعية ، ثم عجزوا عن القتال وهربوا من
الجدال ، فازدحم أهل الاسلام وجاهد كل من المجاهدين عن البر والبحر حتى
الجهاد ، فقبروا من السور وصعد جم كثير من الكفاة الموحد بين فوق منافذ جدرانها
المندرس من المنجنيق والمرادة ، قد خلوا في نفس هذه البلدة المتبركة المنورة
بقدم الموحد بين بالتكبير والتهليل يوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الاولى ،
فقطع في مبدأ الاول رأس رأس هذه الملاعين - أعتى التكفور اللعين - أولحق بجهنم
مع سائر المقتولين من المشركين ، فخرّبوا دورهم وكسروا صلبانهم وأغاروا على خزائنهم
وأموالهم ، وأسروا ذرارهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم القيسية مساجد الأئمة
المحمدية ، وجمع الأئمة الأحمدية ، وطهر تلك المواقع عن الارحاس الرهبانية والانجاس
النصرانية : فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . وأما بقيصة
السيوف ففعلونا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية سعيا لبيت المال . فلما تشرف
منابر الخطب بشرف ألقابنا العلية الباهرة ، وتزين وجوه الدراهم والدنانير المسكوكة
بزينة اسمائنا الجليلة الطاهرة ، جهزنا الى خدمتكم فخر المقربين وزين حجج
الحرمين خواجه حاجي محمد الزيتوني ، حفظه الله في الذهاب والاياب ورزقـه
الوصول والمعاودة بالخير والصواب ، لتبليغ الرسالة وترسيل البشارة ، فالأمول من
مقر عزكم الشريف أن ييشش بقدم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى مع سكان
الحرمين الشريفين والعلماء والسادات والمتهدين والزهاد والعباد والمالحيين
والمشايع الأمجاد الواصلين والائمة الاخير المتقين والصفار والكبار أجمعين ،
المتسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام التي كالعروة الوثقى لا انفصام ،
والمشرفين بزمزم والمقام ، والمعتكفين في قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام ،
داعين لردام دلتنا في العرفات ، متضرعين من الله بنصرتنا - أقاض الله علينا
بركاتهم ورفع درجاتهم بالنبي النبي وآله وذويه - ومعتنا مع المشار اليه هدية لكم
خاصة ألقي فلوري من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من تلك الغنيمة ،
وسبعة آلاف فلوري أخرى للفقراء ، منها ألفان للسادات والنقبا ، والألف للخدام

المخصصة بالحرمين ، والباقي للمتكئين المحتاجين في مكة المعظمة والمدينة المنورة
 - زادهما الله شرفا - فالرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقدهم واشعار
 كيفية السير اليها وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما باللطف والاحسان ان شاء الله
 تعالى . والله يحفظكم ويقيكم بالسعادة الابدية والسيادة السرمديّة الى يوم الدين
 آمين يارب العالمين . صلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين .
 (١)

متانة حصنها مشهوره بين الأنعام ، وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعوام ،
 وحمدنا الله تعالى بتيسير ذلك الأمر العسير وتحصيل ذلك المهم الخطير حمدا
 يوافي نعمه وشكرا يكافي كرمه ، على أن أداءها فريضة مشككة ، وإحصاءها خارج من
 الطاقة البشرية ، مقربين بالعتذار والتقصير راجين الاعانة منه في طاعته انه على ذلك
 قدير ، حسب ماورد في الاخبار من الاخبار أن اعتراف العبد بقصور خدته كمسؤولا ،
 عند الغفلة سهوا أو من عدم الاقتدار سعيا ، معدود من أحسن العبادات ، والقبول
 موقوف على رضائه حال التضرع في الخلوات .

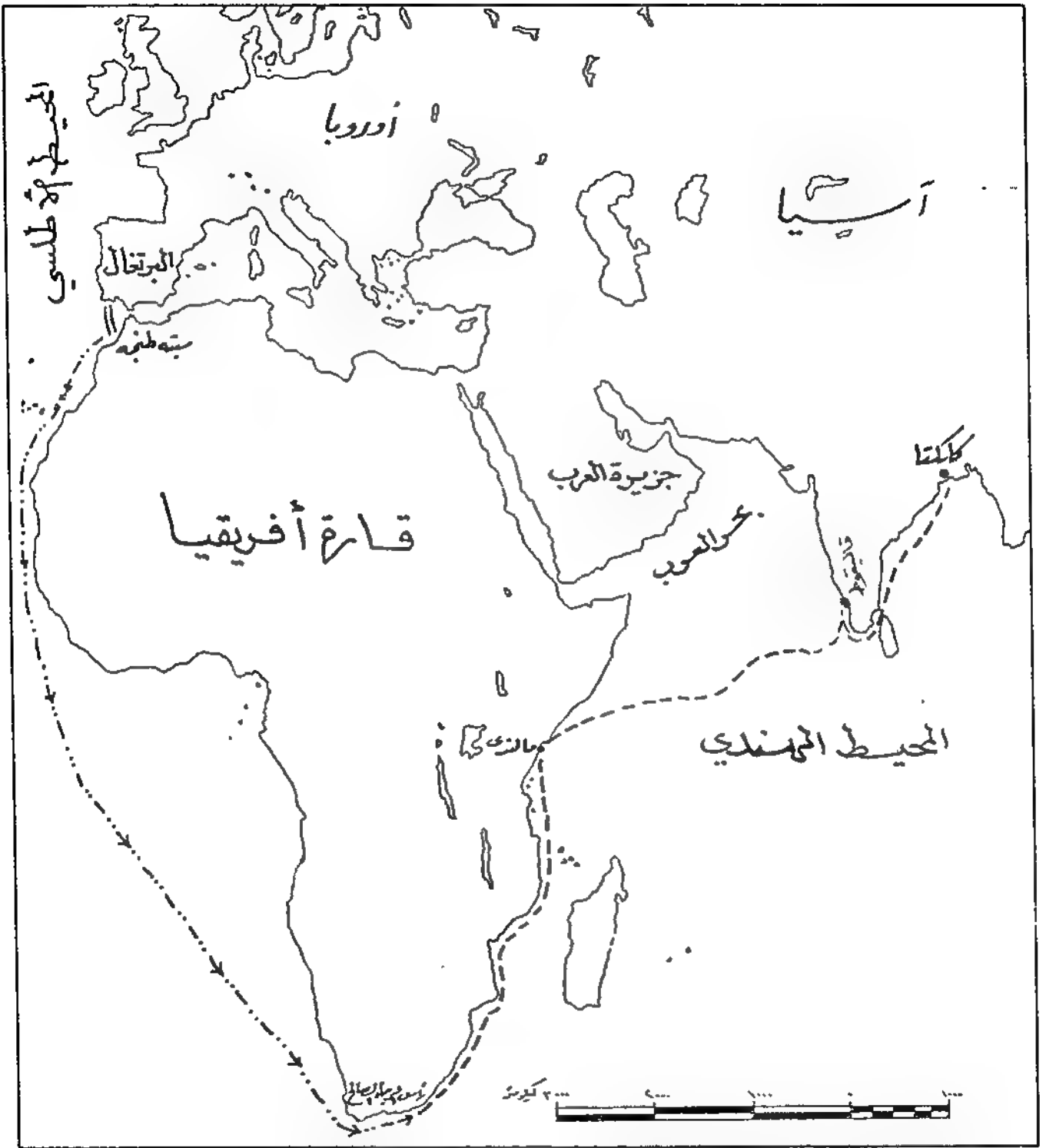
اللهم يارب الكعبة وعرفات ، ويانور الارض والسموات : انصر من نصر الدين
 واحفظ من حفظ المسلمين ، واكتب السلامة على كافة الغزاة وعامة المجاهد —
 والمسافرين في برك وبحرك يارب العالمين ، وفرحنا بها نهاية السرور وبششنا بذلك
 غاية البشاشة ، وابتهجنا من احيا مراسم آباءكم العظام ، والسلوك بمسلك اجدادكم
 الكرام ، روح الله ارواحهم وجعل أعلى غرف الجنان مكانهم ، في اظهار المحبة
 لسكان الأراضي المقدسة من الفرق الاسلامية علا بدلول : والحب يتوارث ، واهدائكم
 لنا ولسائر السادات والفقراء والصلحاء والعلماء والمسؤولين بما قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم " خيار أمتي قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا
 خوف عذاب ربهم بالفداة والعشي في البيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغبا ورهبا
 ويسألون بأيديهم خفضا ورفعا ، مؤمنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم كثرة الحديث
 تسعة آلاف فلوريات الجديدة بالسكة المحمدية من أنفال تلك البلدة العظيمة
 المعينة تقسيمها في مراسلتكم اللطيفة ، فعللنا بحسب الإشارة الشريفة ، فقبض كل
 واحد من المستحقين كل القبض . وقال الناظرون عليها : النرجس الأصفر خير من
 الابيض ، واستلأت أكف الفقراء من الذهب الأصفر فصاروا كطالبى الاكسبر الواصلين
 الى الكبريت الأحمر ، داعين لكم بخلوص الجنان راجين قبوله من الله الملك المنان
 كما قال عليه السلام : دعاء المحسن اليه للمحسن لا يرد ، حامدين الله على أنعمه
 في الأيام وساعاتها علا بما قال عليه السلام : " الحمد لله على النعمة أمان من زوالها "

والسؤال من فضل الله الكامل أن ينالكم خير الدارين العاجل والآجل كما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم : "جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها الا نبي أو صديق أو امام عادل . . . الى آخر الحديث . والملتص من جنابكم السامع أن يحيط علمكم على أموال فقراء هذه الديار بالأصل والفرع ، يوزيد لطفكم على الضعفاء المتكئين بواد غير ذي ذرع ابتغاء لمرضاة الله يوم معاده كما قال عليه السلام : " غصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : الايمان بالله والنفع لعباده " ، ومعتا مع الحاجي زين الدين المشار اليه قدوة الصالحا والتورعين مولانا نجم الدين السيوطي ، زاد الله تقواه ، لينوب عنا في تقبيل سدتكم السنينة وتلثم عتبتكم العلية ، وأتحفنا لخدمتكم برقع باب مكة المعظمة والأقشة الهندية الخوعة سبع طقوزات وعشرين شاشة ، المبلولة بما زمزم ، ورأس رمكة معلمة طائرة في الهوا كحمامة الحرم ، فالمرحون نواب أبوابكم العالية الانعام بالمقبول والعذر عند كرام الناس مقبول . أدامكم الله وأيدكم بالدولة القاهرة والسلطة الباهرة الى يوم الدين آمين . (١)

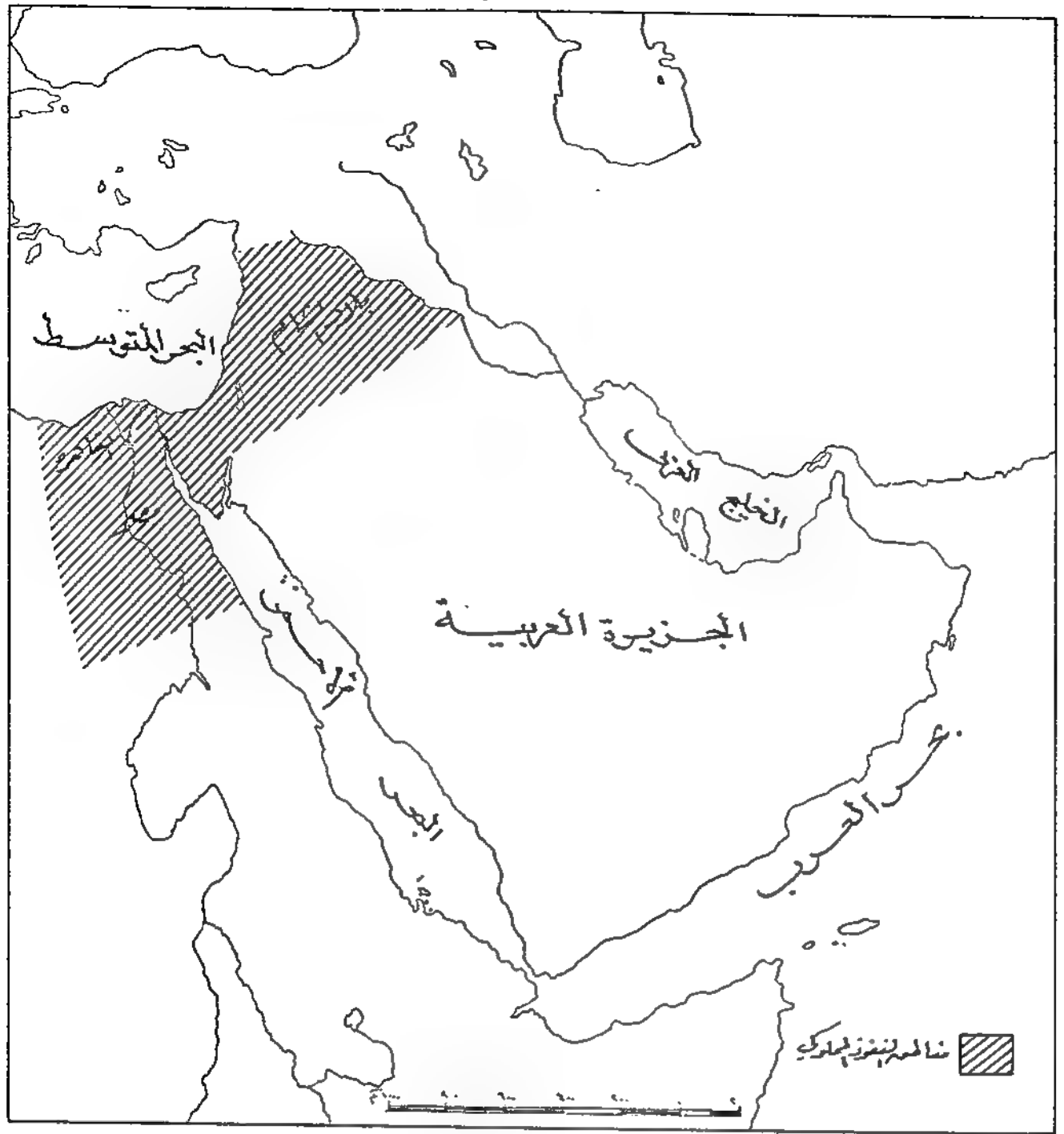
(١) حماده ، ماهر : سلسلة وثائق الاسلام ، ج ٦ ص ٤٦٠ .

(٢٣٦)

ملحق رقم (٤)



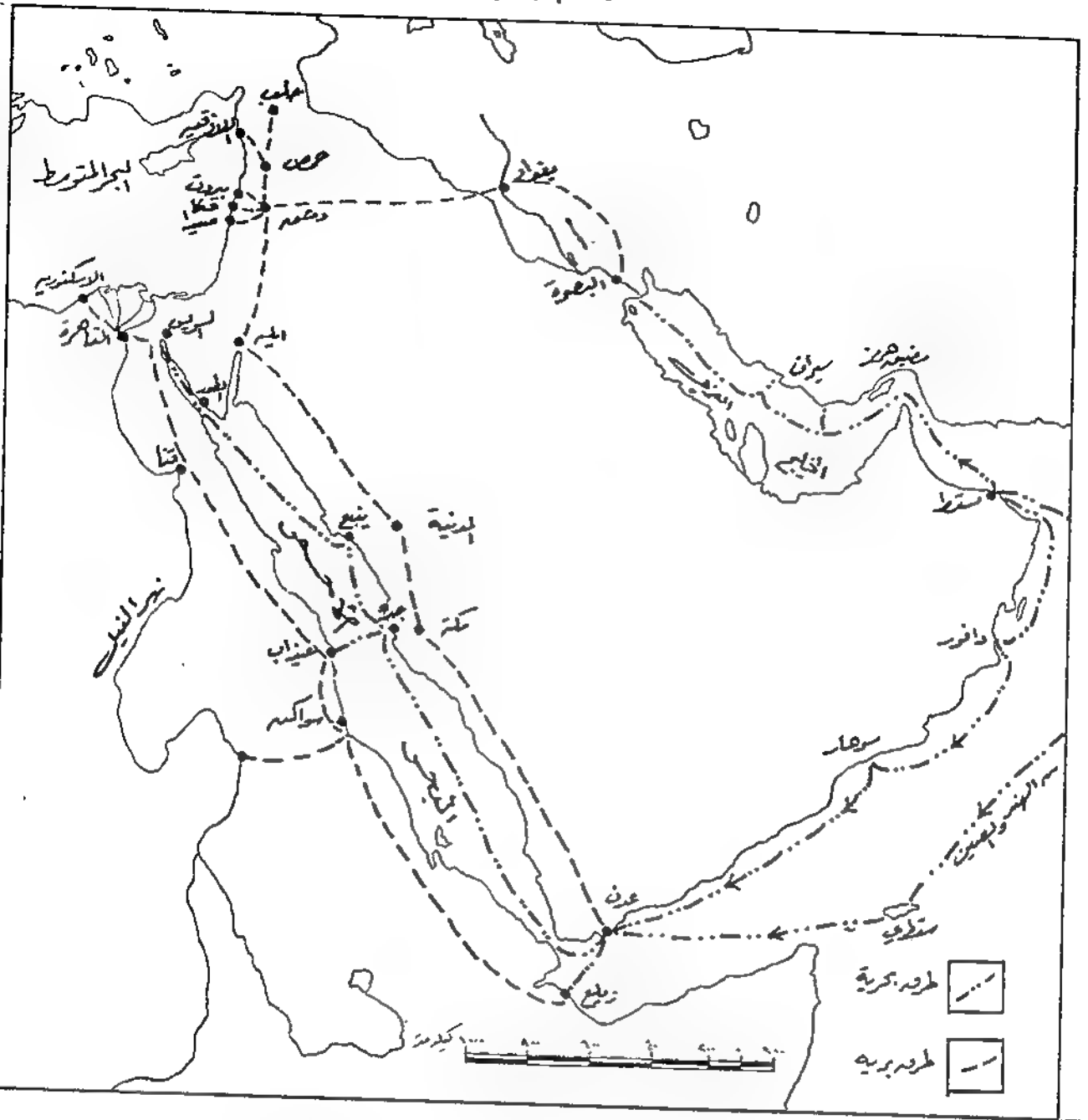
== وصول البرتغاليين إلى ساحل إفريقيا
... وصول بارناردو دياز إلى رأس الرجاء الصالح
... وصول فاسكو دي جاما إلى شرق إفريقيا وسواحل الهند



منطقة نفوذ الدولة المملوكية

(٢٣٨)

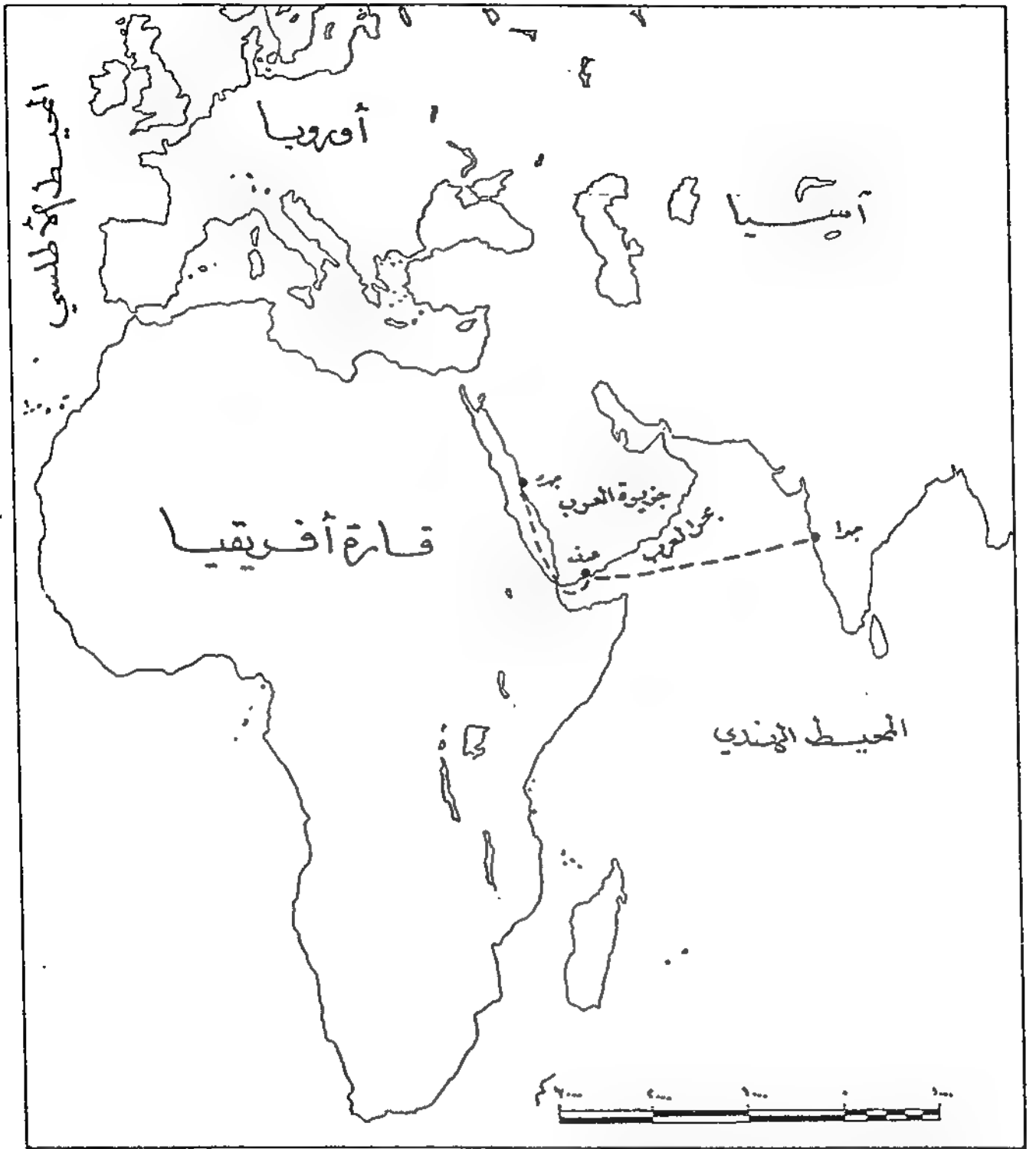
ملحق رقم (٦)



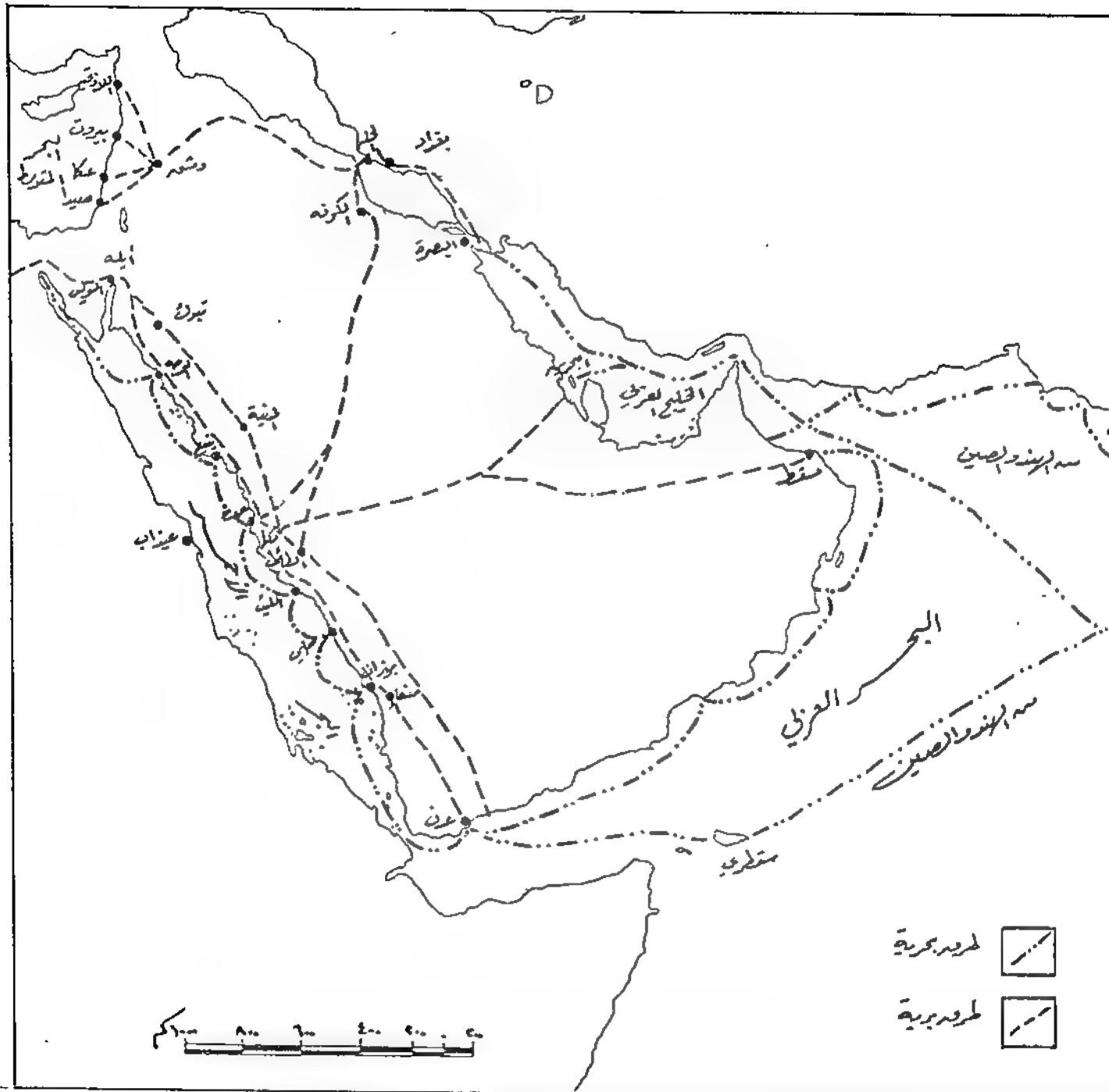
طرق التجارة البرية والبحرية المارة بأراضي الدولة الإسلامية في الشام ومصر

(٢٢٩)

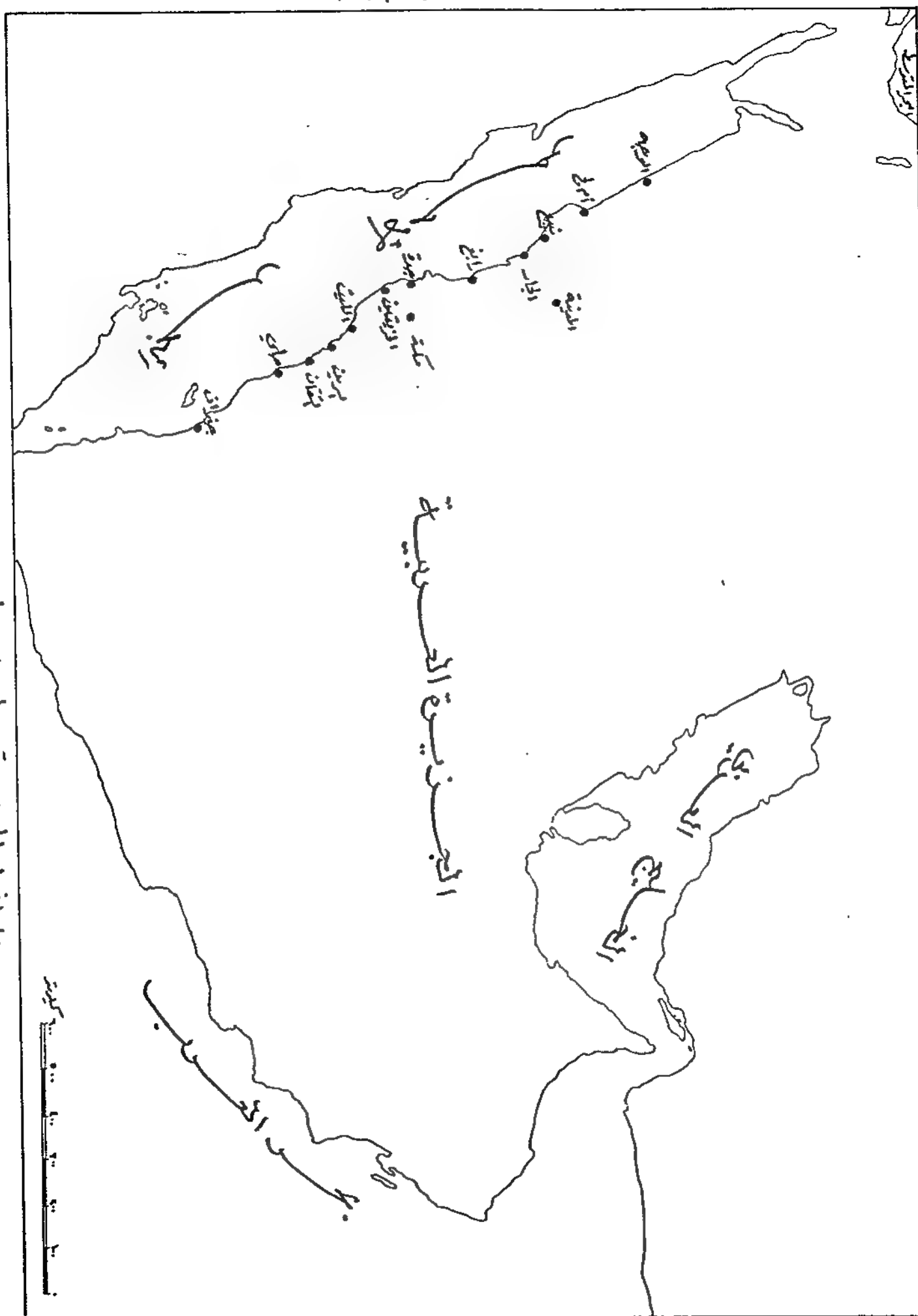
طابق رقم (٧)



____ ما دلت البرقايلين الوصول إلى مكة بقيادة البركات سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٢ م والتي لم يتم لها تحقيق
أغراضه بسبب سريخ بعض اللصوص على المقتدرين .
ثم حاولت توابعه سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م والتي استطاع منها القائد سليمان البرقي .



الطرق البحرية والبحرية المارة بالحجاز



المصنفون والمؤلفون

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم :

ثانيا : المخطوطات :

- ابن حميد ، سالم بن محمد .
 العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة ، مخطوط ، جامعة
 أم القرى ، المكتبة المركزية ، رقم ٢٣٧٠ .
- البسنوي ، علي بن دود .
 مناقب مكة المكرمة ، مخطوط ، جامعة أم القرى ، مكتبة معهد البحوث
 العلمية بجامعة أم القرى . مصورة عن مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم
 ١٦٠٧ .
- الحضراوى ، أحمد بن محمد بن أحمد ت ١٣٢٦ هـ .
 * الجواهر المعدة في فضائل جدة ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم —
 ٢٧ د هلى .
- تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير ، ج ٢ ، مخطوط ، مكتبة مكتبة
 رقم ١٢٢ .
- السنجارى المكي ، علي بن تاج الدين ت ١١٢٥ هـ .
 مناقب الكرم في أخبار والبيت ولاة الحرم ، مخطوط ، جامعة أم القرى
 المكتبة المركزية ، رقم ٢٧٥٠ .
- الشافعى ، عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج ت ١٠١٠ هـ .
 السلاح والعدة في تاريخ جدة ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم ٢٨ د هلى
- الشيبانى ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع ، ت ٩٤٤ هـ
 قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، معهد البحوث العلمية
 بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة باريس رقم (٢٩٠)

- الشيلي ، محمد بن أبي بكر الحسن ، جمال الدين ت ١٠٩٣ .
- المنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر .
- الصباغ ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد ، المكي المالكي (كان حيا —
١٢٤٣ - ١٣٢١) .
- تحصيل الحرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم
وولاتها الفخام ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم الفلم ١٠٦٦ .
- الصديقي ، محمد بن محمد أبو السرور زين العابدين محمد بن أبي المكارم
البكري ت ١٠٨٧ هـ .
- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطوط ، جامعة أم القرى ،
مكتبة معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، رقم ٤٦٣ .
- الطاهر ، عبد الهادي بن محمد صالح (كان حيا سنة ١١١٦ هـ)
الدر الفاخر في خبر الاوائل والآخر ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، مصورة
بمكتبة معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى برقم ٢٥٠ تاريخ .
- الطبري ، علي عبد القادر ت ١٠٧٠ هـ .
- الارج المسكن من تاريخ المكي ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم الفلم ٢٣٦٣
- الطبري ، محمد بن علي بن فضل بن عبد الله بن يحيى الحسيني ، ت ١١٦٣ هـ
اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن وولاية قتادة ، جد ، مخطوط
مكتبة الحرم ، رقم ١٢٦ دهلوي .
- العشاني ، أحمد بن سعد الدين العمري ت ١٠٥٠ هـ .
- ذخيرة الأعلام تاريخ أمراء مصر في الاسلام ، مخطوط ، جامعة —
أم القرى ، مكتبة معهد البحوث العلمية ، رقم ٢٦١ .

— الكيسى الحسنى ، محمد بن اسماعيل محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد
ابن أحمد بدر الدين .

اللطائف السنية فى أخبار الماليك اليمنية ، مخطوط ، مكتبة معهد
البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة كورسني بايطاليا ،
رقم (٤١٦)

— المعبرى ، زين الدين عبد العزيز .
تحفة الناظرين فى بعض أحوال البرتكاليين ، معهد البحوث العلمية
بجامعة أم القرى ، رقم ()
— الموزعي ، عبد الصمد بن اسماعيل .

الاحسان فى دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (أو تاريخ
الموزعي فى الدولة العثمانية) ، مخطوط ، مكتبة معهد البحوث العلمية
بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة باريس رقم (٢٢)

— الوزير ، عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم ت ١١٤٧
جامع المتن فى أخبار اليمن السيئون ، الجزء الثانى ، مخطوط ، مكتبة
معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة كورسني
بايطاليا . رقم (٢٢٧)

— يحيى ، عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين ت ١٠٤٨
روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط
مصورة عن مكتبة الازهر . رقم (٢٨٧)

— يعقوب الامام ، أحمد بن محمد ت ١١٨٦ هـ .
السلح والعدة فى تاريخ بندر جدة " كُتبت عام ١١٨٦ هـ " مخطوط ،
جامعة أم القرى ، المكتبة المركزية ، رقم ١١٢٦ .

ثالثا : المصادر :

- ابن اياس ، محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، الناشر فرانسر
شتايز فيسيان .
- ابن بطوطة ، محمد بن ابراهيم اللواتي ، ابو عبد الله ت ٧٠٤ ، ٧٧٩
- رحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة
والنشر ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م ، بيروت .
- ابن تغرى بردى ، يوسف ، جمال الدين ابو المحاسن ت ٨٧٤هـ .
- ✕ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٦ تحقيق د . جمال الدين
الشيال ، أ . فهميم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ✕ الدليل الشافى على المنهل المصقى ، تحقيق وتقديم فهميم محمد
شلتوت ، دار الفكر ، مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى .
- ابن حبير ، محمد بن أحمد ، ابى الحسن ت ٦١٤هـ .
- رحلة ابن حبير (رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الاثار الكريمة والمناسك)
دار مكة ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م .
- ابن خردابه ، عبيد الله بن عبد الله أبى القاسم (ت حدود سنة ٣٠٠)
- المسالك والممالك ، يليه نبذة من كتاب الخراج وصنعه الكتاب—
لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، مكتبة المتنبى ببغداد
- ابن طولون ، محمد بن علي بن أحمد بن علي بن غمارويه ، شمس الدين—
ت ٩٥٣هـ .
- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) حققه وكتب
له المقدمة والحواشى والفهارس محمد مصطفى ، وزارة الثقافة والاشراف
القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،
دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ،
١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

— ابن ظهيرة ، محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر علي ، جمال الدين

ت ٩٨٦ .

الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وسناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ،

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف بمطبعة عيسى الحلبي وشركاء بمصر ،

١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م

— ابن ظهيرة ، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي ت ٨٨٨ هـ .

الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا

وكامل المهندس ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة ، مركز

تحقيق التراث ، ١٩٦٩ م

— ابن علي ، يحيى بن الحسن بن القاسم

غاية الأمان في أخبار القطر الباني ، تحقيق د . سعيد عبد الفتاح

عاشور ، مراجعة د . محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي

للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

— ابن فهد المكي ، عبد العزيز بن عمر بن محمد ، عز الدين ت ٩٢٢ .

غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، عدد الأجزاء ٣ ، تحقيق

أ . فهد محمد شلتوت .

الأجزاء :

١ - الطبعة الأولى دار النشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى

١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

٢ - الطبعة الأولى دار النشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م

٣ - الطبعة الأولى دار النشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

— ابن فهد المكي ، عمر ، نجم الدين ت ٨٨٥ هـ

معجم الشيوخ ، تحقيق وتقديم ، محمد الزهي ، مراجعة وقابله علي

أصله حمد الجاسر ، دار اليمامة ، المملكة العربية السعودية .

- ابن فهد المكي ، عمر ، نجم الدين ت ٨٨٥هـ .
- اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، عدد الاجزاء ٤ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق
وتقديم أ . فهم شلتوت ، الطبعة الاولى ، معهد البحوث العلمية
واحياء التراث الاسلامي جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م . الجزء
الرابع ، تحقيق د . عبد الكريم علي باز ، " رسالة دكتوراه بجامعة
أم القرى " ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ابن فهد المكي ، محمد بن عبد العزيز بن عمر ، جار الله ت ٩٥٤
* تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة
محمد سعيد جمال ، محمد منصور الشقحا ، نادي الطائف الأدبي .
- * رسالة في فضل جدة وشي من خبرها ، دراسة د . عبد المحسن مدعج
المدعج ، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد
٣١ الجزء الاول ، جمادى الاولى - شوال ١٤٠٢هـ / يناير - يونيو ١٩٨٧م
- ابن ماجد ، احمد ملاح فاسكودي جاما .
- ثلاثة أزهار في معرفة البحار ، تحقيق ونشر . ثيودور شوموفسكي ، ترجمة
وتعليق د . محمد منير مرسى ، عالم الكتب ، القاهرة .
- ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب بن محمد ، جمال الدين أبي الفتح ت ٦٩٠هـ .
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، صححه
وضبطه اوسكر لوففرين ، الطبعة في مدينة ليندن ، مطبعة بريل سنة ١٩٥١م
- ابن مخزومة ، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد ، أبي محمد ت ٩٤٧ .
- تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والاهــدل ،
مطبعة بريل في مدينة ليندن المحروسة / أعادت طبعه بالأوفست مكتبة
المثنى ببغداد ، ١٩٢٦م .
- ابي الفداء ، اسماعيل بن محمد بن عمر ، عماد الدين ت ٧٣٢
- تقويم البلدان ، طبع في مدينة باريس المحروسة سنة ١٨٤٠م .

- الاسحاق ، محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد الغنى بن على
أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، السنة ١٢٩٦ هـ
حسب تاريخ المؤرخ ، يشترك معه كتاب . تحفة الناظرين فيمن ولى
مصر من الولاة والسلاطين للمؤلف عبد الله الشرقاوى .
- البخارى ، أبى عبد الله محمد بن اسماعيل
صحيح البخارى ضبطه وشرح الفاظه د . مصطفى ديب البغا ، الطبعة
الأولى ، دار القلم بدمشق ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- بكرى ، حسين بن محمد بن الحسن الديار ٩٦٦
تاريخ الخميس فى أحوال أنف نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع
بيروت ، ١٢٨٣ هـ .
- البهكلى ، عبد الرحمن بن أحمد . تكله ، الحسن بن أحمد عاكش .
نفع العود فى سيرة دولة الشريف حمود ، دراسة وتحقيق وتعليق
محمد بن أحمد العقيل ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ م .
- الجزيرى ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم ت ٩٤٤
درر الفوائد ، المنظمة من أخبار الحاج وطريق مكة الممظمة ، المطبعة
السلفية ومكبتها بالقاهرة ، ١٣٨٤ هـ .
- الحربى ، ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله بن ويسم
ابواسحاق ت ٢٨٥
كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة
- الحسنى ، الشريف عبد الحى بن فخر الدين .
نزهة الخواطر ومهجة السامع والنواظر ، الطبعة الثانية ، مكان النشر
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند
١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ج ٣ فى القرن ٩ .

- الحموى ، ياقوت بن عبد الله ، شهاب الدين أبى عبد الله ت ٦٢٦هـ .
معجم البلدان ،
٢٤ ، ٥ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ،
ج ٣ ، دار صادر ، بيروت .
— الحميرى ، محمد بن عبد المنعم ت . ٩٠
الروض المعطار فى خبر الاقطار (معجم جغرافى مع سرد عام) تحقيق
د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥م .
— الحنبلى ، عبد الحى بن العماد ، أبى الفلاح ت ١٠٨٩هـ .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت . بدون .
— الحوقلى ، محمد بن على الموصلى ، ابن القاسم (القرن ٤هـ)
صورة الأرض
— دحلان ، أحمد زيني ت ١١٠٤هـ .
خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبى عليه الصلاة
والسلام الى وقتنا هذا بالتام ، الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية
بمصر ، ١٣٠٥هـ .
— الرشيدى ، أحمد ت ١١٧٨هـ
حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي اماره الحاج ، تحقيق د . ليلى
عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي بصر ، ١٩٨٠م .
— السخاوى ، محمد بن عبد الرحمن ، شمس الدين ت ٩٠٢
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ
الطبعة تضم الاجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ والاجزاء من ٥ - ١٢ ، دار مكتبة
الحياة ، بيروت ، لبنان . بدون .

- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الحافظ جلال الدين ت ٩١١ هـ .
تاريخ الخلفاء . تحقيق محمد محي الدين عبد الحسيد ، الطبعة
الرابعة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩ / ١٣٦٩ هـ .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ، الجزء الثاني ،
دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ،
١٩٦٨ م / ١٣٨٧ هـ .
- شرقاوى ، عبد الله بن حجازي
تحفة الناظرين فيمن ولو مصر من الولاة والسلاطين ، هذا الكتاب طوى
هامش كتاب أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت : ١٢٥٠)
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الطبعة الاولى ،
دار النشر الشيخ معروف عبد الله باسندوه التاجر بالجمالية
بمصر ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .
- الشيباني ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع ، وجيه الدين —
الفضل المزيدي علي بغية السفتيد في أخبار مدينة زيد .
تحقيق د . يوسف شلحد ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- الصيرفي ، علي بن داود الجوهري ت . ٩٠
أنباء الهصر بآنيا العصر ، تحقيق وتقديم : د . حسن حبشي ،
دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

- العرشى ، حسين بن أحمد ت ١٣٢٩هـ .
بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام
نشره انستاس مارى الكرملى ، مكتبة لويين سرقيس ، القاهرة ، مطبعة
البرتىرى ، مصر ، ١٩٣٩م .
- العصامى المكى ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت ١١١١هـ .
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية
ومكتبتها ، القاهرة . بدون .
- الغزى العامرى ، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد ت ١٠٦١ .
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق د . جبرائيل سليمان
جبور ، الناشر محمد امين دمج وشركاه ، بيروت ، بدون .
- الفاسى ، محمد بن أحمد بن على ، الحافظ ابن الطيب تقي الدين ت ٨٣٢
شفا الفرام بأخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى
البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- القلقشندى ، أبى العباس أحمد بن على
صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، دار النشر وزارة الثقافة والارشاد
القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- القزوينى ، زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢
أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت
للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- الناصرى ، احمد بن خالد ، أبو العباس .
كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ،
محمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥م .

— القطبي ، عبد الكريم بن محب الدين ت ١٠١٤ .
تاريخ البلد الحرام المعروف بأعلام^{الأعلام} العلماء بيتا المسجد الحرام ، عن
كتاب المؤلف ، قطب الدين بن علاء الدين الحنفى : أعلام الأعلام
بأخبار المسجد الحرام ، تعليق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز
— الرفاعى ، الطبعة الاولى ، مكتبة الثقافة بباب السلام مكة ، ١٣٦٩ هـ /

٠م ١٩٥٠

— النهروالى ، قطب الدين محمد بن أحمد ت ٩٨٨
* كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القسم الثالث من تواريخ مكة .
* البرق اليماني في الفتح العشاني (تاريخ اليمن في القرن العاشر مع
توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعشانيين لذلك القطر) .
اشرف على طبعه : حمد الجاسر ، الطبعة الاولى ، دار اليمامة ،
الرياض ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

رابعاً : الدوريات :-

— أحمد ، د . ابراهيم خليل
الامة العربية في مسارها التاريخي ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد
٢٠ سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، مجلة تصدرها الامانة العامة لاتحاد
المؤرخين العرب ، بغداد - العراق .
— البركاتى ، د . ناصر عبد الله سلطان .
التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف ، مجلة العصور ، المجلد
الثانى ، الحزب الثانى ، ذو القعدة ١٤٠٧ هـ / يوليو ١٩٨٧ م .
— التهامى ، أ . محمد محمد
الاصلاحات المملوكية في الاراضى الحجازية ، الدارة ، العدد الاول ،
السنة الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥ هـ / يونيو ١٩٨٥ م .

- الحميدان ، د . عبد اللطيف ناصر
مكانة السلطان أجود بن زامل الجبرى فى الجزيرة العربية
الدارة العدد الرابع ، السنة الرابعة ، رجب ١٤٠٢ هـ / مايو ١٩٨٢ م
- دراج ، د . أحمد السيد
جم سلطان الدبلوماسية الدولية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد
الثانى ، ١٩٥٩ م .
- دسوقي ، د . محمد كمال
أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، مجلة كلية الشريعة
والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، العدد الثانى
١٣٩٦ / ١٣٩٧ هـ .
- ربيع ، د . حسنين
بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الاول ، ١٣٩٧ هـ /
١٩٧٧ م .
- زيادة ، د . نقولا .
النشاط الاقتصادى فى المغرب العربى فى القرن التاسع / الخامس عشر
الى القرن الثامن عشر / الثانى عشر .
مجلة القافلة ، العدد الثانى ، المجلد الثالث والثلاثون ، شعبان
١٤٠٥ هـ / ابريل ١٩٨٥ م .
- سعداوى ، د . نظير حسان .
دولة البرين والبحرين ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ ،
القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- صالح ، د . محمد أمين
تجارة البحر الاحمر فى عصر الساليك الجراكمة ، الدارة ، العدد
الثانى للسنة السادسة ربيع الاول ١٤٠١ هـ / يناير ١٩٨١ م .

— الصياد ، د . محمد محمود

الرحالة الا جانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر ،
مجلة المؤرخ العربي ، العدد الرابع عشر ، السنة ١٩٨٠
محلة تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العراق

— عبد الحليل ، الشاطر بصيلي

الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي

وشرق أفريقيا والبحر الاحمر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٢

١٩٦٤م - ١٩٦٥م

— العريني ، السيد الباز

الفارس المملوكي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ،

١٩٥٦م ،

— عبد الرحيم ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن

الحجازيون في مصر في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

الدارة ، العدد الأول ، السنة الحادية عشر شوال ١٤٠٥هـ /

يوليو ١٩٨٥م

— عبد ربه ، د . سعد زغلول

البرتغاليون والبحر الاحمر ، الدارة ، العدد الثاني للسنة السادسة

ربيع أول ١٤٠١هـ / يناير ١٩٨١م

— محمود ، د . حسن أحمد

التهديد البرتغالي لسواحل العرب ومصادر دراسته ، محلة العرب

ج ٧ - ٨ ، محرم وصفر ١٣٩٨هـ / يناير وفبراير ١٩٧٨م

— الماوي ، فؤاد

العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز من الفتح العثماني

حتى الاحتلال الفرنسي ١٥١٧ / ١٧٩٨م ، جامعة محمد السادس

عبد الله - فاس ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس ، العددان

الرابع والخامس لسنتي ١٩٨٠ - ١٩٨١م

— محمد بن د. محمد محمود

تساؤلات حول قضية ارشاد ابن ماجد لفاسكودي جاما الى طريق الهند
مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد ٦ من سنة ١٩٧٩ م ،
الناشر عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض

خامسا : رسائل جامعية

— بابكور ، عمر سالم

حزام الأمن العشائى حول الحرمين الشريفين فى القرن العاشر
الهجرى ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٧ هـ ، جامعة أم القرى .

— باقاسى ، عائشة عبد الله عمر

بلاد الحجاز فى العصر الايوبى ٥٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠ م ،
جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، رسالة ماجستير ٩٩ - ١٤٠٠ هـ
٧٩ - ١٩٨٠ م

— جلال ، آمنه حسين محمد على

طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى العصر المملوكى ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ،
رسالة جامعية ، جامعة أم القرى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

— الحسن ، سعاد ابراهيم بن محمد

النشاط التجارى فى مكة المكرمة فى العصر المملوكى ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ /
١٢٥٠ - ١٥١٧ م ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ١٤٠٥ هـ /
١٩٨٥ م

— الشريف ، فريال

مكة المكرمة كما جاءت فى كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس
الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، رسالة جامعية ، جامعة
الملك عبد العزيز

- العبيكان ، طرفه عبد العزيز
- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة
- رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م
- المدخل ، محمد ربيع هادي عمر
- الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن
- عبد الوهاب الطاهري ، ٨٩٤ - ٩٢٣ / ١٤٨٨ - ١٥١٧م ، رسالة
- جامعية ، جامعة أم القرى
- سادسا : المراجع العربية والمعربة :
- أحمد ، أحمد يوسف :
- الدور المصري في اليمن ١٩٦٢ - ١٩٦٧م ، الهيئة المصرية العامة
- للكتاب ، ١٩٨١م
- الاشويس ، أبو أحمد .
- الاسلام الجريح في الحبشة بلاد النجاشي أرض الهجرة الاولى
- أرنولد ، توماس ، سير ، (أشراف)
- تأليف جمهرة من المستشرقين ، تراث الاسلام ، عرب وطق حواشيه
- جرجس فتح الله ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر
- بيروت ، ١٩٧٨م
- أوليفر ، رواند - جون فيج
- موجز تاريخ افريقيه ، ترجمة د . دولت أحمد صادق ، مراجعــــــــــــة
- د . محمد السيد غلاب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- أضاف ، عزتو يوسف بك
- تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، دار النشر
- طبع على نفقة ابراهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية في مصر / المطبعة
- العمومية ، مصر .

- الاسكندري ، عمر و ١٠ ج . سفرج
تاريخ مصر الى الفتح العثماني مع نبذة من أخبار الامم التي ارتبطت بمصر
الى ذلك العهد ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٢٣٣ / ١٩١٥
- الانصاري ، عبد القدوس
تاريخ مدينة جدة ، بلدية جدة .
- الانصاري ، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر
تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، اشرف على طبعه
وعلق عليه بعض الحواشي / حمد الجاسر ، الطبعة الاولى ، السنة
١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- ايكاربوس ، يوحنا افندي .
قطف الزهور في تاريخ الدهور ، الطبعة الثانية ، طبع بيروت ، ١٨٨٥ م
- البرادعي ، أحمد بن محمد صالح الحسين الشريف
المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ
- بيروني ، جاكين
اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم ، نقله الى
العربية قدرى قلعي ، قدم له الشيخ حمد الجاسر ، دار الكاتسب
العربي . القاهرة .
- ابن دهيث ، د . عبد اللطيف عبد الله
المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة
النهضة الحديثة ، مكة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- البلادي ، عاتق بن غيث
معجم معالم الحجاز ، الطبعة الاولى ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- بانيكار ، ك.م. .
- آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد ، مراجعة أحمد خاكي ، دار المعارف بمصر ، بدون .
- البحراوى ، د . محمد عبد اللطيف .
- فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولى من البر الى البحر ، الطبعة الاولى ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- البتنونى ، محمد لبيب .
- الرحلة الحجازية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف محمد سعيد كمال ، الطائف .
- الجاسر ، حمد .
- × نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب .
- × بلاد ينبع لمحات تاريخية ، جغرافية ، وانطباعات خاصة ، دار اليمامة ، الرياض .
- × رسائل فى تاريخ المدينة : الطبعة الاولى ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- جمعة ، د . بدیع . د . أحمد الخولى .
- تاريخ الصفويين وحضارتهم ، الطبعة الاولى ، دار الرائد العربى ، ١٩٧٦م .
- الجوهرى ، د . يسرى .
- الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، منشأة المعارف بالاسكندرية .
- حتى ، د . فيليب .
- موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ترجمة د . أنيس فريحة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م .

- حجازي ، عبد الحميد (اشراف)
 موسوعة العالم الاسلامي ، اعداد مركز الابحاث والدراسات الدولية
 في دار الرأي العام ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م . الجزء
 الاول ، بمعنى المجلد الاول .
- حسن ، د . حسن ابراهيم
 تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الطبعة الاولى ،
 مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م .
- حسن ، يوسف فضل .
 الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية مأخوذة عن العسرب
 وافريقيا بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات
 الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، الطبعة الاولى ،
 مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- حمادة ، د . محمد ماهر
 سلسلة وثائق الاسلام (٦) الوثائق السياسية والادارية للعصر
 المملوكي ، ٦٥٦ - ٩٢٢هـ / ١٢٥٨ - ١٥١٦م دراسة ونصوص ، الطبعة
 الاولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- خالدى ، د . مصطفى . د . عمر فروخ .
 التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمى
 الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي ، الطبعة الرابعة ، بيروت ،
 ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- الخربوطلى ، د . علي حسني .
 الاسلام في حوض البحر المتوسط ، الطبعة الاولى ، دار العلم
 للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠م .

— دراج ، د . أحمد السيد .

إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن
التاسع الهجري ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المحاضرات
العامة الموسم الثقافي ، ١٩٦٨ / ٦٧ م ، مطبعة جامعة عين شمس ،
١٩٦٨ م ، محاضرات ألفت بدار الجمعية سنة ١٩٦٨ م .

— دياب ، د . أحمد إبراهيم .

لمحات في التاريخ الأفريقي الحديث ، الطبعة الأولى ، دار العريش ،
الرياض ، ١٩٨١ م / ١٤٠١ هـ .

— رجب ، د . عمر الفاروق السيد

* المدينة المنورة اقتصاديات المكان ، السكان ، المورفولوجية ،
الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
* الحجاز المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية أرضه وسكانه
دراسات أيكولوجية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩ هـ /
١٩٧٩ م .

— الرمال ، غسان طي محمد .

صراع المسلمين مع البرتغال في البحر الأحمر خلال القرن العاشر
الهجري السادس عشر الميلادي ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

— الرويش ، د . محمد أحمد .

الموانئ السعودية على البحر الأحمر دراسة في الجغرافيا الاقتصادية
الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

— الزركلي ، خير الدين .

الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

١٩٨٠ م .

- الساداتى ، د . أحمد محمود
تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، مكتبة الادب ومطبعتها
القاهرة .
- سالم ، أحمد عيضة
الجاليات العربية فى أفريقيا ، مأخوذة من العرب وافريقيا ومناقشات
الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع
منتدى الفكر العربى ، الطبعة الاولى ، مركز دراسات الوحدة العربية
بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ساعاتى ، د . يحيى محمود .
الوقف بنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافى ، الطبعة الاولى ،
مركز الطك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- سالم ، د . السيد مصطفى
الفتح العشائى الاول للين ١٥٣٨ - ١٦٣٥ ، الطبعة الثانية ،
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات
الاسلامية ، ١٩٧٤ م .
- السباعى ، احمد
تاريخ مكة دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة
السادسة ، نادى مكة الثقافى ، ١٤٠٤ هـ .
- سبيع ، عبد العظيم عبد العزيز
حاضر العالم الاسلامى ، الطبعة الاولى ، مكتبة السلام العالمية ،
القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .
- سعيد ، أمين
الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، دار الكاتب
العربى ، القاهرة .

- سرهنك ، اسماعيل الميرالاي .
- حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ،
ببلاق ، مصر المحمية ، ١٣١٢هـ .
- السليمان ، علي بن حسين
- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الماليك ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
- سليم ، محمود رزق
- عصر سلاطين الماليك ونتاجه العلمى والأدبى ، الطبعة الثانية ،
مكتبة الاداب ومطبعتها ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .
- سيدو ، ل . أ .
- تاريخ العرب العام امبراطورية العرب حضارتهم مدار سهم الفلسفة
والعلمية والأدبية ، نقله الى العربية / عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ،
عيسى البابى الحلبي وشركاه ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- شرف الدين ، أحمد حسين .
- السن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين
دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة مزينة بالصور والخرائط ،
الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- شفشق ، د . محمود عبد الرازق / منير عطا الله سليمان
- تاريخ التربية دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية ، الطبعة الثانية ، دار
القلم ، الكويت ، ١٩٧٣م .
- شاكر ، محمود
- * شبه جزيرة العرب نجد ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م
- * المسلمون في بورندى ، الطبعة الاولى ، المكتب الاسلامى ، بيروت
- ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

- ششه ، نوال سراج .
- جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، الطبعة الاولى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- شكرى ، د . محمد أنور .
- لوحان أثريان للسلطان قايتباي والسلطان سليمان القانونى فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة الطك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، مكة المكرمة ، مطابع دار الثقافة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- الشناوى ، د . عبد العزيز محمد .
- * الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٨٠م .
- * أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٢م .
- الشهابى ، مصطفى الأمير .
- محاضرات فى الاستعمار ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٥م - ١٩٥٦م .
- الشيال ، د . جمال الدين .
- دراسات فى التاريخ الاسلامى ، دار الثقافة ، بيروت .
- صقر ، نادية حسنى
- الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، الطبعة الاولى ، ١٩٨١ / ١٤٠١هـ ، دار الشروق ، جدة

- الصيرفي ، نوال حمزة يوسف.
- النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري
السادس عشر الميلادي ، دار المطبوع عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ /
١٩٨٣ م .
- طرخان ، د . ابراهيم علي
مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، ١٣٨٢ هـ / ١٥١٢ م ، مكتبة
النهضة المصرية ، القاهرة .
- طلس ، محمد أسعد
عصر الانحدار يشمل على تاريخ العراق والشام ومصر والجزيرة العربية
والمغرب العربي منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦ الى فجر عصر النهضة
في القرن الثالث عشر ، الطبعة الاولى ، دار الاندلس للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٦٣ م .
- عاشور ، د . سعيد عبد الفتاح .
الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور
الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ م
- عبد الكريم ، د . أحمد عزت .
ابن اياس محاضرات القيت في الندوة التي نظمتها الجمعية المصرية
للدراستات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م
- العبادي ، د . أحمد مختار / د . أحمد عزت .
تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط ، البحرينية
الاسلامية في المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية
- عبد السيد ، د . حكيم أمين
قيام دولة المماليك الثانية ، تقديم . محمد مصطفى زيادة ، السدار
القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- عود ، د . عبد الفتى
دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ،
٠م١٩٧٨
- عبد التواب ، عبد الرحمن محمود
قايتباى المحمودى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٠م١٩٧٨
- عبد الله ، عبد الرحمن صالح
تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ
٠م١٩٧٢
- العقيلى ، محمد بن احمد
تاريخ المخلاف السليمانى ، الطبعة الثانية ، دار الهامة ، الرياض
٠م١٩٨٢ / ١٤٠٢هـ
- عنان ، محمد عبد الله
مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الاولى ، مطبعة
دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ / ٠م١٩٣١
- عيسى ، د . محمود خيرى (اشراف)
تأليف أساتذة باحثون
العلاقات العربية الافريقية دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفة
المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات
العربية .
- غيث ، فتحى
الاسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة الغنية المتحدة ، القاهرة
- فهمى ، د . نعيم زكى
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور
الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة العربية ، ١٣٩٣هـ
٠م١٩٧٢

- قاسم ، د . أنيس
تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ، الدار العربية للكتاب
ليبيا ، تونس ، ١٣٩٥هـ / ٢٠١٩م
- قلمجى ، قدرى
الخليج العربى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة .
- القشامى ، مناحى ضاوى حمود
تاريخ الطائف قديما وحديثا ، مطبوعات نادى الطائف الأدبى
- كحالة ، عمر رضا
اعلام النساء فى عالى العرب والاسلام ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ /
٢٠١٧م ، مؤسسة الرسالة .
- لويس ، برنارد
استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ، تعريب وتعليق د . سيد
رضوان على ، جامعة بنغازى
- المعمرى ، احمد حمود
عمان وشرقي افريقيه ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة
التراث القومى والثقافة
- متولى ، د . أحمد فؤاد
الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر
التركية والعربية المعاصرة له ، دار النهضة العربية ، القاهرة
- المشيقح ، ابراهيم بن حمود
تاريخ أم القرى ومكانية المرأة العلمية فيها من خلال " الدر الكمين "
لابن فهد ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ / ٢٠١٨م
- مؤنس ، حسين
الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية
الكبرى بمصر ، مطبعة حجازى بالقاهرة ، ١٩٣٨م

- ماهر ، د . د . سعاد .
البحرية في مصر الاسلامية وأثارها الباقية ، أشرف على اخراج الكتاب
عبد السلام الشريف ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .
- ماجد ، د . د . عبد المنعم .
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة
العربية ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- المطوي ، محمد العروسي
الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب
الشرقية ، تونس ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
- محمد بن ، د . د . محمد محمود
الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، دار العلوم للطباعة
والنشر ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٣ م .
- مورتيل ، د . د . ريتشارد
الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الطبعة
الأولى ، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٥ هـ /
١٩٨٥ م .
- النمر ، عبد المنعم .
الاسلام في الهند ، الطبعة الاولى ، دار العهد الجديد لطباعة
١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- لاندو ، روم .
الاسلام والعرب ، نقله الى العربية / منير البعلبكي ، الطبعة الاولى ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٢ م .

— البيوزيكى ، د . د . توفيق .

تاريخ تجارة مصر البحرية فى العصر المالىكى ، مؤسسة دار الكتب

للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

— يونسكو

أثر العرب والاسلام فى النهضة الاوروبية ، اعداد واشراف مركز تبادل

القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة

(يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م .

سابعاً : المراجع غير العربية

- 1 - Bailey W. Diffie And George D. Winius :
Foundations Of The Portuguese Empire 1415 - 1580.
London - 1977.
- 2 - CHARLES DAVIDLEY : Portuguese Voyages 1498 - 1663.
London 1972.-
- 3 - ANGELO PESCE : JIDDAH,
Italy 1974.
- 4 - Stanford J. Shaw : History Of The Otto Man Empire And,
Modern Turkey.
Cambridge University Press 1976.-

الْحَمْدُ لِلَّهِ

المحتويات

الصفحة

الموضوع

١

المقدمة

الفصل الاول

٩

الوضع السياسية في الحجاز

٩

١ - الشريف محمد بن بركات وسلطة الحجاز ٨٥٩ هـ / ١٠٣٠ هـ

٢ - الصراع على السلطة بين ابنا الشريف محمد بن

٢٩

بركات وموقف الدولة المملوكية من الصراع

٥٢

٣ - الشريف بركات بن محمد وسيطرته على الوضع في الحجاز

٥٩

٤ - العلاقات بين اشراف الحجاز وسلاطين المماليك

٦٧

٥ - العلاقات الحجازية الخارجية

٦٨

أ - الحجاز واليمن

٧١

ب - الحجاز وشرق الجزيرة العربية

٧٤

ج - الحجاز والعراق

٧٦

د - الحجاز والدولة العثمانية قبل سقوط دولة المماليك

الفصل الثاني

٧٩

التهديد الصليبي البرتغالي للحجاز

١ - هدف البرتغاليين من الالتفاف حول طريق رأس الرجاء

٧٩

الصالح .

٢ - الحبشة والبرتغال والتفكير الصليبي العدواني على

٩٥

الاماكن المقدسة

١٠٢

٣ - التجارة والاطماع البرتغالية

١٠٨

٤ - موقف اشراف الحجاز من الخطر البرتغالي في البحر الاحمر

١١١

٥ - المماليك ودورهم في صد العدوان الصليبي على الحجاز

١٢٤

٦ - موقف العثمانيين من الخطر البرتغالي في البحر الاحمر

الفصل الثالث

- الاضاع الاقتصادية في تلك الفترة
- ١٢٩ ١ - الحج والمردود الاقتصادي
- ١٢٩ ٢ - الموانئ الحجازية والتجارة الدولية
- ١٢٣ أ - نبذة عامة عن الموانئ التجارية
- ١٢٣ ب - ميناء جدة
- ١٢٨ ج - ميناء رابغ
- ١٤٥ د - ميناء ينبع
- ١٤٧ ٣ - المنتجات الحجازية
- ١٥١ ٤ - الطرق التجارية البرية
- ١٥٦ ٥ - أثر تحول التجارة العالمية عن البحار الإسلامية على
- ١٦٢ الاقتصاد الحجازي
- ١ - الصراع الصفوي السلوكي العثماني وأثره على الاقتصاد
- ١٦٥ الحجازي .

الفصل الرابع

- الاضاع الاجتماعية والعلمية في تلك الفترة
- ١٨٢ ١ - التركيب الاجتماعي لسكان الحجاز وأثره في العادات
- ١٨٢ والتقاليد
- ٢ - الناحية العلمية في الحرمين الشريفين وأثر المجاورين
- ١٨٧ في ذلك
- ١٩٣ ٣ - المدارس والبيوت العلمية في تلك الفترة
- ٢٠٢ ٤ - الحج وأثره الديني والاجتماعي
- ٢٠٥ ٥ - شؤون الحرمين الشريفين
- ٢٠٨ ٦ - الاربطة وأثرها الاجتماعي
- ٢١٦ ٧ - اقامة السبل لخدمة الحجيج وطلاب العلم .

— ملحق رقم (١) نسب أسر الأشراف التي حكمت مكة في ذلك الوقت.

— ملحق رقم (٢) رسالة السلطان العثماني محمد الفاتح لشريف مكة يشره بفتح القسطنطينية

— ملحق رقم (٣) رسالة شريف مكة للسلطان محمد الفاتح العثماني يخبره فيها بوصول رسالته اليه

— ملحق رقم (٤) خارطة توضح المراحل التي قطعها البرتغاليون للوصول لبحار جنوب العالم الاسلامي

— ملحق رقم (٥) خارطة توضح مناطق النفوذ المملوكي في ذلك الوقت.

— ملحق رقم (٦) خارطة توضح طرق التجارة البرية والبحرية المارة بأراض الدولة المملوكية في الشام ومصر

— ملحق رقم (٧) خارطة توضح سير الحملات البرتغالية المستهدفة الوصول الى المناطق المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

— ملحق رقم (٨) الطرق البحرية والبرية التجارية المارة بالحجاز .

— ملحق رقم (٩) الموانئ الحجازية على البحر الاحمر

— ملحق رقم (١٠) الامارات الواقعة على الحدود فيما بين الدولة العثمانية والمملوكية في ذلك الوقت